

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
People's Democratic Republic of Algeria
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
Ministry of Higher Education and Scientific Research



جامعة البليدة 2
University of Blida2

كلية: العلوم الإنسانية والاجتماعية.

قسم: العلوم الإنسانية.

الميدان: العلوم الإنسانية

الشعبة: تاريخ.

التخصص: تاريخ.

محاضرات في مقياس تاريخ الجزائر المعاصر

الطور: جذع مشترك علوم إنسانية

السنة: الأولى.

السداسي: الأول.

من إعداد الأستاذ: محفوظ عاشور

الرتبة: أستاذ محاضر أ

السنة الجامعية 2022-2023

الفهرس

2	الفهرس
6	مقدمة:
6	مقرر المقياس:
7	المحاضرة الأولى: الوضع العام في الجزائر قبيل الاحتلال
7	مقدمة
8	1-التنظيم الإداري:
9	2-النظام السياسي لآيالة الجزائر
12	3-الأوضاع العامة في الجزائر في أواخر عهد الدايات (قبل الغز والفرنسي)
	أ.سياسيا : Erreur ! Signet non défini.
27	ب.الأوضاع الاقتصادية:.....
28	ج.الأوضاع الاجتماعية:.....
30	المحاضرة الثانية: الغزو الفرنسي للجزائر 1830
30	عناصر المحاضرة.....
30	1.العلاقات الفرنسية الجزائرية الى غاية الحصار.....
	أ.قبل الثورة الفرنسية اي قبل 1789م:..... 31
	ب.بعد الثورة الفرنسية:.. 31
	1.حادثة المروحة 29 افريل 1927م..... 33
34	2.الأسباب الحقيقية للاحتلال.....
34	أ.أسباب سياسية:.....
35	ب.أسباب دينية:.....
35	ج.أسباب اقتصادية:.....
35	د.أسباب اجتماعية:.....
36	هـ.أسباب عسكرية:.....
36	3.الحملة الفرنسية على الجزائر الناجحة في ظرف 21 يوما.....
38	أ.معركة سطأولي 19 جوان 1830.....
39	ب.معركة سيدي خالف 24 جوان 1830م.....
39	ت.معركة برج الامبراطور (28 جوان).....
	ث.اتفاقية الاستسلام المبرمة بين قائد الحملة (دي برمون) وحاكم آيالة الجزائر الداوي حسين..... 42
43	المحاضرة الثالثة: ظهور الزعامات الوطنية ودولة الأمير عبد القادر

43	مقدمة:
43	1. ظهور الزعمات الوطنية:
47	2. دولة الأمير عبد القادر: ...
52	المحاضرة الرابعة: مقاومة الأمير عبد القادر 1833-1847م
52	1. الوضع العام في المنطقة الوهرانية سنة 1832 م اي قبل المقاومة:
54	2. بداية مقاومة الأمير عبد القادر: ...
54	أ. كقائد في صفوف جيش والده: ...
55	ب. بداية مقاومة الأمير عبد القادر كأمر وقائد للجهاد: ...
55	3. مراحل مقاومته: ...
56	أ. مرحلة الانطلاق والقوة (1832-1837): ...
67	ب. مرحلة تنظيم الدولة (1837-1839) (الهدوء المؤقت) ...
68	ج. مرحلة الضعف (1839-1847) حرب الإبادة: ...
77	ح. المرحلة الثانية من 1844 الى 1847 (مرحلة الكر والفر للأمير عبد القادر): ...
84	المحاضرة الخامسة: مقاومة أحمد باي في شرق الجزائر: ...
84	1. أوضاع قسنطينة قبل الغزو: ...
87	2. الغز والفرنسي لمدينة قسنطينة واحتلالها سنة 1837م: ...
87	أ. الحملة الأولى على قسنطينة سنة 1836م: ...
92	ب. الحملة الثانية أكتوبر 1837م: ...
96	3. مواصلة أحمد باي المقاومة واستسلامه سنة 1848 م: ...
98	المحاضرة السادسة: الثورات الشعبية الأخرى خلال القرن التاسع عشر: ...
98	مقدمة: ...
98	1. انتفاضة الزعاطشة أكتوبر 1849م: ...
101	2. مقاومة المقراني والحداد: ...
106	3. انتفاضة الأوراس سنة 1879: ...
111	المحاضرة السابعة: سياسة الجمهورية الفرنسية الثالثة في الجزائر من 1870 الى 1900 م
111	1. السياسة الفرنسية في الجزائر من 1870 الى 1914: ...
114	2. النظام السياسي في الجزائر: ...
117	المحاضرة الثامنة : أوضاع الجزائر مع مطلع القرن العشرين إلى غاية 1919 -سياسيا- اقتصاديا-اجتماعيا: ...
117	1. الأوضاع السياسية: ...
120	2. الأوضاع الاقتصادية: ...

123.....	ت.الأوضاع الاجتماعية:.....
127	المحاضرة التاسعة: دراسات الأحزاب السياسية والجمعيات الوطنية (1939.1900).....
128.....	1.ظهور نخبة من الشباب الجزائري (jeunes Algériens)
129.....	2.نشأة الجمعيات والنوادي:.....
	3.دور النوادي والجمعيات:.....130
130.....	4.مطالب النخبة (الشباب الجزائري).....
132	المحاضرة العاشرة : حركة الأمير خالد.....
132.....	1.مولدهو نشأته:.....
136.....	2.مساره العسكري في الجيش الفرنسي:.....
140.....	3.نشاط ونضال الأمير خالد:.....
140.....	أ.المرحلة الأولى: 1913 – 1919.....
143.....	ب.المرحلة الثانية من 1919 – 1924.....
149	المحاضرة الحادية عشرة : نجم شمال إفريقيا.....
149.....	1.العوامل التي جعلت من النجم ينتهج الإيديولوجية الثورية الاستقلالية:.....
149.....	أ.العوامل الخارجية :.....
150.....	ب.العوامل الداخلية:.....
150.....	2.تأسيس نجم شمال إفريقيا:.....
152.....	3.مطالب النجم بعد التأسيس:.....
154.....	4.مشاركة نجم شمال إفريقيا في مؤتمر بروكسل 1927م.....
158.....	5.مطالب النجم في مؤتمره الوطني المنعقد سنة 1933:.....
161.....	6.نجم شمال إفريقياوالجبهة الشعبية:.....
164	المحاضرة الثانية عشرة: حزب الشعب الجزائري.....
164.....	1.تأسيس الحزب:.....
166.....	2.برنامج حزب الشعب الجزائري.....
169	المحاضرة الثالثة عشرة: جمعية العلماء المسلمين الجزائريين (تيار الإصلاح).....
	1.فكرة تأسيس الحركة الإصلاحية (جمعية علماء المسلمين).....169
172.....	2.تأسيس جمعية العلماء المسلمين.....
176.....	3.أهداف جمعية العلماء المسلمين الجزائريين:.....
179.....	4.العمل السياسي لجمعية علماء المسلمين:.....
180	المحاضرة الرابعة عشرة: الحزب الشيوعي الجزائري.....

180.....	1.تأسيس الحزب:.....
180.....	2.نشاطه السياسي:.....
184	المحاضرة الخامسة عشرة: مشروع بلوم فيوليت
184.....	1.ظروف نشأة مشروع بلوم فيوليت:.....
187.....	2.المواقف المختلفة من المشروع:.....
189	المحاضرة السادسة عشرة: المؤتمر الإسلامي
195	خاتمة:
196	الملاحق
197	قائمة المصادر والمراجع

مقدمة:

يتناول المقياس تاريخ الجزائر المعاصر في الفترة الزمنية الممتدة من العشرية الأخيرة من الحكم العثماني في الجزائر أي أواخر حكم الدايات إلى غاية الحرب العالمية الثانية أي من 1820 إلى 1945م، حيث يتلقى الطالب أفكار عامة عن أهم التطورات والتغيرات التي عرفت الجزائر في مختلف المجالات السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية والدينية والعسكرية، كما يتعرف الطالب عن أوضاع الجزائر في ظل نظام الحكم العثماني ثم يدخل إلى ظل نظام جديد وهو الاستعمار الفرنسي وبالتالي يعرف ويستنتج الطالب المتغيرات التي عرفت الجزائر من انتقالها من طبيعة حكم لآخر.

الكلمات المفتاحية: الجزائر، الاحتلال، المقاومة، التيار الإصلاح، الأحزاب السياسية.

مقرر المقياس:

- 1) الوضع العام في الجزائر قبيل الاحتلال.
- 2) الحملة الفرنسية على الجزائر 1830.
- 3) ظهور الزعامات الوطنية ودولة الأمير عبد القادر.
- 4) مقاومة الأمير عبد القادر.
- 5) مقاومة أحمد باي.
- 6) الثورات الشعبية الأخرى خلال القرن التاسع عشر - المقراني - بوعمامة...
- 7) سياسة الجمهورية الفرنسية الثالثة في الجزائر.
- 8) أوضاع الجزائر مع مطلع القرن العشرين إلى غاية 1919 - سياسيا - اقتصاديا - اجتماعيا.
- 9) حركة الأمير خالد.

- (10) دراسات الأحزاب السياسية والجمعيات الوطنية (1926-1939)
- (11) نجم شمال إفريقيا.
- (12) حزب الشعب.
- (13) جمعية العلماء المسلمين الجزائريين.
- (14) الحزب الشيوعي الجزائري.
- (15) مشروع بلوم فيوليت.
- (16) المؤتمر الاسلامي

المحاضرة الأولى: الوضع العام في الجزائر قبيل الاحتلال.

عناصر المحاضرة:

- 1-التنظيم الاداري:
- 2- النظام السياسي في الجزائر خلال الحكم العثماني.
- 3- الأوضاع العامة في الجزائر في أواخر عهد الدايات (قبل الغز والفرنسي)
 - أ- الأوضاع السياسية
 - ب- الأوضاع الاجتماعية
 - ت- الأوضاع الاقتصادية

مقدمة:

يتفق المؤرخون ان اiale الجزائر خلال مراحل الفترة الطويلة من الحكم العثماني في عهوده الأربعة عهد البايلىربايات **beylarbeys** (1518م-1587م)، عهد الباشوات (1587-1659) أنها كانت سيدة البحر الابيض المتوسط وتتمتع بسمعة ومكانة محترمة لدى كل الدول، الا انها عرفت في الفترة الاخيرة من حكم الدايات تقهقر أو تراجعاً وضعفاً في كل المجالات ما جعلها فريسة وعرضة لتكالب وتنافس بين الدول الغربية خاصة بين بريطانيا وفرنسا، ونعرج في هذه المحاضرة على حقيقة

الأوضاع السياسية، الاقتصادية والاجتماعية ونتوقف ونحلل هذه الأوضاع بالتفصيل، ولكن من الاجدر ان نعطي فكرة عامة عن التنظيم الاداري والنظام السياسي للإيالة خلال فترة الحكم العثماني¹.

1-التنظيم الاداري:

كانت تسمى الجزائر بإيالة الجزائر (Régence d'Alger) أي ولاية تابعة للدولة العثمانية (الباب العالي، السلطان العثماني والسلطة المركزية والأستانة)، وهي مقسمة الى 4 مقاطعات كبرى وهي:

• **دار السلطان:** هي واحدة من بايلكات إيالة الجزائر وعاصمة الإيالة حيث يقيم بها الداوي، فهي مقاطعة إدارية تشمل مدينة الجزائر وضواحيها، تمتد من دلس شرقا إلى تنس غربا ويحدها من الجنوب بايلك التيطري وشمالا البحر الأبيض المتوسط، تضم مقر الحكم (الداوي والديوان أي مجلس وزراء)، في القصبة.

بايلك الشرق:(مقاطعة، اقليم، عمالة) هي من أكبر البايلاكات مساحة وسكانا، عاصمته قسنطينة، يمتد من الحدود التونسية شرقا إلى بلاد القبائل غربا ومن البحر الأبيض المتوسط شمالا إلى الصحراء الكبرى جنوبا، وتميز بقلة النفوذ العثماني. وكان يحكم البايك باي يعينه داي الجزائر، فهو ممثل الداوي والمشرف على التسيير الإداري للبايلك، ويقوم بتسيير شؤون البايك الباوي ويساعدونه في أداء مهامه.

بايلك الغرب: كانت عاصمتها مازونة ثم معسكر وأخيرا وهران بعد تحريرها من الإسبان سنة 1792م، يمتد هذا البايك من الحدود المغربية غربا إلى البايك التيطري شرقا ومن البحر الأبيض المتوسط شمالا الى الصحراء الكبرى جنوبا.¹

¹ عياد صالح، الجزائر خلال الحكم التركي، 1519-1830، ط2، دار هومة، 2007، ص.201

بايلك التيطري: عاصمتها المدية التي تقع في وسط الإقليم، ويعتبر أصغر البايلاكات وأكثرها ارتباطا بالسلطة المركزية، لهذا وضع بجانب الباي قاضي يتصل مباشرة بالجزائر. يمتد من سهل متيجة شمالا الى الصحراء الكبرى جنوبا وبين حدود بايلك الشرق وبايلك الغرب (التيطري تعني الوسط)

2- النظام السياسي لإيالة الجزائر

دام الحكم العثماني للجزائر من عام 1518م إلى الاحتلال الفرنسي عام 1830م. حيث اجمع المؤرخون على تقسيم هذه الفترة الطويلة من الحكم إلى أربعة عهود وهي كالتالي:

• عهد البايلربايات beylarbeys (1518-1587م):

بيگمريبك أو بأمير باي بمعنى أمير الأمراء ونائب السلطان والعامل باسم الباديشاه²، يعد العهد الأول من أزهى عهود الحكم العثماني في الجزائر، إذ تميز بكثرة الأعمال العمرانية والإدارة السليمة وتنظيم البحرية أيام حكم السلاطين العثمانيين الأقوياء، وكانت السلطة في البلاد بيد رياس البحر وفئة إلى ولدش³،

• عهد الباشوات (1587-1659):

¹ عياد صالح، المرجع السابق، ص. 201

² باديشاه أو باديشاه هو لقب ملكي من اللغة الفارسية مكوّن من كلمة بادي (السيد) وشاه (الملك). هذه التسمية هي على الأرجح إستمرار للتسمية الملكية الأخمينية. لقب الباديشاه يعادل لقب الامبراطور لدى الرومان الشاه لدى الفرس ("ملك الملوك") أو المهرجا في الهند ("الملك العظيم").

³ يولدش : هم فرقة أنشأها خير الدين في بداية حكمه من العثمانيين المسلمين والنصارى الذين اعتنقوا الإسلام، وكانت العضوية والانخراط فيها تمكن صاحبها من الحصول على امتيازات عدد منها الإعفاء من الضرائب والعقوبات، وهم يتصفون بالشجاعة والإقدام، وكانوا يرقون بالرتب والمرتبات، أما الجزائريين أو الكرا غلة المولودين من آب تركي وأم جزائرية فلم يحصلوا على الرتب العسكرية، بل مسموح لهم الانتماء فقط، للمزيد من التفاصيل ينظر: مبارك بن محمد الهلالي المبي، تاريخ الجزائر في القديم والحديث، الجزائر، مكتبة النهضة الجزائرية، 1964، ج3، ص ص 129-124.

كان على رأس الحكم وال تعيينه الأستانة لمدة 3 سنوات، يمنح له لقب الباشا، وتميز بازدهار القوة البحرية، وسمحت الحكومة العثمانية بدخول الامتيازات الأجنبية إلى الأراضي الجزائرية. في سنة 1587 تم إلغاء نظام البايلرييات، واستبدله بنظام الباشاوات وهذا التغيير عين من قبل السلطان العثماني "مراد الثاني"، حيث أصدر فرمان إلغاء نظام البايلرييات واستبداله بهذا النظام، فاخذ الباب العالي بإرسال الباشاوات لحكم مدينة الجزائر ابتداء من 1587م.

• عهد الأغوات 1659 - 1671م:

تميز بسيطرة إلى ولدش على الحكم، وكانوا ينتخبون من بينهم أغا لمدة شهرين ثم يستبدل بغيره، وتميز ذلك العهد بالمحاولات المستمرة لفصل الجزائر على الحكم العثماني¹. انتقل النظام من الباشاوات إلى الأغوات، وكان هذا عام 1659م، وكان الأغوات ينتخبون من الفرق الإنكشارية لمدة شهرين قمريين لهذا كانوا يعرفون بـ "أغا المقربين".

¹. كانت العلاقات بين الجزائر والسلطة المركزية في إسطنبول متشنجة بسبب الاضطرابات التي حدثت في عهد الأغوات، إذ انعدم الاستقرار فيها كولاية عثمانية وفصل الولايات الثلاث (الجزائر وتونس و طرابلس الغرب) عن بعضها البعض، مما عرض أملاك الدولة العثمانية لمخطر، واسهم في إقامة دول متصارعة بعد ان كانت جميعها تحكم من بكمربيك الجزائر، وزاد الأمر سوءاً بعد التمردات التي حصلت، إذ لم تكن تأتي من الجزائريين وحدهم، بل من قوات الانكشارية والبحرية، فضاق السلطان العثماني محمد ال ا ربع 1687 - 1648 من تلك الاضطرابات التي أدت إلى طرد ممثل السلطان عمي باشا من الجزائر، وأرسل الصدر الأعظم كوبرلو محمد 1661 - 1656 إلى القائمين على الحكم في الجزائر رسالة غاضبة جاء فيها " : أخيرا لن نرسل إلى كم وإلى أ، بايعوا من تريدون، السلطان ليس بحاجة إلى عبوديتكم لدينا آلاف الممالك مثل الجزائر، فالجزائر ان كانت وان لم تكن شيء واحد أو من بعد ذلك ان اقتربت من الممالك العثمانية فم تكونوا ا رضىين"، وهذه الرسالة جعلت الأغوات يغيرون الحكم من نظام تبعية إلى نظام مستقل عن الدولة العثمانية .ينظر .عبد الكريم غلاب، قراءة جديدة في تاريخ المغرب العربي، عصر الإمبراطورية العهد التركي في تونس والجزائر، بيروت، دار الغرب الإسلامي، 2005، ج2، ص 344.

• عهد الدايات¹ :

تميزت مرحلة الدايات بعودة رياس البحر الذين تغلبوا على إلى ولداش وأقاموا حكما جديدا وهو نظام الدايات وذلك بانتخاب داي يحكم البلاد من قبل مجلس، وأستمر حكم الدايات لحين سقوط الجزائر بين أحضان الحكم الفرنسي، انتقل حكم الدايات نتيجة الأوضاع التي شهدها عهد الآغاوات من النزاعات الشخصية والمؤامرات والانقلابات ضد بعضهم البعض والاعتقال حتى أن كثيرا من ولاية هذا العهد عزلوا أو قتلوا أو ابعدوا بعد شهرين أو أقل من تعيينهم في مناصبهم، وأدت هذه الحالة إلى ظهور طبقة الرياس واختفاء نظام الآغاوات وظهور عهد الدايات 1671م، والذي دام طويلا واندمج فيه الجنود الانكشارية بطائفة الرياس واختفى الصراع بينهما. وتمكن بعض الدايات من الاستقرار في الحكم مدة طويلة خاصة في القرن الثامن عشر، وكانت هناك بعض التنظيمات تحد من سلطة الداي في أوائل هذا العصر، ولكن في العصور المتأخرة حكموا حكما مطلقا وأصبح للداي الحرية المطلقة في الحكم والإدارة والتفاوض مع الدول الأجنبية وعقد المعاهدات السلمية والتجارية، ويعلن الحرب والسلم ويستقبل الممثلين الدبلوماسيين الأجانب، ومنه يعد عهد الدايات بداية لعهد الاستقلال الكامل للدولة الجزائرية عن الدولة العثمانية ولم تبق إلا بعض الشكليات، وأول من تولى هذا المنصب هو الداي الحاج باشا (1671م-1682م) وجاء بعده أربعة وعشرون دايا كان آخرهم الدي حسين باشا (1818م-1830م) والتي كانت فترة حكمه أطول من الفترات في عهد الدايات.

¹. الداي :أو دايي يعني الخال في اللغة التركية وحرف عند الباحثين العرب إلى الداي واستعمل مصطلحا ليطلق على قائد الأسطول، أما تسمية هذا الدور في الجزائر فيعود إلى الجند البحريين أو قادتهم الذين أطلقت عليهم التسمية منذ سنة 1671 حتى 1830. فاضل بيات، المصدر السابق، ص- 542

3-الأوضاع العامة في الجزائر في أواخر عهد الدايات (قبل الغز والفرنسي)

كان الوضع العام في الجزائر في أواخر عهد الدايات خاصة بين 1800 أي 1830 كارثي في كل المجالات وهوما فتح الشهية للدول الأوروبية ان تتنافس وتتكالب عليها، واخير انفردت فرنسا ان تكون الفريسة من نصيبها، فما هي حالة هذا الوضع، سياسيا، اقتصاديا واجتماعيا؟

أ. سياسيا:

كان نظام الحكم في أواخر عهد الدايات قائما على أجهزة تشرف على تسيير الحكم في الايالة وهي **الداي** : اسم أصبح يمنح لحاكم ايالة الجزائر ومعنى مصطلح الداي: الداي بالتركية هو الخال، ثم أصبح يطلق على احد القادة الانكشاريين العثمانيين، ثم صار أيضا أحد مراتب السلطة في الدولة العثمانية¹، إذن هولقب شرفي - قائد القيادة - هو أعلى سلطة في البلاد، يجمع بين السلطتين، العسكرية والمدنية أي طبيعة الحكم هو ذات الصبغة النظام الشمولي أي ديكتاتوري بتجمع كامل السلطات في يد الحاكم.

يتم تعيينه من طرف السلطان العثماني مباشرة من (الأستانة)، ويغادر الجزائر بنهاية فترة حكمه، أما في المرحلة الثانية فكان يعين من الجزائر، لتتم تزكيته من طرف السلطان بالفرمان (بقرار). **الديوان: يتكون من الديوان الخاص والعام** يتكون الديوان الخاص من **الخزناجي**: وهو مسؤول المالية والمختص في الإشراف على الخزينة وإيداع مصارف دخل الدولة بشكل نقود ومقتنيات ثمينة، ويساعده كاتب الدولة وأمين السكة فضلا عن أجيرين من إلى هود أحدهما يدعى العيار للتحقق من النقود

¹. الموسوعة الحرة، المرجع السابق، ص 245

المشكوك فيها والثاني الوزان لوزن أنواع النقود التي يتسلمها.، يساعده أربعة كتاب رئيسهم يسمى (باشدفتر)، يقوم الخزناجي بتسليم المداخل والإشراف على الإنفاق ومراقبة أمور السك.

البيتمالجي: يتولى إدارة أموال الأوقاف ويرث من لا وريث له، ويسمى بقاضي بيت المال، كما يسجل العقود والموارث، يراقب الأملاك والثروات التي تعود للدولة نتيجة المصادرة أو انعدام الورثة، كما يقوم بحفظ الدائع وتسيير أملاك الغائبين، والتصرف فيها، بالإضافة إلى قيامه ببعض الأعمال الخيرية، كتوزيع الصدقات على المستحقين والتكفل بدفن الفقراء المعدمين.

وهو المشرف على مصلحة الأملاك وصيانة المقابر، ويعاونه في تلك المهمة قاض يعرف باسم وكيل وكاتبان يعرف باسم العدول.

خوجة الخيل : مكلف بقبض الضرائب ومراقبة أملاك الدولة وتموين الموظفين العثمانيين والفرق العسكرية بمدينة الجزائر بالمواد الغذائية، وهو الموظف الذي يدير أملاك البايلك ويشرف على مواشي الدولة التي يقدمها الأهالي كضرائب عينية تفرض عليهم، كذلك يقوم بالإشراف على تجنيد الفرسان(المخزن)¹ المتعاونين مع السلطة المركزية.

وكيل الخرج: هو قائد البحارة الذي يراقب النشاط البحري على أعمال الترسانة البحرية، وينظر في توزيع الغنائم، وتسجيل غنائم البحر ورسوم الجمارك ويتصل في بعض الأحيان بقناصل ومبعوثي الدول الأوربية (الاهتمام بالشؤون الخارجية).

¹. مكان خزن البضائع والمؤن، ثم أصبحت تطلق للدلالة على القوة التي يستعملها الداي لفرض سلطانه، وتتألف من القوة العسكرية التركية، وعدد من قبائل العرب والبربر¹ مصطفى الاشرف، الجزائر الأمة والمجتمع، ترجمة حنفي بن عيسى، الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، 1983، ص 81.

الأغا: هو رئيس الجيوش البرية (الإنكشارية وفرسان المخزن) (الصبايحية)، يتلقى أوامره من الداي مباشرة، وهو مكلف بحفظ الأمن بالضواحي القريبة من مدينة الجزائر (الفحص).

أما الديوان العام: يتشكل من أعضاء الديوان الخاص إلى جانب الكتاب المساعدين للبيت المال، كبار ضباط الإنكشارية (الإنكشارية، آغا الصبايحية)، القاضيان والمفتيان (المالكي يتولى النظر في قضايا سكان الجزائر، والحنفي في قضايا الأتراك) أما الوضع السياسي تميزت الأوضاع السياسية لإيالة الجزائر قبل الاحتلال الفرنسي (1800-1830) بفقدان نظام الحكم وأجهزته هيئته وقوته ودخوله مرحلة الضعف والانحطاط وعدم قدرته على التحكم في استقرار البلاد وحماية الأمن الداخلي والخارجي للبلاد، ما جعلها تعيش وتمر بالتوترات والاضطرابات على الصعيد الخارجي والداخلي.¹

علاقتها الخارجية:

إقليميا: شهدت الفترة الممتدة بين 1815-1830، جنوح الجزائر وتونس إلى السلم مع بعض التوترات الخفيفة، وذلك نظرا للظروف الصعبة التي تعيشها الجزائر والمتمثلة خاصة في تدهور الأوضاع الداخلية وكثرة الأخطار الخارجية التي كانت تهدد الجزائر أما فيما يخص العلاقات الجزائرية المغربية فتميزت هي الأخرى بعدم الاستقرار والتذبذب والتراوح بين الحرب تارة والجنوح إلى السلم تارة أخرى.

أما بقية الدول العربية: كانت علاقة الجزائر ببقية الدول الإسلامية المجاورة علاقات طيبة في مجملها، فقد تضامنت الجزائر مع مصر إثر تعرضها للحملة الفرنسية التي

¹ مصطفى الاشرف، المرجع السابق، ص 90.

قداها ضدها نابليون بونابرت سنة 1798 م، حيث أعلن الداى مصطفى باشا
1805-1798

• علاقتها مع الدول الأوروبية ودول اخرى

• مع الدول الأوروبية:

شهدت العلاقة بين الجزائر والدول الأوروبية خلال فترة حكم الدايات في الجزائر
1671-1830 تراوفا بين الحرب والعداء تارة والسلم والأمن تارة أخرى، باستثناء
اسبانيا التي بقيت في عداء دائمة وحروب مع الجزائر بسبب سيطرة الإسبان على
مدينة وهران حتى عام 1792 م، كما قاموا بثلاث حملات عسكرية بحرية على
مدينة الجزائر بغية احتلالها، الأولى على مدينة الجزائر كانت سنة 1775م التي
استمرت 11 يوما وفشلت اسبانيا في الوصول الى هدفها نانا الثانية سنة 1783م
حيث تم قصف مدينة الجزائر بالمدافع لمدة 10 أيام وفشلت ثانية، اما المرة الثالثة
عادت لضرب الجزائر بعد عام وكان ذلك في جويلية 1784م واستمر القصف لمدة
11 يوما. وبفشل اسبانيا إخضاع مدينة الجزائر، غيرت سياسته أو ركزت على
الأسلوب السياسي الدبلوماسي في تعاملها مع الجزائر حيث عقدت معاهدة صلح بين
الجزائر واسبانيا في شهر أوت 1785 م، وقد ساهمت هذه الاتفاقية في عودة الهدوء
والاستقرار في حوض المتوسط¹.

أما علاقة الجزائر ببقية الدول الأوروبية فتجلت معظمها في إبرام معاهدات
واتفاقيات على غرار السويد وهولندا اللتان وقعتا معاهدة صداقة وسلم مع الجزائر
سنة 1729م وكذلك مع الدانيمارك سنة 1746 م بخصوص عمليات القرصنة
والتجارة وبعدها مع البندقية سنة 1763 م، أما علاقة الجزائر مع فرنسا فقد كانت

¹ عبد الكريم غلاب، قراءة جديدة في تاريخ المغرب العربي، المرجع السابق، ج2، ص 345.

تميل إلى السلم تارة وتارة أخرى إلى القطيعة، بحيث تميزت الفترة الممتدة بين 1766 م إلى غاية سنة 1790 بالهدوء والاستقرار وحسن النوايا المتبادلة، حيث عمل الطرفان على تنفيذ التزاماتهما إزاء بعضهما البعض بكل ثقة وإخلاص، وقامت كذلك في أواخر شهر مارس 1790 بتمديد معاهدة السلم مائة سنة أخرى، كما اعترفت الجزائر بالثورة الفرنسية ووقفت معها في محنتها الاقتصادية عام 1789 م وأمدتها بالأموال والحبوب لكن هذه العلاقات الطيبة بين الجزائر وفرنسا لم تستمر على ما هي عليه فسرعان ما تعكرت العلاقات بعد قيادة الملك نابليون بوناپرت للحملة الفرنسية العسكرية على مصر سنة 1798م وفي سنة 1800 م عادت العلاقات الفرنسية الجزائرية إلى السلم بعدما تم التوقيع على هدنة غير محددة الأجل وتحولت إلى معاهدة سلم وصلاح سنة 1801 م، وقد شهدت العلاقات بين الطرفين خلال الفترة الممتدة بين (1798-1815)م حالة من التوتر الشديد - إلى حين عودة أسرة آل بربون إلى الحكم بعد سقوط نابليون بوناپرت، حيث عاد الهدوء نوعا ما إلى حين وقوع حادثة المروحة بين الداي حسين والقنصل دوفال في 29 أبريل 1827م والتي قامت فرنسا على إثرها بالحصار البحري على الجزائر قبل أن تعلن الغز والفرنسي بشكل رسمي سنة 1830 م.

كانت علاقة الجزائر بإنجلترا مجرد علاقة تبادل مصالح ونفوذ، خاصة وأن إنجلترا كانت تهدف دائما إلى تعكير العلاقات الجزائرية الفرنسية وإفسادها عن طريق قناصلها المتواجدين في الجزائر، وذلك بسبب منافستها لفرنسا حول الحصول على الامتيازات داخل التراب الجزائري خاصة خلال القرن 18 م¹.

¹ عبد الكريم غلاب، قراءة جديدة في تاريخ المغرب العربي، المرجع السابق، ج2، ص 350.

استغلت بريطانيا تعكر العلاقات الجزائرية الفرنسية أحسن استغلال حيث وطدوا علاقاتهم مع حكام الجزائر ومن مظاهر التقارب الجزائري البريطاني تلك الرسالة التي بعث بها ولي عهد إنجلترا إلى الداوي الحاج على سنة 1812 م مؤكدا له فيها انه طالما استمرت الصداقة بين البلدين فان إنجلترا سوف تحمي عاصمة الجزائر من أي عدوان خارجي، غير أنهم لم يستطيعوا الحفاظ على صداقتهم هذه، فبمجرد أن وضعت الحروب الأوروبية أوزارها عام 1815 م، حتى التفتت إنجلترا إلى الأسطول الجزائري، فحاولت إنجلترا القضاء عليه حتى لا يعرقل نشاطها داخل البحر الأبيض المتوسط، وعزمت استغلال قرارات مؤتمر فيينا سنة 1815 في القيام بحملة عسكرية بحرية على الجزائر، بحجة محاربة القرصنة وتجارة الرقيق، وبناء على ذلك انطلقت الحملة الانجليزية بقيادة اللورد من ميناء بلايموث يوم 28 جويلية 1816 وعندما وصل إلى مضيق جبل طارق (انضم إليه الأسطول الهولندي بقيادة فان كايبلس Vencaplcen) حيث وصل التحالف الأوروبي إلى الجزائر في يوم 17 أوت 1816 م، وبعد أن قدم كل من النقيب تقريرهما المفصل حول تحصينات مدينة (Ziewgel) والضابط زويقل (WARD) وورد الجزائر بدأ الهجوم بالمدافع التي دكت الحصون الدفاعية للجزائر وانتصر الانجليز على الجزائريين¹ الذين لم يستعطوا صد هذه التحالف الانجليزي الهولندي الشرس، وقبل الداوي في الأخير بشروط الاستسلام وتم توقيع الصلح بين الطرفين أعاد الانجليز الكرة مرة ثانية في يوم 24 جويلية 1824 م وشنوا حملة عسكرية ضخمة ضد مدينة الجزائر وفي هذه المرة وجدوا مقاومة كبيرة من طرف الجزائريين الذين لم يستسلموا، حيث قاموا برد الهجوم ثم غادر الأهالي مدينة الجزائر نح والمرتفعات المجاورة لها ولم يبق في المدينة

¹. Sans auteur, Victoires et conquêtes des français en Afrique depuis 1830 j'jusqu'à 1848, Vialat et compagnie, éditeurs, Paris ; 1949, p. 6.

سوى الجنود العسكريين الذين صمدوا ووقفوا في وجه المدافع الانجليزية بكل بسالة وشجاعة وأرغموا الانجليز في الأخير على الانسحاب من ميدان المعركة، والقيام بإبرام معاهدة صلح مع الداى الذي قبل بشروط الانجليز مقابل استبدال قنصلهم ماك دونال.

• دول أخرى غير أوروبية:

لقد ربطت الجزائر علاقات سياسية خارجية مع دول آخر غير أوروبية على غرار الولايات المتحدة الأمريكية التي أبرمت معها الجزائر ثلاث معاهدات صلح وصداقة، كانت أولها في 05 سبتمبر 1795 م، والثانية في جوان 1805 م والثالثة في ديسمبر من نفس السنة، وقد أصدرت الحكومة الجزائرية مسوما تعترف من خلاله بشرعية الثورة الأمريكية واستقلال الولايات المتحدة الأمريكية في سنة 1776 م2

على الصعيد الداخلي:

تميزت العلاقات بين الحاكم (الأتراك) والمحكوم (الأهالي) بالتوتر من حين لآخر، أما نظام الحكم بعدم استقرار جهاز الحكم واهتمام الحكام بجمع الأموال وكانوا عديمي الكفاءة وفاقدي للسيطرة والتحكم في زمام الأمور ويهمهم التشريف لا غير بحيث أن بعض الدايات ليس لديهم أحكام الحل والربط وحتى أنهم بدون مستوى، ولم يكن لهم دراية بالعلم والثقافة والدين وقد تقلدوا السلطة بعدما كانوا يمارسون مهن حقيرة كإسكافي وحمال وحارس، مثل حال الداى احمد باشا 1698-1695 الذي كان شيخا مسنا مريضا يشتغل على الأحذية فأصبح دايا خاضعا لسيطرة الانكشارية الذي يطبق أوامرها في تسيير أمور الحكم، وعلي باشا 1808-1809م ولقب بالغسال لأنه كان يغسل الموتى، وأمام تراجع مداخل الدولة الخارجية خاصة بضعف الأسطول واكتشاف الأوروبيين لطرق تجارية جديدة، وهو ما دفع حكام العثمانيين في الجزائر انتهاز سياسة تعسفية اتجاه الأهالي وأصحاب الطرق الصوفية بفرض عليهم ضريبة مجحفة وثقيلة باستعمال القوة والقمع حيث لم تكن هذه الأموال تتفق

في المصلحة العامة وإنما لمصالح شخصية ولرفاهية عوائلهم حيث قامت بحملات عسكرية مخزنية لجمع الضرائب وقمع الممتنعين عن أداء الضرائب ولذلك قلت ثقة الأهالي في الحكام والمسؤولين الذين أهملوا مصالح البلاد وأفقروا العباد وأنصب اهتمامهم بالسلطة وجمع المال، فأحس الأهالي أن جهودهم موجهة لخدمة الطبقة الحاكمة دون التمتع بأي حقوق فتوجهوا بشكواهم إلى رجال الطرق الصوفية نظرا لما كانوا يتمتعوا به من نفوذ روحي في المجتمع الجزائري.

وأمام هذا الوضع لم يستطيع رجال الزوايا والطرق الصوفية أن يققوا مكتوفي الأيدي أمام الشكاوي المقدمة من الأهالي من جراء السياسة التعسفية، وباعتبار أن مصالح رجال الدين أيضا تضررت وفقدت امتيازاتها التي كانوا يتمتعون بها، ففضلوا الوقوف بجانب أهالي الريف ولذلك برزت سلسلة من الثورات في مطلع ق 19 كرد فعل على سياسة الحكام بنشوب تمردات وثورات وأهمها: انتفاضات بلاد القبائل 1804 م، 1810 م، 1824 م وانتفاضة التيجانية ووادي سوف وثورة النماشة سنة 1818م، وثورة ابن الاحرش والدرقاوي في شرق البلاد سنة 1804 والعديد من الثورات الشعبية الأخرى ضد الحكم الفاسد للعثمانيين، وكذلك سوء التسيير الاقتصادي للبلاد بحيث أنه منذ ضعف البحرية الجزائرية قلت الموارد وعجز الميزان التجاري للإيالة، وطبعا كانت الإجراءات التعسفية والسياسة الضريبية الجديدة قد أدت إلى تأزم الوضع أكثر وأثار ذلك الرعية على الحكام الأتراك ومن أهم هذه الثورات:

- **ثورة بن الاحرش¹ 1804م**.. بدأ ابن الاحرش استعداداته انطلاقا من جولته التي قام بها في عدة مدن في الشرق الجزائري انطلاقا من عنابة وقسنطينة قبل أن يستقر به المقام في مدينة جيجل ومنها بدأ دعوته للثورة ضد العثمانيين، وقد استعمل عدة

¹. ابن الاحرش: هو محمد بن عبد الله ابن الاحرش، درعي النسب، مالكي المذهب، درقاوي الطريقة زعم انه من شرفاء فاسن كان بليغ الاسلوب في الحديث، فصيح اللسان، انظر: يمينه سعوديين الحياة الادبية في قسنطينة- خلال الفترة العثمانية، بحث مقدم لنيل شهادة الماجستير، جامعة منتوري، قسنطينة، 2003/2005، ص34.

طرق لإقناع الناس بشرعية دعوته و ذلك بإيهامهم بأنه المهدي المنتظر¹، وهو المنقذ الذي سوف يحرر الناس من ظلم الأتراك بأمر من الله²، وأن دعوته مستجابة وغيرها مستعملا العديد من أساليب الشعوذة والدجل³ وقد استعان بدهائه و بلاغة لسانه و قدرته و مهارته على الإقناع⁴ وقد قام بعدة عمليات ضد السفن الفرنسية التي تستعمل في صيد المرجان وتمكن من الاستعلاء على إحدى السفن واسر بحارتها، ورفض إعادتهم رغم تدخل الداي الذي حاول قتله لكن رسول الداي كشف الخديعة وقتل بعدما أعزاه الطمن وفتح إحدى الصناديق التي انفجرت في وجهه مما اغضب ابن الأحرش وقام بإعدام بعض الأسرى واستطاع ابن الأحرش جمع عدد كبير من الأنصار المقدر عددهم بحوالي مئة ألف رجل⁵، وقد اخضع مدينة جيجل بعد انسحاب الحامية التركية منها دون مقاومة ثم تابع طريقه نح والقل ومنها عنابة حيث انسحبت منها الحامية التركية أيضا نح وقسنطينة⁶، لكن ابن الأحرش قام بشن هجوم كاسح على قسنطينة مستغلا غياب الباي عصمان منها بعدما كان منشغلا في إحدى حملاته في جباية الضرائب، لكن أهالي المدينة وأعيانها تصدوا له مما اضطره إلى الانسحاب منها بعدما جرح بسبب نيران المدافع التي تعرضوا لها، وقد تزعم الأهالي في قسنطينة وجمعهم في حماية المدينة من الثوار كل من الحاج احمد الأبيض وقائد الدار الشيخ سيدي احمد الفكون⁷، ولما عاد الباي عصمان إلى

¹. المزاري: المصدر السابق، ص299

². العنتري: المصدر السابق، ص

³. الزباني: المصدر السابق، ص 208.

⁴. سعيدوني: ثورة ابن الأحرش بين التمرد المحلي والانتفاضة الشعبية، الثقافة، عدد78 ، 1983، الجزائر، ص202.

⁵. العطار: المصدر السابق، ص

⁶. العنتري: المصدر السابق، ص20

⁷. سعيدوني: ثورة ابن الأحرش. المرجع السابق، ص205

قسنطينة وصله خطاب الداي الذي طالبه بالقضاء على الثورة وقتل ابن الاحرش، فتوجه الباي إلى الثوار ووقعت معركة طاحنة في منطقة واد الزهور - قريبة من قسنطينة والتي انتهت بهزيمة الباي وقتله، فتشتت قواته و وصلت أخبار مقتله إلى الداي مصطفى باشا فعزم هذا الأخير على خوض المعركة بنفسه و مواجهة ثورة ابن الاحرش و القضاء عليها، لكنه تراجع بعد إقناعه من طرف معاونيه بان هذا الأمر سوف يشكل خطر على حياته فقام بإرسال الحاج على أغا على رأس جيش برفقة الباي الجديد عبد الله بن إسماعيل وكلفه بملاحقة ابن الاحرش وضرورة التخلص منه في اقرب وقت، وعلى اثر ذلك وبعد معارك كبيرة تمكن الأتراك من إيقاع الهزيمة بابن الاحرش والقضاء على ثورته في نواحي بجاية عام¹ 1806 وقد قتل ابن الاحرش فيما بعد حيث يذكر صاحب التحفة أنه قتل على يد ابن الشريف الدرقاوي لما استجد به بعد هزيمته على يد الأتراك وذلك لان ابن الشريف كان يعتبره منافسا له، وبالتالي وبالرغم من الصدى الكبير الذي لقيته ثورة ابن الاحرش والتفاف الناس حولها إلا أنه فشل في تحقيق أهدافه الرامية إلى الحد من تعسف الأتراك وظلمهم رغم الأساليب التي استعملها لكسب القبائل في الشرق الجزائري وقد خلفت هذه الثورة آثار سلبية كثيرة انعكست على أوضاع البلاد بشكل كبير لما حلا بها من محن، كما شجعت هذه الثورة من زيادة عصيان القبائل التي امتنعت عن دفع الضرائب المجحفة للأتراك، وقد ظهر احد زعماء التمرد فيما بعد وادعى أنه حفيد ابن الاحرش وقد تمردا جديدا ضد الأتراك لمدة أربعة سنوات قبل أن يتم القضاء عليه هو الآخر وكانت اخطر النتائج المترتبة عن ثورة ابن الاحرش هو انتشار الفوضى والاضطرابات في الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية وانعدام الأمن والاستقرار وقد ذكرت العديد من المصادر الحالة المزرية والمندھورة للسكان في تلك الفترة.

¹. ابن سحنون :المصدر السابق، ص4

شارك ابن الاحرش مع المغاربة قبل قدومه إلى الجزائر في حرب الفرنسيين وقد علا شأنه بين السكان الجزائريين، ووصلت شهرته إلى الانجليز الذين تحالفوا معه ودعموه بالأسلحة والهدايا نظير مساعدتهم في الثورة ضد العثمانيين وهذا من اجل القضاء على ا لمصالح الفرنسية بالجزائر، ومن جملة ما قدموه له بنادق ذات ثلاث طلاقات، يقول الزبيري في هذا الشأن أن الانجليز شجعوا ابن الاحرش بسبب الحقد والتنافس الذي كانوا يبدونه لفرنسا خاصة أن هذه الأخيرة قد تمكنت من الاستحواذ على العديد من الامتيازات داخل الجزائر في التجارة وصيد المرجان في السواحل الشرقية للجزائر، وقد كان التنافس على أشده بين فرنسا وانجلترا من اجل كسب مناطق نفوذ جديدة خاصة في الجزائر، كما تبرز ذلك إحدى الوثائق الاسبانية متمثلة في رسالة جاء في مضمونه بما يلي: "ان حماس العرب للاستقلال هو نفسه في كل جهة ولا يرغبون في غير ذلك معتمدين على مساعدتنا ومساعدة الانجليز حسب الرسائل التي تسلمناها منهم، وهم يعرضون علينا مقابل هذه المساعدة تسويق جميع منتجاتنا في هذا البلد"

ويظهر من خلال هذه الرسالة الدعم الأجنبي للثورات الشعبية ضد العثمانيين في الجزائر وما يفعله الانجليز في مساعدتهم على تمرد ابن الاحرش ضد الحكم العثماني له استمرار لدورهم في المشرق ومساعدتهم للعرب في الجزيرة والشام وتحريضهم للثورة ضد الدولة العثمانية بشكل عام.

الثورة الدرقاوي بالغرب الجزائري 1805م بزعامة ابن الشريف الدرقاوي¹: قد بدا المرابطون في بايلك الغرب من التذمر من سلطة الأتراك حيث بدأوا ينشطون ويحيكون المؤامرات والدسائس بشكل سري، ويحرضون الأهالي بشكل باستمرار

¹. اسمه الكامل هو عبد القادر بي الشريف و الذي يعرف عند العامة بابن الدرقاوي، و يعود أصله الى قبيلة كسانة المقيمة على ضفاف واد العبد، تعلم مبادئ اللغة العربية في مسقط رأسه في قرية أولاد بالليل ثم ألتحق بزاوية القيطنة بمعسكر التابعة للطريقة القادرية، ويقال عنه انه من الاشراف من الصحراء الغربية أو من فاس.

وانتشروا في كامل المناطق الغربية معلنين صراحة عداءهم للأتراك وهتفوا بصوت عالي على أنهم سوف يقضون على الأتراك في الغرب وبسبب ذلك بدأت دائرة التمرد والعصيان في الاتساع إلى أن وجدوا في الثورة الدرقاوي مبتغاهم واتبعوها وانضموا إليها ودعموها كذلك. تعد الثورة الدرقاوي من اكبر الثورات التي استهدفت العثمانيين في الجزائر وأخطرها، منذ بداية استقرارهم بالجزائر، فقد تلقت الطريقة الدرقاوي الدعم من المغرب الذي لعب دورا فعالا فيها، مثلما دعمت من قبل ثورة الشيخ محمد بن علي الإدريسي مرابط(عين الحوت) بناحية تلمسان(1736-1759) حتى أصبحت شبه مستقلة تماما على الحكم المركزي في العاصمة وسلطة بايلك الغرب وكان رد الباي محمد الكبير قاسيا ضدها حيث انتهج سياسة تعسفية وقمعية وصلت إلى حد اقتحام الحدود المغربية وملاحقة الثوار في التراب المغربي إلى أن تم عقد الهدنة مع السلطان مولاي يزيد عام 1781.¹

قام ابن الشريف الدرقاوي بالتحضير للثورة وجمع أنصاره حوله لمدة خمسة سنوات(1800-1805)، ولما أتم استعداد هو جمع العدة والعتاد أعلن الثورة على العثمانيين مستغلا هزيمة إحدى الحاميات التركية أمام قبائل الانجاد المتمردة ضد السلطة العثمانية أيضا، وتوجه برجاله نح ومدينة غليزان حيث اصطدم بجيش الباي مصطفى العجمي ووقعت معركة شرسة في منطقة فرطاسة سنة 1805 م حيث أنهزم فيها الباي وطارده الدرقاوي حتى أسوار مدينة معسكر 7 ، ومنها امتد لهيب الثورة من مليانة إلى غاية تلمسان وقد بدأت على اثر ذلك الحاميات التركية انسحابها الواحدة تلو الأخرى نح والمناطق الساحلية حيث انقطعت كل الإمدادات والطرق نح والداخل ما عدى الطريق البحري الذي كان المنفذ الوحيد للوصول إلى

¹ Sans auteur, Victoires et conquêtes des français en Afrique depuis 1830 j'jusqu'à 1848, Vialat et compagnie, éditeurs, Paris ; 1949, p. 10

وهران عاصمة بايلك الغرب وتمويله إلى حين تمكن الثوار من محاصرتها بزعمامة الدرقاوي الذي طوقها من كل مكان وقطع عنها الإمدادات وقد استمر الوضع إلى الأسوأ بالنسبة للعثمانيين حيث كادت هذه الثورة أن تقضي على الوجود العثماني في الغرب الجزائري ككل لولا تدخل الداوي من دار السلطان الذي أرسل جيشا كبيرا إلى وهران لفك الحصار عليها لكنه أنهزم وفشل في أداء مهمته بعدما اعترضته القبائل المعادية للعثمانيين³ ، ولكن سرعان ما تمكن الأتراك من فك الحصار على وهران عن طريق الباي الجديد محمد المقلش سنة 1805 م، وبفضل سياسته و دهائه في الحكم تمكن من القضاء على ثورة الدرقاويين، وتوفي ابن الشريف فيما بعد بسبب الوباء سنة 1809 م.

إن هذه الثورة وبالرغم من أنها لم تحقق الهدف الرئيسي على غرار ثورة ابن الاحرش في القضاء على الحكم العثماني في الجزائر، إلا أنها ساهمت في إضعافه حيث مهدت الطريق لسقوط الجزائر في يد الفرنسيين فيما بعد سنوات قليلة من نهايتها، كما أنها استطاعت التأثير حتى على الحكام أنفسهم مثل الباي بوكابوس الذي تولى الحكم بعد الباي المقلش الذي انضم إلى الثورة فيما بعد وتحالف مع السلطان المغربي مولاي سليمان الذي حرضه ضد السلطة العثمانية في الجزائر¹ ، لكنه فشل هو الآخر في ثورته و انتقم منه الحكام وقضوا عليه² ومن نتائج هذه الثورة كذلك أنها خلفت العديد من الخسائر المادية والاقتصادية والبشرية كذلك حيث راح ضحيتها العديد من رجال الدين والعلماء من جراء مشاركتهم في المعارك كالكاتب الشهير ابن هطال التلمساني والعلامة الأديب أب وعبد الله السيد محمد الغزلاوي ، ومنهم من لقي حتفه جراء الإجراءات القمعية التي قام بها الأتراك ضد أتباع الدرقاوي، هذا دون أن ننسى انتشار حالة الفوضى والنهب والسلب الذي سلكه رجال الدرقاوي والحاميات التركية على حد سواء. وفي الأخير وبالرغم من رفع مجمل هذه الثورات في الشرق الجزائري أوفي غربه شعارات دينية إلا أنها في الحقيقة كانت منفذا لسكان الجزائر

للتعبير عن سخطهم على الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية وحتى السياسية التي كانت تسود البلاد من جراء الحكم العثماني الفاسد خاصة سياسة الضرائب المجحفة، وكذلك الدور الكبير الذي لعبته القوى الخارجية في تعزيز هذه الثورات ودعمها ماديا وما لقيته من تقبل السكان وهو ما يفسر انتشار الثورات في اغلب جهات الوطن¹.

الثورة التيجانية بالجنوب الجزائري بزعامة محمد بن احمد المختار التيجاني²:

تنسب الطريقة التيجانية إلى مؤسسها الشيخ أب والعباس احمد مختار بن سالم التجاني المولود في بعين ماضي سنة 1737 / م، أسس طريقته في عين ماضي بالجنوب الجزائري خاصة في منطقة قمار بواد سوف وتقرت بورقلة وتماسين وقد امتد نفوذها إلى غاية إفريقيا جنوب الصحراء ناحية السودان الغربي الكبير³، وقد كان سيدي احمد التجاني يتمتع بمكانة واسعة ومرموقة بين السكان في وسط الصحراء مما أزعج السلطة العثمانية وأثار تخوف الحكام أنفسهم منه، كما أن العلاقة بينه و بينهم كانت سيئة سادها العداء والنفور هذا بالإضافة إلى كونه زعيم الطريقة التيجانية في عين ماضي البعيدة عن أعين السلطة المركزية⁴.

بعد عودة أولاده من المغرب الأقصى إلى عين الماضي ما أن سمع الداوي حسين بن حسين بوصول ابني الشيخ حتى هزته المخاوف، فأرسل "إلى أولاد الشيخ رضي الله عنه يطلب منهم أن يأتوا إليه ليتبرك بهم، وقصده شيء آخر، فاجتمع الأصحاب الحاضرون في ذلك الوقت، وقدم القطب سيدي الحاج علي رضي الله عنه في ذلك اليوم وصاروا يتكلمون في هذه الواقعة وماذا يفعلون؟ هل يتركون أولاد الشيخ رضي

¹ Sans auteur, Victoires et conquêtes des français en Afrique depuis 1830 j'jusqu'à 1848, Vialat et compagnie, éditeurs, Paris ; 1949, p. 6.

² هو الابن الاكبر لمؤسس الطريقة التيجانية، دخل من فاس بعد وفاة والده سنة 1815،

³ التليلي: المرجع السابق، ص 147.

⁴ الفلالي: المرجع السابق، ص 80.

الله عنه يذهبون إليه فقال سيدي الحاج علي رضي الله عنه بجلال كيف نترك أولاد الشيخ يذهبون إلى الترك يلعبون بهم هذا لا يكون أبدا" وبعد التشاور بينهما - سيدي محمد الكبير وسيدي محمد الحبيب رضي الله عنهما - وبحث الأمر مع الشيخ علي التماسني تقرر رفض دعوة الحاكم التركي، وحينما قرر سيدي محمد الكبير التجاني الذهاب إلى الحج "على طريق الصحراء... أمر الأمير حسن باشا باي قسنطينة أن يعترض طريقه عند قدومه، ويوقفه، فلم يمكنهم الله منهم في ذلك الوقت .

فعندما رجع - رضي الله عنه - من الحج إلى بلاده ظهر له أن ينزع الملك من يدي الأتراك الذين كانوا في غاية الاستبداد، وكان حكمهم كله طغيانا، ونظرة واحدة تُلقى على تاريخهم، تفصح عما كانوا يرتكبون من سفك الدماء ونهب الأموال واغتيال بعضهم بعضا، فكانت حكوماتهم المتعددة فوضى. فجمع حوله عرب الصحراء واكمل العدة (الاستعداد للحرب)، توجه نح ومعسكر سنة 1827م (غريس) لتحريرهم من قبضة الاتراك، وبايعوه سرا، وكان خبره قد بلغ باي وهران فكتب للأمير الداوي حسين بن حسين بخبره، وتحيروا كثيرا، وانتظر الباي قدومه، فلما وصل إلى غريس، وأخذ يقاتل أهل المعسكر، واستولى على بعض الجهات، بعث الباي - باي وهران - المال لكبراء الحشم لكي يتخلوا عنه، وخرج إلى هـ من وهران بالقوم، وأمر المحلة أن تردفه، فأصبح الباي مقاتلا، وفر الحشم عن التجاني - سيدي محمد الكبير - وفر الكثير من جيوشه التي أتت معه - بدافع الخيانة - ولم يبق معه إلا نح والثلاثمائة من أعراب زكور، فثبت هو وثبت من معه من الأعراب ثباتا لم يثبتته معهم أحد. وكان من عادة هؤلاء الأعراب في وقت القتال أن يعقلوا أنفسهم مثل الإبل، وهكذا، عقلوا أنفسهم وهو معهم، وقاتلوا قتالا شديدا، إلى أن قتلوا عن آخرهم... وأتوا بسيفه وبعض الحاجيات التي كانت علتي كانت معه، واحتوى الباي على أثقال التجاني، وأمواله، ورجع إلى وهران.

ب. الأوضاع الاقتصادية:

• القطاع الزراعي

عرف المجتمع الجزائري انه زراعي بالدرجة الأولى حيث يشكل أكثر من 90°/ من إلى د العاملة ويساهم في الدخل الفردي - سواء انتاج زراعي أو الرعي). تميزت الفترة الاخيرة من الحكم العثماني بقلّة المردود الزراعي لعدة اسباب منها الاعتماد على الادوات البسيطة البدائية في الزراعة اضافة الى الضرائب المرتفع التي يدفعها الفلاح الجزائري للحكومة حيث زادت خاصة بعد تراجع مدخول الخزينة بعد تراجع مداخيل البحرية، وكنتيجة لارتفاع الضرائب المفروضة على كاهل الفلاحين ما جعلهم يتخلون عن ممارسة الزراعي.

لم يكن النشاط الزراعي مقتصر على الانتاج الزراعي فقط بل شمل ايضا تربية الحيوانات بمختلف انواعها خاصة في المناطق الداخلية بحكم سكان هذه المناطق هي رعية ما جعل تربية الماشية بمختلف انواعها (الابقار، الغنم، المعز، ابغال الدواجن)¹

• القطاع الصناعي

تميزت الصناعة في الجزائر في أواخر الحكم العثماني بالصناعة البسيطة والتقليدية ولا يمكن مقارنتها بالصناعة في الدول الغربية، واقتصرت في معظمها على المنتجات النسيجية والادوات التقليدية حيث اختصت كل مدينة بصناعاتها المحلية المتميزة، فنجد على سبيل المثال مدينة تلمسان بصناعة الصوف والاعطية و الزرابي التي تميزت بطابع محلي عريق واسلوب اندلسي راق واشكال تركية جميلة أي المزج بين الحضارة المحلية والاندلسية والتركية، اما مدينة الجزائر اختصت بصناعة

¹. William Shaler, Esquisse de l'état d'Alger, consul général des États-Unis à Alger, Librairie L'avocat, Paris, 1830, p.16.

الشواشي وصناعة الاحزمة الصوفية والحريية والمناديل وصناعة الجلود والسروج، اما قسنطينة التي كانت بمثابة قطب لصناعة النحاس والحلي والاحجار. وعرفت هذه الصناعة تراجع وتدهر بسبب المنافسة وضعف القطاع الزراعي التي كان بمثابة خزان للمواد الأولية الصناعية.

• القطاع التجاري:

عرفت الجزائر نوعان والتجارة الداخلية والخارجية، فبالنسبة للتجارة الداخلية، كان يقوم بها الأهالي في العموم الى جانب إلى هود حيث كانوا ينقلون منتجاتهم الى الجنوب والعكس صحيح.

اما التجارة الخارجية: كان يحتكرها في معظمها الاجانب كما يمارسها إلى هود وبعض الأهالي، وقدرت قيمة الواردات 1200000 دولار اسباني، أما قيمة الصادرات قدر بنحو 237000 دولار اسباني ما جعل الميزات التجاري يسجل عجز بقيمة 927000 دولار اسباني سنة 1822 م والسبب في ذلك الى تراجع مداخيل الاسطول الجزائري

ومن بين الموارد المصدرة، نجد الصوف باعتبارها من النوعية الجيدة وتصدر الى كل من فرنسا وإسبانيا وإيطاليا¹.

ج. الأوضاع الاجتماعية:

اختلف المؤرخون في تعداد عدد سكان الجزائر، اذ قدره حمدان خوجة ب 10 مليون نسمة سنة 1833 م ولكن هذا الرقم مبالغ فيه بينما قدره وليان شالر بأكثر من مليون نسمة²، السلطات الفرنسية قدرته بمليونين ونصف نسمة، ولكن مهما اختلف العدد

¹ William Shaler, p.16.

². Ibid.p.20.

ولكن التركيبة الاجتماعية تميزت بالتنوع والثراء ومن اهم الاجناس المكونة للمجتمع الجزائري: الأهالي ، الاتراك، الكراغلة، الاندلسيين، الزنوج، المسيح كما يمكن تقسيم المجتمع الجزائري الى سكان المدن حيث يقطنون فيها الاتراك والاندلسيين والمسيحيين وقلة من الأهالي بينهما سكان الريف الذين يشكلون الاغلبية هم من الأهالي .

ولم يهتم الاتراك بالتعليم بل تركه للعامة ولم يشجع الثقافة وعدم اهتمامه بدور التعليم ما ادى بانخفاض مستوى التعليم عبر كافة التراب الجزائري.

المحاضرة الثانية: الغزو الفرنسي للجزائر 1830

عناصر المحاضرة

- 1- العلاقات الفرنسية الجزائرية الى غاية الحصار
أ- قبل الثورة الفرنسية
ب- بعد الثورة الى غاية الحصار 1827
- 2- حادثة المروحة
- 3- الاسباب الحقيقية للاحتلال
أ- اسباب سياسية.
ب- اسباب اقتصادية.
ت- اسباب اجتماعية
ث- اسباب دينية
- 4- الحملة الفرنسية على الجزائر والمعارك قبل احتلال مدينة الجزائر
أ- معركة سطواوي.
ب- معركة سيدي خالف
ت- معركة حصن الامبراطور
- 5- اتفاقية الاستسلام

1. العلاقات الفرنسية الجزائرية الى غاية الحصار

تميزت العلاقات الفرنسية الجزائرية بالتذبذب، تتسم تارة بالصدافة والسلام وتارة بالتوتر والدخول في مواجهات الى غاية الحصار البحري على مدينة الجزائر ثم شن الحملة العسكرية عليها واحتلالها.

أ. قبل الثورة الفرنسية أي قبل 1789م:

تقارب عثماني فرنسي طول فترة ق16 الى غاية النصف الأول من القرن 17م خلال فترة سليمان القانوني حيث منح امتياز لفرنسوا الأول كان لكلاهما مصالح من وراء هذا التحالف. وكنتيجة لهذا التحالف منحت الدولة العثمانية لفرنسا حرية الملاحة في كافة المياه الإقليمية التي تسيطر عليها الدولة العثمانية، كما منحتها امتيازات اقتصادية في الجزائر المتمثلة في تأسيس أول شركة فرنسية لاستثمار المرجان (شركة لانش) وكان ذلك سنة 1561م. وتطورت العلاقات بإقامة علاقات دبلوماسية بتأسيس أول قنصلية فرنسية في الجزائر سنة 1580.

تدهور العلاقات خلال المنتصف الثاني ق 17 م حينما ارادت فرنسا اقامة قواعد عسكرية على السواحل الشرقية للجزائر باشتداد الصراع الذي ادى بالقصف الفرنسي للجزائر خلال الفترة الممتدة من (1663-1688) حيث تعرضت الجزائر ل9 مرات لمحاولة الغز وإلا أنها باءت بالفشل، ونتيجة لتعكر العلاقات الفرنسية العثمانية ما ترتب عنه إلحاق خسائر فادحة للتجارة الفرنسية، توجهت الحكومة الفرنسية ازاء السلطان العثماني للتدخل من اجل إعادة التعاون التجاري مع الجزائر والسماح لفرنسا بإعادة بناء المراكز التجارية وتحسينها.

ب. بعد الثورة الفرنسية:

تعرضت فرنسا مع نجاح ثورتها لسنة 1789م إلى حصار سياسي واقتصادي من طرف الدول الأوروبية الملكية، لقد عانت فرنسا من جراء هذا الحصار حيث عصفت بالخرينة إلى إفلاس وتهديد البلاد بمجاعة هو ما جعل فرنسا إلى إعادة النظر في علاقتها مع الدول العثمانية بشكل عام وداي الجزائر بشكل خاص، حيث طلبت منها

المساعدات بتزويدها بالقمح ومنحها قرض مالي، ولظروف إنسانية استجابت الجزائر لطلب فرنسا.

وحيثما قام نابليون بغز ومصر (1798-1801)، طلب الباب العالي من الجزائر الدخول في حرب ضد فرنسا إلا أنها رفضت لأن لا تخدم مصالحها، ومن جهته قام نابليون بتجديد علاقات السلم مع الجزائر مقابل إجبار إيالة الجزائر على إطلاق سراح المسيحيين العبيد التابعين للإمارات الإيطالية التي أصبحت تابعة للإمبراطورية الفرنسية، وكان هدف نابليون من إبرام السلم مع الجزائر لربح الوقت، حيث كانت السواحل الجنوبية لبحر الأبيض المتوسط من مشاريع نابليون للتوسع على حسابها.

بدأت العلاقات في توتر منذ أن أعتل على عرش إيالة الجزائر حسين باشا سنة 1818م، واشتدت أكثر للأسباب التالية:

- اختراق الجزائر المعاهدات والاتفاقيات المبرمة مع فرنسا وخاصة الاقتصادية حيث وقعت تجاوزات في قنصلية فرنسا بعناية بحجة وذريعة تهريب، حيث منحت تراخيص مخافة للقانون للإقامة والتجارة على سواحل مناطق قسنطينة بإعطاء الموافقة لكل من المفاوضين الانجليز وكذا البلدان الإسلامية، وفرض حق ضريبي تعسفي ب 10% تم وضعه على السلع المحظورة لهذه المدن على حساب أموال الامتيازات الفرنسية.
- قيام البحرية الجزائرية سنة 1826م بعملية حجز سفن فرنسية ووضع أيدهم على الأموال، كما تم حجز سلع فرنسية من سفينة إسبانية وبالتالي اختراق الجزائر الاتفاقية المبرمة مع فرنسا، زيارات تعسفية على السفن الفرنسية من قبل البحارة الجزائرية، كما أصبحت السيادة الفرنسية في مدن ساحلية الشرقية مهددة. وهذه الأفعال المرتكبة من طرف الإيالة رأت فرنسا أن الجزائر اخترقت الاتفاقية والمعاهدة إضافة إلى ذلك، هناك ديون تقدر ب

2500000 ف على عاتق فرنسا لتسديدها ليهود الجزائر (بوشناق والبكري)
من صادرات القمح لفرنسا التي كانت خلال السنوات الأولى من الجمهورية
الفرنسية.

1. حادثة المروحة 29 أفريل 1927م

تقدم القنصل الفرنسي مثله مثل بقية الوفود الأجنبية المتواجدة في الجزائر خلال
مراسيم احتفال بعيد الفطر الذي يصادف 29 أفريل من سنة 1827م إلى داي حسين
لتقديم التهاني، أثناء المحادثات بين الداي وقنصل دوفال عن العلاقات بين الدولتين،
حيث رفع دوفال مسألة اختراق الايالة لبعض بنود الاتفاقيات المبرمة بينهما، فرد من
جهته الداي على أن الاختراق كان من طرف فرنسا التي لم ترد على مراسلات الداي
المتعلقة بديون اليهوديين (بوشناق وبكري)، وبذلك حمل الداي المسؤولية للقنصل
دوفال، وكان جواب هذا الأخير: "إن الملك والدولة الفرنسية لا يمكن إرسال الردود
على الرسائل التي أرسلتها لهم"، وهاجم الداي بعبارات مهينة للديانة الإسلامية، لم
يتحكم الداي في غضبه، فضرب القنصل دوفال على مرتين بالروحة¹.

بسماع الحكومة الفرنسية بهذا الخبر، طلبت من قنصلها مغادرة الجزائر سنة
1828م، وتحقق ذلك في جوان من نفس السنة، طالب من جهته داي حسين
بتخريب المؤسسات الفرنسية الموجودة في القل مما جعلها تغادر الجزائر ليبدأ
الحصار الفرنسي في جولية من نفس السنة بقيام 13 سفينة حربية بقيادة النقيب
كولي (Collet) في حين لم يكن بحوزة الداي امكانيات بحرية عسكرية لفك الحصار
المفروض من طرف الاسطول الفرنسي².

¹. Sans auteur, Victoires et conquêtes des français en Afrique depuis 1830 j'jusqu'à 1848, op.cit, p. 7.

². Fallet Cellin, conquête de l'Algérie p.46.

وبعد سنتين من الحصار الذي لم يعط نتائج (لم يتأثر الداي بالحصار لأنه كان يملك فائض من الذهب)، قررت الحكومة الفرنسية قبل اعلان الحرب منح الداي فرصة لتقديم الاعتذار وذلك بإرسال ممثل فرنسي لوبروتتير (Le Bretonier) في 30 جويلية 1929م إلا أن الداي رفض وقصف الباخرة الفرنسية مما زاد في تعكير الجو بين البلدين.

ردا على شرف التاج الملكي، وامتيازاتها في الجزائر التي فقدتها والممتلكات، ومن أجل تحقيق الأمن للسيادة وتحرير فرنسا وأوروبا من المشاكل الثلاث: القرصنة، وتحرير العبيد وكذا القبائل البربرية لدولة التي تفرض نفسها على القوى المسيحية. فباعت كل محاولات الإصلاح بالفشل، فكان السبيل الواحد للملك الفرنسي للانتقام اللجوء الى القوة المسلحة. ان كانت الذريعة التي اخذتها فرنسا لتبرير غزوها على الجزائر (قضية المروحة اي شرف فرنسا) الا ان هناك مجموعة من الاسباب والحيثيات الحقيقية والفعالة التي كانت وراء الغزو، فما هي هذه الأسباب؟

2. الأسباب الحقيقية للاحتلال

أ. أسباب سياسية:

- رغبة فرنسا في إقامة مراكز عسكرية من اجل تحصين شركاتها وامتيازاتها في الساحل الشرقي للجزائر خاصة القل وحتى تكون هذه المراكز قواعد عسكرية خلفية.
- تجسيد مشروع الاحتلال الفرنسي للجزائر الذي كان سائدا من عهد لويس 14 الى نابوليون بونابرت الذي اسر هذا الاخير احتلال الجزائر لقطع الطريق امام بريطانيا في حوض البحر الابيض المتوسط، قطع العهد باحتلالها لذا أرسل الضابط بوتان للتجسس لوضع خطة للغزو، الا ان مشروع نابوليون

تبخر بعد انهزامه امام التحالف الأوربي الملكي في معركة وترل وسنة 1814م.

- تم احياء مشروع الاحتلال بعد مجيء الاسرة الملكية آل بربون، وحينما اعتلى شارل العاشر العرش سنة 1824م الذي رأى أن الفرصة المواتية لتجسيد الحملة من اجل توجيه الراي العام الفرنسي الى الخارج وامتصاص غضب الشعب الفرنسي وكذا قطع الطريق امام بريطانيا في البحر الابيض المتوسط.

ب. أسباب دينية:

- ترى فرنسا انها هي المسؤولة على حماية المذهب الكاثوليكي، وبالتالي الانتصار على الجزائر يعتبر أنصار المسيحية على الاسلام اي انتصار الصليب على الهلال، وان تكون الجزائر بوابة لنشر المسيحية في افريقيا.

ج. أسباب اقتصادية:

- غنى الجزائر بالموارد المعدنية المتنوعة وجعلها خزان لتموين مصانع فرنسا بكون انها دخلت بقوة المجال الصناعي.
- خصوبة التربة وتنوع المناخ الذي يعطى تنوع في المحاصيل الزراعية وتغطية العجز الزراعي الفرنسي بالإنتاج الزراعي الجزائري.
- جعل الجزائر سوقا لترويج منتوجاتها حتى لا تتكدس السلع وتتوقف المصانع.

د. أسباب اجتماعية:

- التخلص من الفائض السكاني بارتفاع نسبة المواليد نتيجة تحسن المستوى المعيشي.

- التخلص من الفئة الاجتماعية المنحرفة، أي الفئة التي ليس لها مكانة في المجتمع الفرنسي (البطالين، اللصوص، المتشردين..)
- التخلص من المعارضة السياسية.

هـ. أسباب عسكرية:

- إقامة قواعد عسكرية لحماية مصالحها التجارية والاقتصادية عبر حوض البحر الأبيض المتوسط.

3. الحملة الفرنسية على الجزائر الناجحة في ظرف 21 يوما

- قامت فرنسا بأعلام الدول الأوروبية بالحملة العسكرية على الجزائر في الوقت القريب، لم تتردد الدول بالترحيب باستثناء بريطانيا، فأصبحت الحملة لا رجعة فيها.
- قامت فرنسا بتجنيد كامل قواتها العسكرية للمشاركة في الحملة والمقدرة ب 70 شخص منهم 40 ألف عسكري، أما الأسطول البحري مقسم الى 3 وحدات بحرية وحدة خاصة بالمعركة، وحدة خاصة بالإنزال والوحدة الثالثة هي وحدة الاحتياط، ويضم الأسطول السفن الحربية إلى جانب أكثر من 400 سفينة شراعية مخصصة لنقل المواد الغذائية.
- كانت بداية الصعود بتاريخ 11 ماي 1830 صباحا من ميناء تولون وآخر يوم هو 16 ماي أي ان مدة الركوب دامت 5 أيام¹.

¹. Sans auteur, Victoires et conquêtes des français en Afrique depuis 1830 jusqu'à 1848, op.cit., p. 11.

- أعطيت إشارة الانطلاق يوم 25 ماي على الساعة الثانية زوالا. من سفينة قائد الأسطول الرائد (أميرال) دوبيري.
- كانت للرياح العكسية التي هبت أثناء قطع الأسطول للبحر تأثير حيث آخر في عملية إنزال القوات الفرنسية.
- عين د بيرمون قائد الحملة العسكرية.
- حينما علم الداى حسين بالحملة، أسرع للاستتجاد وطلب المساعدة العسكرية من البايات الثلاث وكذا من الدول المجاورة (تونس، المغرب وطرابلس)، إلا أن الداى لم يتحصل على أي مساعدة الدول المجاورة، فكان عليه الاعتماد على القوات المحلية.
- القى الأسطول الفرنسي مرساه على شاطئ سيدي فرج مساء 13 جوان ومن سخافة الداى وقادته العسكريين أنه لم تحدث مقاومة فعلية باستثناء بعض الطلقات المدفعية الموضوعة فوق تلأل البريجة (سطاوالي) واصابة فرد من لقوات الفرنسية ليعم السكوت حين غروب الشمس.
- عند فجر يوم 14 جوان وبالذات على الساعة الرابعة صباحا، أعطي الضوء الأخضر للقوات الفرنسية للنزول على الأرض (ساحل سيدي فرج) وإجبار القوات المحلية التراجع للوراء وترك المجال للقوات الفرنسية، حيث استمر الإنزال طيلة يوم للقوات الفرنسية والأسلحة والمؤونة...، (معركة سيدي فرج). أما يوم 15 تم إنزال كامل المعدات والمستلزمات...،
- وفي 17 جوان، سيطر الأسطول الفرنسي على كامل ساحل سيدي فرج.
- وفي 18 جوان، نزل كامل الجيش الفرنسي، وتمكن من السيطرة على مرتفعات المنطقة وعلى كامل شبه جزيرة سيدي فرج. كما استحوذ على مدفعية برج تور شيكا (Torre-Chica) الذي حول الى مركز القيادة العسكرية للقوات الفرنسية.

- وبعدها شرعت الهندسة العسكرية إقامة معسكر كبير ليكون مركزا للقوات الفرنسية للتخطيط العسكري للشروع في التوسع الى غاية إسقاط السلطة والاستلاء على مقرها.
- تحسبا للتوسع وتقدم القوات الفرنسية اتجاه المدينة ولتصدي لها تجمعت قوات ايالة الجزائر تحت قيادة ابراهيم أغا والمتكونة من قوات البايك الثلاث زائد شيوخ القبائل بقواتهم تحت امر بن زعموم بلغ عددهم بين 25 الى 30 ألف في سهل سطاوالي واقامة حصن.

أ. معركة سطاولي 19 جوان 1830

تميزت المعركة بقيام القوات الجزائرية بقيادة إبراهيم أغا بتعداد 40.000 من افراد وعتاد عسكري¹ في صبيحة يوم 19 جوان بعد توغلها في الضباب الكثيف بشن هجمات متتالية على الخطوط الأولى للقوات الفرنسية بتقدم المشاة واطلاق النار ثم تبعها الفرسان والحاق خسائر في صفوف القوات الفرنسية إلا أن القوات الفرنسية تصدت لها ودامت الهجمات 20د، لترد القوات الفرنسية المدعمة بالمشاة والمدفعية بهجوم شامل لتلحق هزيمة نكراء بالقوات الجزائرية بانسحابه كليا تاركة المعسكر الجزائرية تكسوه الجثث، وتسيطر القوات الفرنسية على المعسكر وتضع يدها على كل ما وجد في المعسكر: 8 المدافع البرونزية كبيرة عيار، 400 خيمة، المجوهرات، الذخيرة الحربية، العديد من قطعان الإبل والأغنام، انه يوم لا ينسى، بينما قدرت خسائر العدو قتل اكثر من 60 عسكري وجرح ما يفوق 500، وبسيطرة القوات الفرنسية على معسكر ابراهيم أغا، قضى

¹. Sans auteur, Victoires et conquêtes des français en Afrique depuis 1830 j'jusqu'à 1848, op.cit., p. 8.

الجنرال دي بورمون ليلته في خيمة ابراهيم أغا، كما أقامت القوات الفرنسية معسكرها في شراكة، وقد أعطى الانتصار الفرنسي في معركة سطوالي الثقة والشجاعة للجيش الفرنسي مما حفزه على التقدم نحو مدينة الجزائر.

ب. معركة سيدي خالف 24 جوان 1830م

- بانسحاب القوات الرسمية من معسكر سطوالي وترك المجال للقوات الفرنسية التي أقامت فيه معسكرها، وتقابلها القوات الجزائرية بقيادة قائد جديد وهو باي التيطري (مصطفى بومزراق) على بعد 3 كلم في مرتفع (هضبة سيدي خالف) حيث يوجد ضريح الولي الصالح سيدي خالف.

كانت هذه المرة المبادرة من دي بورمون بشن العمليات العسكرية، ففي فجر 24 جوان، شنت الفرق الفرنسية هجومها باتجاه القوات الجزائرية المتجمعة في سيدي خالف التي اجبرتها من الانسحاب والتراجع من منحدر لأخر الى غاية مرتفعات التي تطل على مدينة الجزائر (الابيار وبوزريعة).

وفي الساعة الرابعة زوالا، تقدمت القوات الفرنسية الأمامية نحو مدينة الجزائر ووصلت الى بني مسوس صانعة خط يمتد من حوش دلي ابراهيم الى حائط بوزريعة بجانب الولي الصالح سيدي بوناقا بالذات في بني مسوس.

كانت هذه المعركة عنيفة على القوات الفرنسية حيث فقد دي بورمون أحد أولاده الأربعة وهو اميدي دي بورمون (Amédée De Bourmont) الابن الثاني.

ت. معركة برج الامبراطور (28 جوان)

بتقدم القوات الفرنسية نحو مدينة الجزائر، اصطدمت بمدفعية البرج العسكري وبدأت الاشتباكات، وتموقت القوات الفرنسية أمام برج الامبراطور (مولاي حسان)

(المبني في ترتقان، يرجع تاريخه الى حملة شارلكان على مدينة، حيث شرع القوات البحرية في تحصين المكان للتصدي للغز والمسيحي، ولكن تمكن القوات الاسبانية من السيطرة على المرتفع حيث اقيمت خيمة شارلكان في هذا المكان، ليعطي الضوء الاخضر لبنائه في الليل لذا يطلق عليه العرب خلال هذه الفترة بحصن بوليلة، وبعد ان تمكن الأتراك السيطرة عليه اعيد بنائه خلال 4 سنوات ليعطي اسم برج مولاي حسان).

- على بعد أمتار من مدينة الجزائر، في 28 جوان، وقعت اشتباكات بين القوات الجزائرية والقوات الفرنسية الأمامية بعد تعزيز وتدعيم موقعهم قرب برج الإمبراطور.

- وفي 29 جوان تمكنت القوات الفرنسية من السيطرة على مراكز التي كانت تسيطر عليها القوات الجزائرية قرب البرج، ليقم دي بورمون قيادته العسكرية في عين المكان وتعزيز مركزها بحفر الخنادق وتوجيه المدفعية اتجاه البرج ومحاصرته من كل الاتجاهات.

- وفي 1 جويلية، تعرض الحصن للهجوم والقصف، وفي نفس اليوم، قام فوج من السفن الحربية الفرنسية بقيادة الاميرال روزافيل بالتقدم من ساحل مدينة الجزائر من جهة باب عزون وقصف الحصن وتفجيره، لتهياً الطريق امام القوات البرية للهجوم للسيطرة عليه.

- وبسقوط البرج، خرجت الفرق العسكرية لبابلك الشرق والغرب من مدينة الجزائر وعائدة الى مراكزها.

وشك سقوط مدينة الجزائر وفتح المحادثات

وجهت مدفعية برج باب عزون والقصبة قصفها في اتجاه برج الإمبراطور حيث تتمركز القوات الفرنسية، وفي يوم 2 جويلية تقوم من جهتها القوات الفرنسية مع

القوات البحرية قصف حصن باب عزون وساحة القصبة لتسكت مدفعيات القوات الجزائرية حيث تتمكن القوات الفرنسية وضع يدها على مدفعيات القوات الجزائرية، وخوفاً أن تتعرض القصبة إلى الدمار والخراب ومجزرة لسكانها، ما كان على الداي إلا الاستسلام بفتح باب التفاوض والمحادثات من طرف ممثل له (الأمين العام لداي الجزائر وهو سي مصطفى) للاتصال بقائد الحملة (د بيرمون)، دارت المفاوضات كالتالي :

- اقتراح الداي " الاعتذار وفتح المجال للامتيازات الفرنسية وكذا تعويض فرنسا لكل خسائرها في هذه الحرب وعلى ان يبقى الداي سلطان الجزائر وسحب القوات الفرنسية".

- رد دي بورمون: " إن مصير مدينة الجزائر العاصمة والقصبة بين قبضتي، انني في موقف سيد لان برج الامبراطور وجميع المواقع الحساسة والمئات من المدافع الفرنسية والمدافع التي انتزعت من يدي الجزائريين تمكنني في غضون ساعات من تحويل مدينة الجزائر والقصبة الى خراب ودمار، وبعدها سوف يتعرض كل قصر الداي والسكان الى عملية الاقتحام. وإذا أراد حسين إنقاذ حياته وحياة الأتراك وسكان المدينة، فعليه إلا الاستسلام وتسليمه القصبة وجميع حصون المدينة والحصون الخارجية في الحين "

حيث طلب المفوض على ان تكون هذه الشروط موثقة من يد القائد ومؤشرة ومختومة لان خاف ابراهيم من الداي ان ينقل له الخبر.

- من جهتهم قام الإنكشاريين (الديوان) منزعجين من سياسة الداي اتجاه فرنسا إرسال مفوض للقائد العسكري طالبين منه التريث حيث وعدوا بخلع الداي وفتح ابواب الجزائر للامتيازات الفرنسية" إلا ان القائد لم يعترف بمفوض الديوان واشترط ان تكون المفاوضات مع الداي فقط.

- كما اتصل بالقائد مرسلين أندلسيين من الرجال الأثرياء في الجزائر يحسنون اللغة الفرنسية للوساطة والتوسل له حتى لا يقصف المدينة.

كون دي برمون مجلس من الضباط لتحرير الشروط حتى لا تتعرض المدينة للخراب ثم لاقتحام، هذه الشروط هي بمثابة مشروع معاهدة الاستسلام حيث تصبح وثيقة رسمية بعد التوقيع عليها من طرف الداي.

ث. اتفاقية الاستسلام المبرمة بين قائد الحملة (دي برمون) وحاكم إيالة الجزائر الداي حسين

نصت المعاهدة على ما يلي:

- تسليم حصن القصبة وجميع حصون مدينة الجزائر وكذا ميناء المدينة للقوات الفرنسية هذا الصباح على الساعة العاشرة بتوقيت فرنسا.

- يلتزم قائد أركان القوات الفرنسية بمنح داي الجزائر الحرية الكاملة وكامل ممتلكاته الشخصية.¹

- تمنح للداي حرية للانسحاب رفقة عائلته وممتلكاته إلى أي مكان يريد الإقامة فيه طالما هو موجود في الجزائر هو وعائلته يكون تحت حماية قائد القوات الفرنسية، يخصص له حراسة لضمان أمنه وكذا أمن عائلته.

- يضمن القائد العام لكامل جنود المليشيات نفس المزايا ونفس الحماية.

- حرية ممارسة وأداء العقيدة المحمدية.

¹ Sans auteur, Victoires et conquêtes des français en Afrique depuis 1830 j'jusqu'à 1848, op.cit, p. 7.

- تعهد القائد القوات بشرفه على احترام حرية السكان بجميع شرائهم، ولا يتم اختراق دينهم، تجارتهم، صناعتهم واحترام نسائهم. بعد توقيع الاتفاقية من جانب الداي لم يبق طويلا ليشد الرحال الى نابولي مطأطئ الرأس.

المحاضرة الثالثة: ظهور الزعامات الوطنية ودولة الأمير عبد القادر

عناصر المحاضرة:

1- ظهور الزعامات الوطنية.

2- دولة الأمير عبد القادر.

مقدمة:

بعد توقيع الداي حسين على اتفاقية الاستسلام وتسليم مفاتيح مدينة الجزائر الى القوات العسكرية بقيادة دي بورمون، شد الرحال الى نابولي مطأطئ الرأس مع حاشيته وعائلته الى جانب الإنكشاريين تاركا ورائه الحكم والسلطة شاغرة دون ان ليجر كذلك الإنكشاريين على معادة الجزائر. السؤال المطروح من يملئ الفراغ؟

1. ظهور الزعامات الوطنية:

بتسليم داي حسين حاكم ايالة الجزائر مفاتيح المدينة لدي بورمون بعد توقيع على اتفاقية 5 جويلية 1830 م وبالتالي أصبح كرسي الحكم شاغرا، ظهرت شخصيات التي كانت متحمسة للزعامة كان أول من حاول ان يمسك بالزعامة بعد رحيل الداي حسين باي التيطري بحكم ان اقليم هذا الاخير قريب من دار السلطان اي مدينة الجزائر، شارك بومزراق في التصدي للحملة الفرنسية ومن اهم معارك الذي قادها

معركة "سيدي خالف 24 جوان 1830م"¹، تمكن بومزراق تكبيد القوات الفرنسية خسائر جسيمة في الارواح ومنهم ابن دي بورمون ولكن عجزت القوات الجزائرية ايقاف الزحف الفرنسي على مدينة الجزائر.

عاد بومزراق لبايلك "تيطري" عازما على مواصلة المقاومة، ففي 2 اكتوبر، جهز جيشا قويا وزحف الى المتيجة في اتجاه مدينة الجزائر الا ان القوات الفرنسية تفتنت لهو تصدت له وتابعت الى المدينة، فوجد نفسه محصورا من الجنوب الصحراء التابعة لأحمد باي عدوه و من اسمال القوات الفرنسية ما ادي بتسليم نفسه الى القوات الفرنسية في 3 نوفمبر 1830².

وبعد تسليم بومزراق أصبح التيطري دون ولي فكان التنافس بين احمد باي والامير عبد القادر على بايلك التيطري. اما في شرق الجزائر (بايلك الشرق)، بعد عودة احمد باي من مدينة الجزائر بعد مشاركته في مواجهة الحملة الفرنسية، واستقر في بايلك قسنطينة واصراره على المقاومة، حاول أحمد باي العديدة من المرات إقناع السلطان العثماني بالاعتراف به واليا على الجزائر، وإمداده بمساعدات عسكرية يستعين بها على قتال الفرنسيين، لكنه لم يحصل منه سوى على وعود وتشجيعات وذلك خوفا من فرنسا، اما غربا كما تخلي الباي "حسن" الذي كان يحكم ايالة الغرب عن السلطة يوم جانفي 1831، وقد جاء هذا الاستسلام للعدو بعد أن قام الجيش الفرنسي باحتلال ميناء المرسى الكبير يوم 4 جانفي 1831.

¹. Sans auteur, Victoires et conquêtes des français en Afrique depuis 1830 jusqu'à 1848, op.cit., p.15.

² Henri jean F. Edmond Pélissier de Reynaud, Annales Algériennes, Paris,1954, chap.1, p.148.

تميزت هذه المرحلة بالثورات والمقاومات الشعبية، الانتفاضات وعمليات الاعتداء على مصالح وممتلكات الوجود الأجنبي الفرنسي الذي خاض عقود من الحروب لإنهاء مقاومة الشعب الجزائري في الوقت الذي كان يتوقع استسلام الأهالي بسهولة، فكانت مقاومة الشعب الجزائري عنيفة ودامية، وقال أنجلز في غضون هذا الموضوع ما يلي: "قد تم احتلال الجزائر الا بعد اخضاعها منزل بمنزل سواء في مدينة صغيرة أو كبيرة وحدث ذلك بعد توضحيات لا تحصى ولا تقدر من سكان الأهالي لان القبائل العربية والأمازيغية ترى في السيادة والاستقلال شيء مقدس وكانت تفضل التضحية بالنفس والنفيس علي الاهانة والسيطرة، تعرضت هذه القبائل لمدهمات وغارات رهيبية حيث أحرقت ودمرت منازلهم وممتلكاتهم وكما أتلقت محاصيلهم الزراعية علي آخرها أما السكان المتواجدين في هذه الأماكن تعرضوا لأبشع الجرائم وأساليب القمع والاضطهاد¹، والأمثلة كثيرة التي تعكس الشراسة والوحشية الغزاة المتمثلة في أقوال الجنرالات الفرنسيين المشاركين في التوسع تناولها الكثير من الكتاب ومن أشهر السفاحين الكونت هريسون الذي قاد عدة حملات التوسع وتكلم عن حملة إجرامية، دموية انتهت بملء برميل من الأذان تم اصطيادها زوجيا، إضافة لذلك تعرضت القرى للنهب والتخريب والحرق، فهي تدخل في سياسة إبادة الأهالي وتعويضهم بالمستوطنين مثلما فعلها الأمريكيون مع الهنود الحمر².

كان من رواد المقاومة الشعبية رجل عسكري ورجل دولة وهو الأمير عبد القادر الذي لم يستسلم إلا سنة 1847م وفق شروط وبعد خيانة فادحة من الداخل (القبائل العربية) والخارج (السلطان المغربي)، وان كانت هذه الاخيرة في الغرب فان شرق

¹. Karl Marks, Friedrich Engels, textes sur le colonialisme, éditions Moscou : Edifions du progrès, Paris, 1977, p.190

². Lacoste, Nouschi, Prenant, L'Algérie, passé et présent, Editions sociales, Paris, 1960, P.305.

الجزائري هو والآخر عرف مقاومة تحت رئاسة أحمد باي، كما كانت الجزائر مسرحا للمعارك والانتفاضات والثورات عبر كامل مناطق حسابها. استمرت المقاومات الشعبية بعد استسلام عبد القادر ولكنها لم تكن عنيفة وعلى نطاق واسع من ارض الجزائر بل كانت ظرفية، محددة، سريعة الإخماد، وأستمر الوضع هكذا إلى غاية الانتفاضة الكبرى لسنة 1870م بقيادة الإخوة الحداد والمقراني المنتميان للطريقة الرحمانية التي كانت شرارتها الأولى في قسنطينة لتمتد إلى القبائل ثم الغرب والأطلس الصحراوي، وقد شارك في المقاومة المئات الآلاف من المقاومين الجزائريين أي حوالي ثلثي البلاد، انتهت مقاومة 1871م بالانهزام والاستسلام. اتسمت عموما المقاومات المسلحة التي خاضها الشعب الجزائري طيلة القرن 19 ا بخصوصيات منها نقص التنسيق والتنظيم، وعدم شموليتها، وجرت في ظروف معينة محليا (ضعف الوعي القومي، النظام القبلي، نقص في العتاد العسكري...) ودوليا (الظاهرة الاستعمارية)، هو ما جعل المقاومة الشعبية الجزائرية تفشل في تحقيق هدفها، عكس ثورة المنتصف الثاني من ق 20 التي جرت في ظروف مغايرة تماما التي كللت بتحقيق هدفها وأمال الشعب الجزائري. إن كانت مقاومة الأمير ومقاومة 1871 من المقاومات العنيفة والقوية ضد المحتل الفرنسي إلا أن المقاومات الشعبية الجزائرية لم تتوقف رغم أنها كانت محلية و ظرفية واستمرت إلى غاية الحرب العالمية الأولى ومن أهمها مقاومة 1872م التي عرفت منطقة جنوب قسنطينة(بسكرة، تقرت وورقلة) وثورة الزيبان (بسكرة) في سنة 1876م، وثورة الأوراس سنة 1897، وفي سنة 1881 في جنوب وهران، وفي سنة 1882 في المزاب، كما لم تتوقف الاعتداءات الشعب الجزائري على المحتل حيث سجلت سنة 1895م 8389 عملية الهجوم على الممتلكات التي استحوذ عليها الأوروبيون¹. كما تم تسجيل بين 1886

¹. Charles Robert Ageron, Les musulmans Algériens et la France, tome 2, P.U.F,

إلى 1894م ما يقرب من 51077 عملية اعتداء من نفس النوع اي بمعدل 5675 عملية كل سنة. كما تصدى سكان الطاسيلي والهقار وكل سكان الصحراء للغزو الفرنسي أثناء توسعه سنة 1902 و 1903م، كما عرف شرق الجزائر غليان سنة 1908م، أما سنة 1916م فقد شهدت حركة مناهضة للتجنيد الإجباري المفروض على الشباب الجزائري والتي مس مناطق مختلفة من الجزائر،:قسنطينة، التيطري وغرب الجزائري، حمل سكان بني شقران السلاح للتعبير عن رفضهم التجنيد الإجباري واشتبكوا مع القوات الفرنسية، أما في الشمال القسنطيني تعرضت عدة مزارع المسلوية من قبل الأوروبيين لهجمات وتخريب من قبل سكان المنطقة تعبيرا عن رفضهم لسياسة التجنيد، كما ثارت الزاوية السنوسية في جنات (الصحراء) سنة 1915 م، التي شهدت عدة معارك،، وفي سنة 1916م رفض قبائل الأوراس من جهتهم التجنيد الإجباري حيث تم الاعتداء على قوافل الناقلة للمجندين من اجل تحريرهم. كما ثارت قبائل التوارق الهقار سنة 1917 و 1918م بشن هجمات على القوات الفرنسية بين منطقتي ورقلة وتمنراست التي أسفرت بالقضاء على بعض الكتائب الفرنسية

2. دولة الامير عبد القادر:

أتبع الأمير استراتيجية محكمة ومدروسة لتأسيس الدولة الجزائرية الحديثة يظهر ذلك من خلال ما يلي:

• توحيد الصف

عندما تولى عبد القادر الإمارة، كانت الوضعية الاقتصادية والاجتماعية صعبة، لم يكن له المال الكافي لإقامة دعائم الدولة إضافة إلى وجود معارضين لإمارته، ولكنه

لم يفقد الأمل إذ كان يدع وباستمرار إلى وحدة الصفوف وترك الخلافات الداخلية ونبذ الأغراض الشخصية... كان يعتبر منصبه تكليفا لا تشريفا، وفي نداء له بمسجد معسكر خطب قائلا: «إذا كنت قد رضيت بالإمارة، فإنما ليكون لي حق السير في الطليعة والسير بكم في المعارك في سبيل "الله"... الإمارة ليست هدفي فأنا مستعد لطاعة أي قائد آخر ترونه أجدر مني وأقدر على قيادتكم شريطة أن يلتزم خدمة الدين وتحرير الوطن».¹

إن وحدة الأمة جعلها الأمير هي الأساس لنهضة دولته واجتهد في تحقيق هذه الوحدة رغم عراقيل الاستعمار والصعوبات التي تلقاها من بعض رؤساء القبائل الذين لم يكن وعيهم السياسي في مستوى عظمة المهمة وكانت طريقة الأمير في تحقيق الوحدة هي الإقناع أولا والتذكير بمتطلبات الإيمان والجهاد، لقد كلفته حملات التوعية جهوداً كبيرة لأن أكثر القبائل كانت قد اعتادت حياة الاستقلال ولم تألف الخضوع لسلطة مركزية قوية. بفضل إيمانه القوي انضمت إليه قبائل كثيرة بدون أن يطلق رصاصة واحدة لإخضاعه بل كانت بلاغته وحجته كافيتين ليفهم الناس أهدافه في تحقيق الوحدة ومحاربة العدو، لكن عندما لا ينفع أسلوب التذكير والإقناع، يشهر سيفه ضد من يخرج عن صفوف المسلمين أو يساعد العد ولتفكيك المسلمين، وقد استصدر الأمير فتوى من العلماء تساعد في محاربة أعداء الدين والوطن، ولم ينحصر وجوده في إقليم وهران بل توسع على سهل الشلف وإقليم التيطري الغاية سطيف واسترجع معسكر وتلمسان.

حاول توحيد القبائل وإعطاء بعدا وطنيا وعمل من اجل تحقيق الوحدة الوطنية تقوم على مقومات الدين وطرده الأجنبي الكافر (اي الاستقلال)، ويقوم على تأسيس دولة، حيث أنشأ مؤسسات ذات أبعاد بالغة الأهمية تهدف إلى إعطاء الجزائر وشعبها نوع

¹ انظر: يحي بوعزيز، الأمير عبد القادر رائد الكفاح الجزائري، الجزائر 1964، ص 45

من الوحدة الوطنية وانشأ بين القبائل رابطة التضامن الإداري وتحقيق العدالة واحترام قوانين اللهو السنة النبوية، لذا حينما أعلنت فرنسا الحرب سنة 1841م ليس ضد زعيم وإنما ضد دولة في طور التكوين أهتم عبد القادر بتنظيم البلاد بعد اعتراف فرنسا انه سلطان العرب بتحويلها من قبائل الى شعب موحد، كما شرع في حملة على التيطري لإجبار قبائلها الخضوع لسيادته و دفع الضرائب، هذه القبائل كانت تشكل قوة تعرقل مشروع الأمير، تقع هذه القبائل جنوب بوغار وهي: أولاد نايل، أولاد المخطار، دواوير التيطري، أولاد عبيد، أولاد موسى والزناخرة، رفضت هذه القبائل ان تخضع لسيادة الامير ورفضت دفع الضرائب، وجه لهم الامير رسالة كأخر إنذار للخضوع إلا أنه لم يتلق أي جواب. أعلن الامير الحرب عليهم بعدما جمع كامل قواته عبر الأقاليم المسيطر عليها وتمكن من إخضاعهم. في الوقت الذي حقق فيه الأمير الانتصار في الجنوب.

الاهتمام بالأخلاق ومحاربة التبذير: قام الأمير بإصلاحات اجتماعية كثيرة، فقد حارب الفساد الخلقي بشدة، ومنع الخمر والميسر منعًا باتًا ومنع التدخين ليبعد المجتمع عن التبذير، كما منع استعمال الذهب والفضة للرجال لأنه كان يكره حياة البذخ¹.

تكوين الجيش: كان الأمير يرمي إلى هدفين: تكوين جيش منظم وتأسيس دولة موحدة، وكان مساعده في هذه المهمة مخلصون. لقد بذل الأمير وأعوانه جهدًا كبيرًا لاستتباب الأمن، فبفضل نظام الشرطة الذي أنشأه قُضي على قُطّاع الطرق الذين كانوا يهجمون على المسافرين ويتعدّون على الحرمات، فأصبح الناس يتنقلون في أمان وانعدمت السرقات. ان إنشاء عبد القادر لحصون في المناطق الداخلية من الجزائر(السلسلة الأطلسية) بوغار، تازا، سعيدة وتقدمات) لها دلالة وابعاد حيث

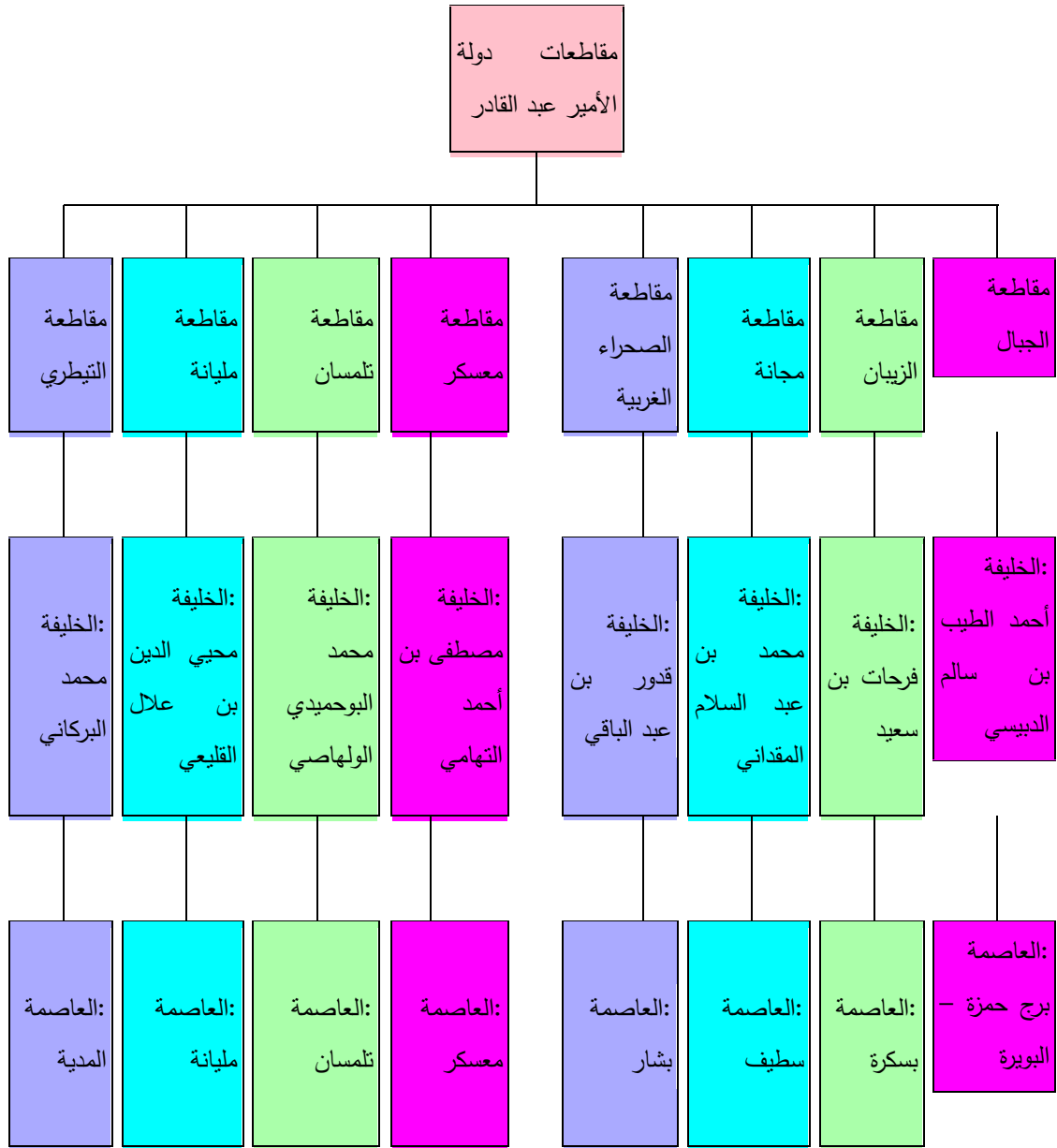
¹ يحي بوعزيز، المرجع السابق 65

يدخل في الدفاع عن السيادة الوطنية كما له ابعاد سياسية واقتصادية واقامة الصناعة الحربية لتقوية قواتها في المناطق الداخلية(تأقدمات، بوعار، تازا، سعيدة)¹، كما انشأ جيش نظامي على طراز الدول الحديثة.

تنظيم إدارة الدولة: قسّم الأمير التراب الجزائري إلى 8 وحدات أو مقاطعات وهي: مليانة، معسكر، تلمسان، الاغواط، المدية، برج بوعريّيج، البويرة، بسكرة، سطيف.

ولقد شكل الأمير وزارته التي كانت تتكون من 5 وزارات وجعل مدينة معسكر مقراً لها، واختار أفضل الرجال ممّن تميّزهم الكفاءة العلمية والمهارة السياسية إلى جانب فضائلهم الخُلقية، ونظّم ميزانية الدولة وفق مبدأ الزكاة لتغطية نفقات الجهاد، كما اختار رموز العلم الوطني وشعار للدولة (نصر من اللهو فتح قريب) وكان أحمد بن سالم خليفة على "مقاطعة الجبال" ضمن هذه المقاطعات الثمانية في دولة الأمير عبد القادر الجزائري الظاهرة في المخطط التالي:

¹. Paul Fournier, l'état d'Abdelkader et sa puissance en 1841, d'après le rapport du sous-intendant militaire Massot, revue d'histoire et contemporaine, 1967, pp.123-157.



المحاضرة الرابعة: مقاومة الامير عبد القادر 1833-1847.

عناصر المحاضرة:

- 1- الوضع العام في المنطقة الوهرانية قبل الاحتلال اي سنة 1832
- 2- بداية مقاومة الامير عبد القادر.
- 3- مراحل مقاومة الامير عبد القادر:
 - أ- مرحلة الانطلاق والقوة (1832-1837):
 - ب- مرحلة بناء دولة الامير عبد القادر (السلم والهدوء)
 - ت- مرحلة الضعف والتراجع واستسلام الامير.

1. الوضع العام في المنطقة الوهرانية سنة 1832 م اي قبل المقاومة:

كان الإقليم الغربي للجزائر يتسم بفراغ سياسي وعدم الأمن، نتيجة تخلي الباي "حسن" الذي كان يحكم إيالة الغرب عن السلطة يوم 7 جانفي 1831، وقد جاء هذا الاستسلام للعد وبعد أن قام الجيش الفرنسي باحتلال ميناء المرسى الكبير يوم 4 جانفي 1831

ومن جهة أخرى بعث حضر سكان تلمسان بوفد إلى السلطان المغربي " عبد الرحمن بن هشام " يطلبون منه الحماية وبعد تردد قبلها، فأرسل في شهر نوفمبر 1830 خليفته مولاي سليمان رفقة قوة من الجيش المغربي ليتولى حكم تلمسان، فاحتج الجنرال كلوزال على هذا التدخل في الجزائر وهدد المملكة المغربية، إلا أن سلطان المغرب لم يأخذ تهديداته بجدية وواصل عمله، وعندما توسع نفوذ المغرب في الغرب الجزائري شعر الفرنسيون هذه المرة بالخطر الذي أصبح يهدد مصالحهم ونفوذهم في الجزائر، فبعثت الحكومة الفرنسية مذكرة احتجاج وأرسلت إلى سواحل مدينة طنجة المغربية يوم 18 نوفمبر 1831 سفينتين حربييتين، وأمام هذا الضغط

الدبلوماسي والعسكري استسلم في الأخير السلطان المغربي لأوامر الملك الفرنسي " لويس فليب " وسحب قواته من التراب الجزائري.

ومن جهة أخرى، كانت الاقليم مقسمة ومشتتة الى 5 مناطق تحت تأثير شخصيات: في الشرق قرب حوض الشلف كانت تحت تأثير سي العربي (Sy-el-Aribi)، أما ي الغرب (تلمسان) تحت زعامة بن نونة (Ben-Nouna) الملقب بالخليفة، في الشمال قرب وهران تحت تأثير مصطفى بن اسماعيل ابن المزاري قائد المخزن سابقا. في الجنوب الشيخ الغماري قائد القبيلة الكبيرة (الانكاد)، أما في الوسط يسيطر محي الدين.

ولملاء الفراغ السياسي في الغرب الجزائري بادر الجنرال كلوزال إلى تعيين باي تونس حاكما على وهران بموجب الاتفاقية التي تمت بين الطرفين يوم 4 فيفري 1831، وهذا مقابل دفع ضريبة سنوية لحكومة فرنسا. إلا أن قوات باي تونس انسحبت بسبب عدم وجود أية سلطة تدفع رواتبهم وكذلك بسبب استياء باي تونس من المبلغ المالي الكبير الذي يدفعه الى فرنسا. وهناك بعض الروايات تقول أن قوات باي تونس انسحبت لأنه وجد أمامه خزينة فارغة من الأموال.¹

وأمام هذا الوضع القائم في اقليم الغرب الجزائري التجأ سكانه إلى شيوخ الزوايا ولم يجدوا أفضل من الشيخ محي الدين كقائد يوحدهم ويقود المقاومة، فطلبوا منه الامارة فرفضها وقبل الجهاد في سبيل الله.

¹ هنري تشرشل: حياة الأمير عبدالقادر، ترجمة أبو القاسم سعد الله،....الجزائر، 1975، ص 45

2. بداية مقاومة الأمير عبد القادر:

أ. كقائد في صفوف جيش والده:

أظهر عبد القادر في مشاركته بجانب والده محي الدين في المعارك الذي خاضها هذا الأخير ضد القوات الفرنسية في وهران كمعركة خنق النطاح الأولى يوم 4 ماي 1832م ومعركة خنق النطاح الثانية في 4 جوان 1832 الفنون الحربية والبراعة في الفروسية والشجاعة حيث ابهر رفاقه في المعارك.

- **بيعة الأمير عبد القادر:** بعد المعارك الذي خاضها الجزائريين في الغرب وشارك فيها عبد القادر تيقنوا بأن المعركة مازالت طويلة مع العد ومن جهة، وأن الاقليم محتاج إلى شخص ينظم إدارته من جهة أخرى. ولهذا عرضت قبائل وأعيان الغرب للمرة الثانية من الشيخ محي الدين الامارة بتاريخ 22 نوفمبر 1832، قائلين له " إلى متى يا محي الدين ونحن بلا قائد؟ إلى متى وأنت واقف جامد متفرج على حيرتنا. أنت يا من يكفي اسمه فقط يجمع كل القلوب لتدعيم وتماسك القضية المشتركة..." وقد أضاف أحد الحاضرين قائلاً لمحي الدين " عمت الفوضى في البلاد والعد ودخل المساجد، وأحرق الكتب، وهدم الدور على أصحابها، ولا بد من سلطان له سلطة شرعية، وقد اخترناك لتحمل هذه المسؤولية." لكن الشيخ محي الدين اعتذر مرة أخرى لكبر سنه وقال «أشكركم على ثقّكم واعتذر عن عدم قبول هذا المنصب، فأنا الآن أقوم بواجبي الديني والوطني مجاهداً في سبيل الله كأي أحد منكم." وفي ذات الوقت لم يمانع في ترشيح ابنه قائلاً " إن كان رأيكم وثقتكم بولدي عبد القادر كرأيكم بي فأنا متنازل له عن هذه البيعة، فتشاوروا فيما بينكم، وإذا عقدتم العزم فموعدنا في سهل غريس تحت شجرة الدردار صباح الاثنين 27 نوفمبر 1832." وهذا ما حدث

بالفعل فقد تمت مبايعة الأمير عبد القادر في نفس المكان وفي نفس الموعد، بايعوه بالإمارة ولقبوه بـ " ناصر الدين " وكانت هذه البيعة الأولى. وبعد البيعة الأولى، وقعت بيعة ثانية (البيعة العامة) في قصر الإمارة بمعسكر في 4 فيفري 1833.

ب. بداية مقاومة الأمير عبد القادر كأمر وقائدا للجهاد:

كان قبول الأمير البيعة وان يكون أمير للمسلمين ليس من باب الشرف والمنصب ولكن لقيادة الجهاد والمقاومة، فما هي دوافع مقاومة الأمير؟
دوافع مقاومة الأمير عبد القادر:

- بداية توسع الجيش الاستعماري الفرنسي في الغرب بعد احتلال وهران في 4 جانفي 1831.
- اشتداد الحاجة إلى قيام دولة جزائرية تقود الجهاد ضد الغزاة الفرنسيين.
- الغيرة الشديدة على الدين الإسلامي والوطن والحرص على صيانة أسس المجتمع الجزائري.
- انتشار الفوضى في المناطق الغربية، وحرص الأمير على توحيد القبائل وتنظيمها. خاصة بعد تخلي الدولة العثمانية والدول الجارة عن نجدة الجزائر لمواجهة العدوان.

3. مراحل مقاومته:

مرت مقاومة الأمير عبد القادر بثلاث مراحل نلخصها فيما يلي:

أ. مرحلة الانطلاق والقوة (1832-1837):¹

سميت هذه المرحلة بالانطلاق لأنها شهدت بداية مقاومة الأمير عبد القادر للاحتلال الفرنسي كأمر وقائد للجهاد، وبداية بناء اللبنة الأولى للدولة الجزائرية الحديثة هذا من جهة، ووصفت من جهة أخرى هذه المرحلة بالقوة لأن ميزان القوة كان لصالح قوات الأمير حيث تفوق في أغلب المواجهات العسكرية بينه وبين العدو، وانتهت هذه المرحلة بإبرام معاهدة التافنة التي اعترفت فيها فرنسا بدولته.

وفيما يلي نستعرض أهم الأحداث التي شهدتها هذه الفترة:

اتخاذ معسكر عاصمة له، باعتبارها ان قبائل هذه المنطقة اختاروه قائد الجهاد ومنطقة انطلاق الجهاد. شرع الأمير في تشكيل حكومته في فيفري 1833، وتعيين القضاة، وتنصيب الولاة في مختلف أنحاء الإمارة، كما شكل مجلسا للشورى من 11 عالما، أنه كان يدقق في اختيار خلفائه وأعوانه، فكان يتحرى فيهم الكفاءة والقوة والتقوى. وبمرور الوقت أنشأ الأمير كذلك الدواوين والإدارات المركزية. عمل الأمير على توحيد القبائل حول مبدأ الجهاد وتحت سلطته، وانتزع من الفرنسيين كثيرا من القبائل التي كانت قد تحالفت معهم، كما ألزمها بالتشبث بأرضها. وبالمقابل اعتبر المتعاونين معهم مرتدين عن الإسلام.

مقاطعة المحتلين ومحاصرة مراكزهم في وهران ومستغانم، وحملهم على الخروج من معقلهم لقتال بالداخل، توسع نفوذ الأمير ليشمل كل الغرب الجزائري ماعدا وهران ومستغانم وأرزيو، كما توغل شرق وهران واخضاع كامل اقليم الشلف الى الونشريس شرع في تكوين جيش نظامي وطني. وأمر عبد القادر شيوخ القبائل العربية بعدم

¹العربي إسماعيل، المقاومة الجزائرية تحت لواء الأمير عبد القادر، ط2، ش.و.ن.ت، الجزائر، 1982. ص.

إجراء اي اتصال مع الفرنسيين والتعامل معهم كليا حتى تجاريا (اجراء حصار اقتصادي ضد القوات الفرنسية داخل مدينة وهران).

كما تمكن عبد القادر إخضاع مدينة تلمسان، ومنها توجه إلى مستغانم لمساعدة قبيلتين (الزماله، الدوائر) في معركة خاضها دي ميتشال عليهما في أوت 1833م، وبدخول عبد القادر المعركة تمكن من تعديل التوازن لصالح العرب وتكبيد قوات العد وبخسائر فادحة.¹

فانتصار الذي حققه عبد القادر في أول معركة ضد قوات العد وجعلت عرب القبائل أكثر شجاعة وتمسكا وثقة بأميرهم الجديد. وكانت عنايته الأساسية موجهة للتخلص من كل العراقيين التي يمكن ان تهدد الصالح العام أو تضر بخطته العامة. ترتب اللقاء الأول 4 فيفري 1834 واللقاءات التي تلتها (شرط عبد القادر وشروط دي ميشيل) الى التوقيع عن معاهدة بين الطرفين التي كانت في 26 فيفري.

2-محتوى الاتفاقية ديميشال:

المادة الأولى: توقف الحرب بين الفرنسيين والعرب منذ اليوم، وان القائد العام للقوات الفرنسية والامير عبد القادر لن يدخرا جهدا في الحفاظ على الاتحاد والصداقة التي بين شعبين حكما عليهما القدر أن يعيشا تحت نفس السلطة، ولها الغرض سيقم ممثل والامير في مستغانم ووهران وأرزيو، ولمنع الصدام بين العرب والفرنسيين سيقم ضباط فرنسيين في معسكر.

المادة الثانية: ان الدين وعادات العرب تبقى محل احترام.

المادة الثالثة: إطلاق جميع المساجين من الطرفين في الحال.

المادة الرابعة: حرية التجارة ستكون كاملة وشاملة.

¹العربي إسماعيل المرجع السابق 88

المادة الخامسة: ان العسكريين الفرنسيين الفارين سيعيدهم العرب، ونفس الموقف سيتخذ ازاء كل العرب المجرمين الذين يفرون من قائلهم نح والفرنسيين تفاديا للعقاب فهؤلاء سيقبض عليهم في الحال ويسلمون الى ممثل الأمير في المدن الساحلية الثلاث المحتلة من الفرنسيين.

المادة السادسة: كل أوروبي سيعطى له في حالة الرغبة في سفر في داخل البلاد جواز سفر موقع عليه من ممثلي الأمير ومصادق عليه من طرف القائد العام، حتى يجدوا المساعدة والحماية في كامل الإقليم. اختراق معاهدة دي مشال وتجدد المعارك وانتصار كبير لعبد القادر في معركة المقطع 28 جوان 1835م استئناف المواجهة والمعارك بين القوات الفرنسية وقوات الأمير بعد تعيين تريزال مكان دي ميشال على إقليم وهران في فيفري 1835م حيث كان معارضا لما نصت عليه الاتفاقية، رغم أن الحاكم العام الكونت ديرلون كان عكسه (غير معارض للاتفاقية)، وهوما لمسناه من الرسالة التي بعثها عبد القادر ولكن بزيارة الحاكم العام لإقليم وهران وقام الامير باستدعائه لفتح التفاوض معه إلا أن تريزال عرقل اللقاء وأقنع الحاكم العام على عدم الاستجابة للدعوى باعتبارها خطوة غير سياسية وفي غضون مارس 1935م دخلت كل من قبيلة الزمالة ودواوير في مفاوضات مع الجنرال تريزال، حيث اشترط عليهم تريزال للدخول في مفاوضات شريطة عودتهم مثل ما كانوا في عهد الاتراك اي "المخزن" قوات تابعة للجيش الفرنسي"، علم الامير بواسطة قنصله في وهران "بن احو"، وافقت القبيلتين وتخلت على كل ممتلكاتها واقتربت من مدينة وهران "مسرعين" ويلتحق بها تريزال ليقم فيها معسكر للدفاع عن القبيلتين وتم الاتفاق بينهما تحت اشجار التين "Figuier" وتم ابرام معهم اتفاقية التي تضمنت: 10 مواد ومن اهمها المشاركة مع القوات الفرنسية اثناء الحملات في الجزائر ان هذه الاتفاقية هي التي كانت سبب في تجدد الحرب بين عبد القادر والقوات الفرنسية، فراسل عبد القادر تريزال موضحا انه إجراء مخالف لما نصت عليه الاتفاقية مع دي ميشال، فرد

هذا الأخير إن الأمر لا يتعلق بفرد عربي وإنما قبائل بكاملها هي التي فضلت السلطة الفرنسية على سلطة الأمير. ويرى الأمير أن القوات الفرنسية اخترقت المعاهدة، ضيف إلى ذلك أن القوات الفرنسية حينما أصبح ينقصها الشعير أغارت على مزارع بني هاشم والغربة، لذلك أرسل عبد القادر فرسانه عند نهر السيق، وحين سمع تريزال خرج بقواته بتعداد يفوق 5000 عسكري ومعدات حربية في 26 جوان 1835م، ليفاجئه عبد القادر في منطقة سيق، وتبدأ الاشتباكات في غابة "مولاي إسماعيل" لتتكبد القوات الفرنسية خسائر وقتل الكولونيل "أودينو"، وهو ما جعل القوات الفرنسية تتسحب حتى يتفادى خسائر أكبر. انسحب الجنرال تريزال في وقت متأخر من الظهر بصعوبة وحاول جمع وتنظيم قواته، وإقامة معسكره على حوض السيق ليقضي الليلة متأملاً هزيمته الأولى التي ليست إلا مقدمة للكارثة الكبرى في المقطع، فكان على تريزال بذل كل طاقاته وفن حروبه للخروج من الحالة والوضعية الصعبة الذي يتخبط فيها، فكان من الصعب جدا ان يتجاوز الممر والغابة ليدخل الى السهل حتى يتفادى ويتجاوز المخاطر. بعد ان امضي ليلة 27 جوان في سيق، واصل تريزال في اليوم الموالي الانسحاب في اتجاه وهران، ولكن أصبح من جديد محصورا وصعوبة المرور عند نهر المقطع حيث قام عبد القادر بالإسراع لاحتلال المكان ويفاجئهم بهجوم مباغت ويلحق بهم هزيمة نكراء. يعتبر معركة المقطع هي احدى اكبر النكسات والخسائر المؤلمة التي تعرضت لها فرنسا خلال فترة احتلال وتوسع فرنسا على الجزائر ويقول عن المعركة انها بدأت في 25 جوان في غابة مولاي اسماعيل(غابة بين تليلات وسيق) وتستمر الى 26 بسقوط كولونيل Oudinot وتنتهي يوم 28 جوان بهزيمة نكراء للقوات الفرنسية - نفس

الاحصائيات وهي 280 قتيل، 500 جريح، 17 سجين مجموعة من العتاد الحربي.¹

معاهدة تافنة 30 ماي 1837 بين الأمير عبد القادر والجنرال بيجو:

بعد انتهاء من مهامه العسكرية بإخضاع معسكر وتلمسان، عاد كلوزيل إلى الجزائر وترك المهام لدرلانج ليفتح الطريق بين تلمسان ووهران بإقامة معسكر فرنسي في تافنة لشق الطريق نح وتلمسان لتموين القوات الفرنسية في تلمسان وكان ذلك في 16 أفريل 1836م بقوات عسكرية 3200 والغرابية، رسم عبد القادر من جهته خطة لإفشال المشروع لذا تمركز بندرومة لمراقبة مدى انجاز المشروع-وهران-تافنة، تافنة-تلمسان.

خرج بارلانج لإنجاز المشروع، فعلم الأمير وأعطى أوامر للقبائل العربية للتجنيد لمواجهة برلانج وقواته، وظل الأمير يتقرب تقدم القوات الفرنسية الى ان وصل الى مكان طبيعي (هضبة) ليقوم بمحاصرة قوات برلانج في المكان لمدة تزيد عن 49 يوما حيث عانت القوات الفرنسية من الجوع والعطش ولم تتمكن من الخروج بسبب المحاصرة المفروضة من طرف قوات عبد القادر، فظل ينتظر النجدة الى ان غاية وصول بيج ورفقة 3 فرق عسكرية الوافدة من فرنسا لإنجاز مهمة فك الحصار تافنة وكذا تموين المعسكر الفرنسي في المشاور (تلمسان). بعد ان تمكن من فك الحصار على مركز تافنة اتجه صوب تلمسان من اجل التموين، اصطدم مع قوات الأمير في وادي سيكاك **la Sikak**، حيث تكبدت قوات الأمير خسائر كبيرة مقدرة ب 250 قتيل و 1200 جريح، 130 سجين وحجز 500 بندقية.

بعد هذه الهزيمة تخلت عنه القبائل والتحق بديارها أما عبد القادر التحق بندرومة حيث يتمركز قواته النظامية. فخلال 7 أشهر، تمكنت القوات الفرنسية الدخول الى

¹ Paul Fournier, op.cit. pp.123-157.

معسكر، وتلمسان وأخيرا الحاق عبد القادر هزيمة نكراء في سيكاك، ولم يفقد الأمير الآمال وظل مصر أن يواصل الكفاح والجهاد الإسلامي رغم خيانة وتخلي الكثير من القبائل عن الأمير كلما تعرض للهزيمة.

تيقن كلوزال بعد الحملتين في منطقة وهران ان لا بد من احتلال المناطق التالية الموازية للمناطق الساحلية اي كل (قسنطينة، مليانة، معسكر وتلمسان) وعدم بقاء القوات الفرنسية محصورة عبر السواحل، لكن لتحقيق هذه الأهداف انتقل الى باريس لإقناع الحكومة بقبول هذا المشروع مع تدعيمه بقوة مقدرة ب آلاف عسكري،

ان تنظيم حملة على قسنطينة تساعد كثيرا شؤون عبد القادر لان في كلا الحالتين يرى عبد القادر انه يحقق انتصارا لان في حالة انهزام الباي، يمكن لعبد القادر ان يكون سلطان على كامل العرب ويتخلص من عدوه المحلي الذي يرى انه داي الجزائر بعد استسلام الداي حسين، أما في حالة الانهزام يجب على الكافر الفرنسي الانسحاب من الجزائر. نظرا لهذه الاعتبارات لم يقوم عبد القادر بزعة القوات الفرنسية وإنما تركها وشأنها مع الحملة على القسنطينة.

وفي شهر نوفمبر من سنة 1836، شرع كلوزيل في محاصرة أحمد باي، امتنع عبد القادر من أي إجراء لأنه يرى في هذه الحرب هو المستفيد سواء خسروا ام انتصروا (انهزام احمد باي يعني التخلص من منافسه في الزعامة والسلطة وتدخل المنطقة الشرقية تحت سلطته) في حين ل وان احمد باي ينتصر يجعل الفرنسيون يغادرون الجزائر مما ينشب صراع بينه وبين احمد أحمد باي يكون شديد وطويل المدى.

فأغتم هذه الفرصة لتعزيز تواجهده، خاصة بعد التجربة الحملة على معسكر وتلمسان، فذهب يعزز قواتها في المناطق المتأخرة القريبة من الصحراء الجزائرية ببناء حصون مستغلا الظروف وشرع في بناء حصن تاقدمت سنة 1836 وفي بوغار، سعيدة ومليانة. وبانهزام القوات الفرنسية في حملة قسنطينة نهاية 1936م، اغتتم عبد القادر الحالة والوضعية السيئة للجيش الفرنسي في الجزائر معلنا الحرب على الادارة

الفرنسية (شن الحجوطيين بقيادة بن صغير خليفة مليانة هجمات على ممتلكات الفرنسية في بوفاريك)، اما في الغرب تطبيق الحصار اقتصادي على مدينة وهران.

استغل عبد القادر موقعه القوي والوضع والحالة السيئة للقوات الفرنسية في الجزائر لإرسال قنصله السابق في مدينة الجزائر بن دوران اليهودي الى الجنرال (Brossard,) لجس النبض حيث طرح الفكرة على الجنرال وهي التالية: " ان ثكنة وهران بحاجة الى قمح ولحم والأمير بحاجة الى حديد ورصاص، ويقوم كل واحد منكما بمنح الآخر ما يحتاجه و كل واحد يحقق ما يحتاج إلى هـ، ويضيف قائلا ان عبد القادر يضل بعيدا عن هذا الاتفاق وأنا الذي يكون في الواجهة وأتكفل بكل المهام، فقط ان الأمير يكون على علم بأن اللحم موجه إلى كم وأنت تكون على علم ان الحديد يوجه الى الأمير، وافق الجنرال بروسار على الصفقة، فكانت هذه الصفقة في مصلحة الامير لتقوية جيشه، كما تجسدت الصفقة بتمويل كل من مركز مشاور بتلمسان وثكنة وهران وفي المقابل تحصل الامير على الحديد والرصاص واستطاع اطلاق سراح 130 اسير لدى القوات الفرنسية، هكذا كان الوضع سائد في مقاطعة وهران.

حينما تم تعيين بيجوا في مقاطعة وهران حيث منحت له صلاحيات خاصة شبه مستقلة عن الحاكم العام الجديد الذي حل محل كلوزيل ودمديرون (Damrémont) وجدت الحكومة الفرنسية نفسها في مفترق الطرق بالنسبة للجزائر بعد اخفاقها في حملتها على قسنطينة وكذا إخفاقها في معركة المقطع، فرأت من الضروري الند للند إصلاح هذا الهزيمة مع إدراك فرنسا أنها تخسر أموال في حالة بقائها منحصرة في المناطق الساحلية، لذا أرادت تنظيم حملة على قسنطينة ولكنها متخوفة من المقاطعة الغربية حيث يتواجد الأمير لذا فكرت في إبعاده سواء عقد معه معاهدة أو القضاء على قواته. اختارت فرنسا التفاوض، يرجع الفضل إلى عبقرية يهودي(دوران) Ben Durand الذي قام بدور الوساطة ليقرب بين الأمير وبيج ولفتح باب التفاوض، إلا

أن الأمير رفض التفاوض مع بيجو وإنما التفاوض مع الحاكم دمرون (Damrémont) لأنه صاحب السلطة في الجزائر، دار التفاوض على تكون الحدود عند الشلف، ولكن حينما سمع بيجو، لام الحاكم العام أن الشروط مبالغ فيها، فتوقفت المفاوضات. وصل الجنرال بيجو الى وهران نهاية مارس 1937م على رأس 9000 عسكري ليتوجه إلى تلمسان لتموينها ثم ينزل إلى تافنة الذي وصل إلى ها في 23 ماي 1937م دون أي اختلال خلال كل هذه المسافة إلا بعض الطلقات النارية من العرب، فخلال هذه الفترة، طلب الأمير من بن دوران أن يتصل ببيج و ليبلغه انه مستعد للتفاوض معه عن منطقة وهران، أما منطقة التيطري والجزائر يخصصها للحاكم العام، أصبح بيجو لا يثق في بن دوران لذا غير الوسيط ليعين شخصية مقربة إليه و هو سي حمادي بن سيل (Sidi-Hamadi-Ben-Seal)، ليأتي هذا الأخير باقتراحات أو شروط الأمير لتكون أساس التي تبني عليها الاتفاقية. ولكن السلطات الفرنسية حددت شروط للجنرال للتفاوض والمتمثلة في: الاعتراف الأمير بالسيادة الفرنسية، تحديد سلطة الأمير الى وادي الشلف، دفع الضرائب. إطلاق سراح الرهائن قبل التفاوض. ولكن بعد المد والجزر بين عبد القادر وبيج وتوصلا في الأخير إلى توافق الذي انتهى بتوقيع معاهدة تافنة التي تحتوي على 12 مادة وهي مؤشرة من طرف الجنرال بيجو والأمير عبد القادر.

المادة 1: يعترف الأمير بسلطة فرنسا في الجزائر¹

المادة 2: يبقى لفرنسا في إقليم وهران: مستغانم ومزغران وهران وأرزيو وأراضيها يحدها شرقا: نهر المقطع والبحيرة التي يخرج منها بخط ممتد من البحيرة المذكورة فيمر على الشط الجاري إلى الوادي المالح على مجرى نهر سيدي سعيد ومن هذا النهر إلى البحر بحيث يصير ضمن كل ما في هذه الدائرة من الأراضي الفرنسية. وفي إقليم الجزائر: مدينة الجزائر مع الساحل وارض متيجة يحد ذلك شرقا: وادي

القدرة وما فوقه وجنوبا رأس الجبل الأول من الأطلس الصغير إلى نهر الشفة فيكون ضمنه القليعة مع أراضيها بحيث يصير كل ما في الدائرة من الأراضي للفرنسيين.

المادة 3: على دولة الفرنسية أن تعترف بإمارة الأمير عبد القادر على إقليم وهران وإقليم التيطري والقسم الذي لم يدخل في حكم فرنسا من إقليم مدينة الجزائر لجهة الشرق بحسب التحديد المعين في المادة الثانية ولا يسوغ للأمير أن يمد يده لغير ما ذكر من ارض.

المادة 4: ليس للأمير حكم ولا سلطة على المسلمين من أهل البلاد المملوكة لفرنسا وببإباح للفرنسيين أن يسكنوا في مملكة الأمير كما انه يبإباح للمسلمين أن يستوطنوا في البلاد التابعة لفرنسا.

المادة 5: إن العرب الساكنة في الأراضي الفرنسية تمارس ديانتها بحرية تامة ولهم أن يبنوا جوامع بحسب مرتبهم الديني تحت رئاسة علماء دينهم الإسلامي.

المادة 6: على الأمير أن يدفع للعساكر الفرنسية: ثلاثين ألف كيلة من الحنطة ومثلها من الشعير بمكيال وهران وخمسة آلاف راس من البقر يؤدي ذلك كله في مدينة وهران على ثلاثة قسوط الأول من غرة أغسطس (أوت) إلى الخامس عشر أيلول (سبتمبر) والقسطين الآخرين يدفعان بانتهاء كل شهرين قسطا.

المادة 7: يمكن للأمير أن يشتري من فرنسا: البارود والكبريت وما يحتاجه من الأسلحة.

المادة 8: يحق للذين يريدون أن يقيموا في تلمسان أو غيرها من المدن الإسلامية أن يتمتعوا بأملاكهم بكامل الحرية ويعاملون معاملة الحضر والذين يريدون منهم الانتقال إلى الأراضي الفرنسية تكون لهم الرخصة لبيع أملاكهم أو إيجارها بكل حرية.

المادة 9: على فرنسا أن تتخلى للأمير على اسكلة رشكون ومدينة تلمسان وقلعة المشور مع المدافع التي كانت فيها قديما ويتعهد الأمير بنقل الذخائر والأمتعة العسكرية التي للعساكر الفرنسية في تلمسان إلى وهران.

المادة 10: المتجر: (التجارة) يكون حرا بين العرب والفرنسوية وللجميع أن يتمتعوا بالتبادل في كل مكان.

المادة 11: تكرم الفرنسية عند العرب كما تكرم العرب عند الفرنسية وكل ما تملكته أو تملكه الفرنسية من الأملاك في بلاد العرب يكفل لهم حفظه بحيث يتمتعون به بكل حرية ويلتزم الأمير بان يدفع لهم الضرر الذي تحدثه النوايب فيها.

المادة 12: يكون رد المجرمين بين الطرفين بالتبادل.

المادة 13: يتعهد الأمير بان لا يعطي أحدا من الدول الأجنبية قسما من الشاطئ إلا برخصة من فرنسا.

المادة 14: لا يسمح بيع وشراء محصولات الإقليم... إلا في الأسواق الفرنسية.

المادة 15 : لدولة فرنسا أن تعين في المدن التي في مملكة الأمير وكلاء ينظرون في أشغال الرعايا الفرنسية وحل المشكلات التجارية فيما بينهم وبين العرب وكذلك للأمير أن يضع وكلاء من طرفه في المدن التي تحت إدارة الدولة الفرنسية¹

حرر في تافنة في السادس من ربيع الأول سنة ثلاث وخمسين ومائتين ألف (1253) أول يونيه (جوان) سنة سبع وثلاثين وثمانمائة ألف 1837 كما تم تحديد لقاء بين الطرفين وتبادلا الحديث بينهما في 31 ماي 1837م.

¹منقول باختصار من موقع: الأمير عبد القادر مؤسس الدولة الجزائرية

تقييم المعاهدة:

اعتراف دولة عظمى ومعروفة عالمية بسيادة سلطة أهالي الجزائر على ارض جزائرية وعلى شعب جزائري، جاء هذا الاعتراف نتيجة انتصارات عبد القادر.

تعد هذه المعاهدة تتويج لعظمة عبد القادر بتوسيع مجاله الجغرافي وأعطته السلطة على القبائل العربية والهيبة المعنوية، بقي لفرنسا سوى قليل من المناطق في إقليم وهران ضف الى ذلك عدم المحافظة على كامل إقليم مدينة الجزائر باستثناء الساحل وجزء من متيجة. كما تم الاتفاق على ان كل من إقليم وهران وإقليم التيطري وكذا إقليم الجزائر يصبحون تحت إدارة الأمير عبد القادر، وهكذا يصبح الأمير سيد لإيالة الجزائر القديمة، اما سيادة فرنسا على بعض الأراضي تبد وغير واضحة المعالم ومثيرة للجدل.

ان هذه المعاهدة جعلت من الأمير سلطان إيالة الجزائر باستثناء إقليم قسنطينة، فهو سيد ومستقل لأنه معفي من الضرائب وان المجرمين من الجهتين (إقليم فرنسا وإقليم عبد القادر) يتم ردهم، والحقوق المتعلقة بالعملة والعدالة لا يتم التأمين عنهما، وانه يتم التمثيل الدبلوماسي للفرنسيين لدى الأمير والعكس صحيح، وانه أصبح يملك جيش منظم وقوي فيمكن إبادتنا جميعا، فالمنتصر في المعاهدة هو الأمير(تعليق الجنرال دامريمون Damrémont على المعاهدة)اختراق بيج ولتعليمات وزارة الحربية التي طالبتة بمحاصرة عبد القادر في إقليم وهران وان لا يتخلى عنه لإقليم التيطري، وفق هذه المعاهدة ظل الفرنسيون محصورين في المدن الساحلية وأصبح عبد القادر يملك تقريبا ثلثين من الجزائر.طبقا لهذه المعاهدة، تصبح دولة الامير وفق الخريطة التالية:



مرحلة تنظيم الدولة (1837-1839) (الهدوء المؤقت) :

استغل الأمير عبد القادر معاهدة التافنة وعاد لإصلاح حال بلاده و ترميم ما أحدثته المعارك بالحصون والقلاع وتنظيم شؤون البلاد، وكذا لتعزيز قواته العسكرية وتنظيم دولته من خلال الإصلاحات الإدارية والتنظيمات العسكرية الآتية:

- تشكيل مجلس وزاري مصغر يضم رئيس الوزراء، نائب الرئيس، وزير الخارجية، وزير الخزانة الخاصة ووزير الأوقاف واتخذت هذه الوزارة من مدينة معسكر عاصمة لها.

التقسيم الإداري للبلاد إلى ثماني مقاطعات (ولايات) وكل ولاية يديرها خليفة، وقسم الولاية إلى عدة دوائر ووضع على رأس كل دائرة قائدا يدعى برتبة آغا وتضم الدائرة عددا من القبائل يحكمها قائد، ويتبع القائد مسؤول إداري يحمل لقب شيخ.

تنظيم الميزانية وفق مبدأ الزكاة وفرض ضرائب إضافية لتغطية نفقات الجهاد وتدعيم مدارس التعليم...الخ.

تدعيم القوة العسكرية بإقامة ورشات للأسلحة والذخيرة وبناء الحصون على مشارف الصحراء حتى يزيد من فاعلية جيشه.

تصميم علم وطني وشعار رسمي للدولة.

ربط علاقات دبلوماسية مع بعض الدول

مرحلة الضعف (1839-1847) حرب الابدانة:

1 - تأزم العلاقة بين الامير والحكومة العامة وعودة الصراع الذي ادى الى الحرب:

في الوقت الذي تمكن فيه عبد القادر من تنظيم البلاد سياسيا وإداريا واخضاع وتوحيد القبائل وتنظيم جيشه واقامة حصون واقامة صناعة الاسلحة خلال سنتين تقريبا، ومن جهة اخرى تمكنت القوات الفرنسية في نفس الوقت من رفع رايثها على أسوار قسنطينة بعد انتصارها في الاختراق واحتلال المدينة ليتسع نفوذها ويمتد الى شرق الجزائر وتخلصها من قوة في شرق البلاد.

تولى حكم الجزائر بعد موت دامديرون في الحملة على قسنطينة سنة 1937م المارشال فالي، يرى هذا الأخير ان معاهدة تافنة ضيقت عليه الخناق وأن تفسيرها غامض حيث يفسره كل طرف لمصلحته، لذا لا بد من تعديل محتواها إعادة النظر وتوضيح النقاط الغامضة، لان فرنسا بحاجة إلى ربط مستعمراتها الجديدة (قسنطينة) مع مدينة الجزائر.

هل كان وراء تصدع معاهدة تافنة كما يزعم فالي والسلطات الفرنسية المادة الثانية (الغامضة) حيث اختلف الأمير والسلطات الفرنسية في تفسيرها؟ ام ان المادة الثانية هي حجة وذريعة للسلطات الفرنسية لإعلان الحرب على عبد القادر للقضاء على مقاومته بعد الانتهاء من المقاومة في الشرق الجزائري وبالتالي تجسيد مشروع التوسع في الداخل بعد القضاء على مقاومة أحمد باي؟ لب المشكل يتجلى في عبارة ما وراء وادي قدارة؟ ففصل عبد القادر في هذه المسألة وتوسع على كل المناطق التي تقع ما وراء قدارة، ورغم محاولات السلطات الفرنسية إجراء تعديل عن هذه المادة اغتم فالي عبور بن عراش (Ben-Arach) لعرض عليه ملحق مشروع تعديل معاهدة تافنة وذلك بتوضيح المواد الغامضة في المعاهدة، الا أن مهمة بن عراش باءت بالفشل. وعاد بن عراش ثانية إلى مدينة الجزائر حامل توضيح النقاط الغامضة في المعاهدة، وبرفض السلطات هذا التعديل، رأى بن عراش انه يقوم بإحضار الأمير عبد القادر

الموجود في عين الماضي بقرب من المدينة، وخوفا من ان بن عراش يحرف التعديل أرسل فالي معه الضابط سال (Salles) وفي طريقهما الى عين الماضي وحينما وصلوا الى مدينة مليانة منعوا من مواصلة الطريق، فعاد الضابط الفرنسي إلى مدينة الجزائر.

فسر فالي هذا التصرف بان لا معنى لمشروع التعديل، فقام بإخطار الحكومة الفرنسية، وهذه علامة لإنهاء المعاهدة وعودة إلى الحرب من جديد.

كان عبد القادر خلال هذه الفترة في المدينة التي أخذها مقرا له لقربها من الجزائر خاصة بعدما عين الحاج عيسى خليفة عن الاغواط بعد أن أعلنت قبائل هذه المنطقة الجنوبية الانضواء تحت سلطة الأمير ما زاد الأمير أكثر قوة. ولكن الاغواط هي مقسمة الى منطقتين الأولى خاضع للحاج عيسى أما الثانية كانت تابعة الى التيجاني (الزاوية التيجانية بعين الماضي)، دخل عبد القادر في حرب مع عين الماضي التي استمرت 5 أشهر وتمكن من إخضاعها الا بعد الحصول على دعم من فرنسا وهكذا سقطت عين الماضي في يد عبد القادر في جانفي 1839م. وبعد ان التقى عبد القادر بين الأعراس علق على تعديل معاهدة تافنة إلا ان المحاولات باءت بالفشل وكانت آخرها في فيفري 1839م. وفصل نهائيا مجلس الأمير في المسألة بالجواب التالي : أفضل الحرب من الانسحاب من الأراضي المتنازع عليها، بعد فشل المفاوضات، اقترح فالي 3 اقتراحات وهي أولا: ان فرنسا لا تعترف بالحكام المعينين في أقاليم النزاع لان يمكن ان تحدث اشتباكات مع قواتنا تأتي تعمل على حماية الممتلكات الكولون في متيجة.

الاقتراح الثاني: الدخول مباشرة في حرب مع الأمير لإضعاف قواته واحتلال مليانة والتيطري.

الاقتراح الثالث: التخلص من حاكم حمزة واحتلال دلس.

في الوقت الذي كان فيه فالي يقدم اقتراحاته للحكومة، راسل الامير ملك فرنسا لشرح انه لم يمس بمعاهدة تافنة ويريد دائما السلم (رسالة مطولة الى ملك فرنسا) إلا ان الملك لم يرد على الرسالة أي دون جواب، فراسله الأمير ثانية الملك ولكن دون جدوى، كما راسل كذلك الحكومة الفرنسية الجديدة وهي حكومة تيرس (Thiers) التي خلفت حكومة مولي (Mole)، علق الامير أملا على أن تجديد الحكومة الجديدة لاقتراح إبرام السلم مع رئيس الوزراء الجديد، كما راسل الملك للمرة الثالثة كما راسل تيرس كما راسل كذلك المارشال الجديد للقوات الفرنسية لم يتراجع عبد القادر عن الأقاليم وفق ما هي محددة في المعاهدة وان العبور القوات الفرنسية الأقاليم التابعة له يعتبر تحديا واختراق لمعاهدة تافنة، ومن جهتها الحكومة الفرنسية لم تريد ان تتراجع عن ما أقره البرلمان الفرنسي والمتمثل في تعديل الاتفاقية. لذا اقرا الحكومة الفرنسية ان تقوم بحملة ضد البيان بقيادة ابن الملك الدوق أورليان بعبور كتيبة من القوات الفرنسية التي كانت متواجدة في قسنطينة بقيادة ابن الملك وقطعها الممر (البيان) الى وصولها بحملة على البيان بتاريخ 28 أكتوبر وقطعت الطريق من البيان الى مدينة الجزائر دون ان تتعرض لأي اعتداء من قوات الأمير.

كان الأمير في تاقدمت أثناء عبور القوات الفرنسية على البيان (اقليم تابع للأمير) فوصله الخبر وتقل إلى المدينة ووصل في يوم 3 نوفمبر، وفي نفس اليوم كتب رسالة الى الحاكم العام بالجزائر (فالي) وجاء في الرسالة ما يلي: "إذا تم إعلامي بعبور ابن الملك لرفقته ولكنكم أعلنتم أن المناطق الواقعة بين قسنطينة والجزائر ليس لها علاقة بالأمير، اذن قمتم باختراق المعاهدة، فأحذروا الحرب التي كنتم سببا فيها".

كما وجه الأمير رسالة إلى خلفاء الأقاليم طالباً منهم الاستعداد للحرب وتجنيد قواتهم والالتحاق به في المدينة، حينما شعر الحاكم العام بالخطر وان الامور جادة، قام بإرسال بن دوران للتفاوض مع الامير، حاملا له كلام الحاكم العام جاء فيه: "على الامير ان يتراجع على قراره ريثما تفصل في القضية حكومة باريس"

ولكن حلفاء الأمير أصرّوا على الحرب رغم أنها لا تخدم الأمير لعدم تكافؤ القوى وحذر بن دوران، وحتى الأمير لم يريد أن يغامر في الحرب ولكن إصرار خلفائه وإلحاحهم من جهة على الحرب كما أصبح العرب يتهمون الأمير بالمتواطئ مع الكفار.

اجتمع الحلفاء مع الأمير في اليوم الموالي (11 من شهر رمضان، 18 نوفمبر 1839م) ونادوا كلهم 'بالجهاد المقدس'، فرد الأمير بما أنكم تلحون على الحرب فأوافق ولكن شريطة أن هذه الحرب تكون صعبة وشاقة ومكلفة ومتعبة فعاهدوني على عدم الخيانة"، فكتب الأمير رسالة ووجهها مع بن دوران ليعلن الحرب على فرنسا

اعطى الأمير بتاريخ 20 نوفمبر الأمر الى كل من بن علال والبركاني لشن الهجوم على سهل متيجة من الغرب والجنوب، أما قوات بن سالم تتدخل من الشرق، فمزقت معاهدة تافنة دفنت بعد سنتين ونصف من السلم فقامت قوات الأمير بتخريب كل ممتلكات الكولون في متيجة وحتى بعض المراكز العسكرية فخلفت الرعب والدمار والخراب خلال 3 أيام، فطلب فالي التعزيزات فوصلت بعدد 33 ألف عسكري للسروع في الغزو والحرب على قوات الأمير عبد القادر.

- استئناف الحرب والغز الفرنسي واستسلام الأمير نوفمبر 1839-1847:

يمكن تقسيم الفترة من تجديد الحرب في 20 نوفمبر 1839 إلى استسلام الأمير الى مرحلتين وهما:

المرحلة الأولى من 1840-1844) وهي مرحلة الغزو وتوسع القوات الفرنسية.

المرحلة الثانية من 1844 الى 1847م (مرحلة الكر والفر للأمير عبد القادر).

المرحلة الأولى: صمم عبد القادر الخطة التي يواجه بها القوات الفرنسية لأنه كان على يقين أن فرنسا ستنتقم من العمليات الحربية والتخريبية التي قامت بها قواته، لذا

لا بد من التحضير للمقاومة، كما أعطى تعليمات لحلفائه، صمم خطة بعدما أصبح يعرف جيدا نقاط القوة للجيش الفرنسي، لذا تجنب المواجهة معه إلا بالصدفة، كما أعطى توصيات لضباط جيشه كي لا يهاجمون جماعيا قوات العدو، وإنما استفزازهم من حين لآخر وإتاعابهم ويكون الهجوم إلا إذا أتيحت الفرصة. اما خطة فالي استنتجها من التجارب الماضية للقوات الفرنسية حيث كانت تتسحب بعد غزوها للمدن مثلما حصل في معسكر وتلمسان وهو عكس ما حصل في شرق الجزائر وعليه لا ينتهي عملنا بإجبار عبد القادر الانسحاب من المدينة وإنما اقامة مراكز عسكرية في كل مدينة يتم احتلالها.

احتلال واقامة مراكز عسكرية في كل من شرشال والمدينة ومليانة:

فكانت مدينة شرشال هي الضحية الأولى التي أحتلها المارشال فالي في 1840، وباحتلالها أصبحت مليانة مهددة هي الأخرى وان هذا الواقع (تهديد مليانة) جعل الامير يقسم قواته من باب الحيطة والحذر، ومن شرشال توجه فالي الى المدينة عبر ممر الثنية، رأى الأمير انه المكان المناسب للقيام بعملية الهجوم على الأعداء ويكون بقيادته، فتعرضت القوات الفرنسية لمضايقة وصعوبات ولكن في الأخير تمكنت من احتلال مدينة الثنية لتصبح الطريق معبدة لاحتلال المدينة التي وجدها فالي خالية من السكان.

بعد اخضاع فالي المدينة عاد الى البلدة ليحضر لغزو مليانة على رأس 10 آلاف عسكري، بعدما احتل فالي كل من المدينة ومليانة بوجودها مخربة ومحرقة، أقام مراكز عسكرية فرنسية، فكان عليه ضمان تموينها من حين لآخر لكن ذلك كان يتطلب تعزيزات كبيرة للقيام بالعملية، وأثناء عمليات التموين وخروج قوات كبيرة تعرضت مراكز وممتلكات الكولون في متيجة الى هجمات تسببت في خسائر معتبرة للقوات الفرنسية كما تمكن الأمير من الصمود وخلق مشاكل للقوات الفرنسية وهو ما

أدى بالحكومة إلى تعيين بيج وحاكم عام على الجزائر بدلا من فالى الذي عمر في السن.

عودة بيج والى الجزائر كحاكم عام:

وصل بيج الى الجزائر في فيفري 1841م، وقبل ان يمسك زمام القيادة وصلت تعزيزات إلى 25 ألف ليرتفع عدد القوات الفرنسية بعد ذلك الى 80 ألف ومن جهته تعالى صوت الامير عبد القادر للنداء الى الجهاد في الداخل والخارج وتجنيد كرجل واحد لمقاومة الكافر المحتل وكانت استجابة واسعة حتى في تونس والمغرب التي كانت تمون الأمير بالبارود والأموال.

ركز بيج وعلى مليانة والمدينة بتقويتها عسكريا ليس فقط من اجل حمايتها والمحافظة عليها وإنما لإقلاق القوات الأمير المتواجدة بين الفرق الفرنسية المتمركزة هناك. ومن مليانة تتقدم في اتجاه سهل الشلف ودخل مستغانم، ومن مستغانم توغل في الداخل دون توقف ودون كلل حتى تم تدمير كل مراكز الأمير وإضعاف قواته، وكل منطقة أو مدينة يحتلها بيجو والا نصب فيها فرقة أو كتيبة عسكرية بقيادة ضابط، لتتحول هذه المدن من سلطة الأمير الى سلطة فرنسا وهي الخطة المعتمدة من طرف الحكومة الفرنسية. وقد ترتب عن هذه الخطة بروز وارتقاء ضباط شبان فرنسيين لتكتب أسمائهم في سجل التاريخ الفرنسي.

تدمير حصون الأمير (تاقدمت، بوغار، تازا) واخضاع كثير من المدن 1841-

1842:

بدأ بيج حملاته العسكرية في 1 أفريل 1841م، كانت مهمته الأولى تموين كل من مليانة والمدينة وترك جزءا كبيرا من قواته بقيادة براقاي هيليس (Baraguey-d'Hilliers) في إقليم الجزائر، ثم واصل طريقه من سهل الشلف متجها إلى مستغانم حيث كانت تنتظره قوات مقاطعة وهران ليقودها الى تاقدمت الحصن العسكري القوي

الذي يعتمد عليه الأمير، وصلت إليه قوات بيج وفي 24 ماي الا أنها وجدته مهجورا من السكان وتم تدميرها وحرقتها، وفي نفس اليوم تمكن هيليس (Baraguey-d'Hilliers) من إخضاع حصن بوغار وتازا وتدميرهما وحرقهما.

بعد أن تمكن بيج ومن تخريب تاقدمت وأثناء عودته منها زحف نح ومعسكر ليجدها هي الأخرى مهجورة من سكانها، فأحتلها وأقام فيها ثكنة عسكرية. ولكن خطة الأمير تقوم على أن بمجرد انسحاب القوات الفرنسية من المنطقة التي أخضعتها إلا جاء عبد القادر ليعيد الأمور مثلما كانت. وبوصول بيج وإلى مستغانم حتى راسله عبد القادر. شن بيجو الحملة الثانية (حملة الخريف) لإتمام ما أنجزه في حملة الربيع، حيث تفقد واخضع القبائل الواقعة في الجهة الشرق لسهل الشلف، وبعد إخضاعه لبعض القبائل، توجه بيجو نحو معسكر فتوغل في جنوبها باحتلال حصن سعيدة وإخضاعه.

وفي الوقت الذي كان بيجو يبحث عن الأمير عبد القادر ضانا انه اتجه نحو الجنوب الا ان عبد القادر تتصل واتجه شمالا حيث قام بحملة على الدواوير القاطنين على بعد 30 كلم من أسوار وهران والموالين لفرنسا (وان كل من قبائل الزمالة والدواوير وقبيلة يعقوبية) كلها في صف القوات الفرنسية. وحين سمع بيجو بالخبر فأتى عودته من الحملة أعطى الأوامر بتخريب وحرق قنيطرة مقر عائلة الأمير.

كانت نتائج الحملتين لسنة 1841: تقوية نفوذ الفرنسي في كل من مليانة والمدينة واحتلال حصون الأمير عبد القادر وعاصمته معسكر وإخضاع الكثير من القبائل العربية. ولكن رغم هذه النتائج المحققة الا كانت بعيدة عن تحقيق الأهداف وإضعاف الأمير.

بعد ان وقف بيجو على النقائص والهفوات، رأى من الضروري نقل القيادة العسكرية لمقاطعة وهران إلى معسكر حتى تقدم النجدة والحماية للقبائل المعادية للأمير

والقبائل التي تم إخضاعها وبالتالي فالقبائل الواقعة بين معسكر والشلف الى غاية البحر أصبحت خاضعة للامورسيار قائد قوات مقاطعة وهران، وأصبح تموين المناطق العسكرية الفرنسية التالية يجرى دون صعوبة لتبقى تلمسان المعقل الملجأ الوحيد للأمير، فكان على بيج واحتلال هذه المدينة وتم ذلك دون صعوبة.

بعدما تمكنت القوات الفرنسية إجبار عبد القادر الانسحاب من تلمسان، لم يريد الابتعاد عن المغرب الذي كانت تقدم له المساعدات، ما جعله يتمركز الأمير بين مرتفعات نادرومة، هذه القبائل الندرومية المتشعبة بالقيم الروحية والدينية التي وقفت المرات بجانب عبد القادر (محاصرة تافنة، معركة سيكاك)، تمركز الأمير في هذا الوادي ليراقب تحركات العدو.

بعد تعيين النقيب بيد و (Bedeau) قائد تلمسان، كلف بملاحقة عبد القادر في ندرومة الذي ضرب بقوة هذه القبائل وجعلها تأسس رابطة معادية للأمير وهو ما ترك الامير يغادر هذه المنطقة بعد انهزام قواته في أفريل 1842 ويتوجه نحو قبائل بني هاشم ليتوغل الى الصحراء.

ملاحقة القوات الفرنسية للأمير ورجوعه ثانية (الكر والفر):

في الوقت الذي كان فيه بيد ويشن حملة على ندرومة، خرجت 3 فرق عسكرية كبيرة، الأولى بقيادة بيجو (الحاكم العام نفسه) الذي تقدم نحو حوض الشلف حيث قام بمسح واخضاع كامل القبائل القاطنة على طول حوض نهر الشلف لتمون متوازية مع الفرقة العسكرية التي انطلقت من البليدة بقيادة الجنرال شنقارني (Changarnier) والفرقة العسكرية الثالثة التي قادها لامورسيار المطالب بالضغط على عبد القادر لإجباره على الانسحاب نحو الجنوب حتى لا يعود اخضاع ثانيًا القبائل التي تم السيطرة عليها من طرف القوات الفرنسية.

وفي الوقت الذي كان فيه لامورسيار يطارد عبد القادر والقبائل التي رافقته حتى سمع ان عبد القادر كان موجود بالقرب من معسكر لمعاقبة القبائل التي أصبحت

خاضعة لفرنسا ما جعله يعود من اين أتى ليطارد الامير ويبحث عن أثاره في كل اتجاه حيث تم الإشارة إليه، فتوغل عبد القادر بين البحر وفرقة بيجو اي الجهة الشمالية للشلف جنوب مليانة الذين تخلوا عنه في السابق ليعود ثانية الى الجنوب. ان حملة 1842م هي الاخرى حققت نتائج ملموسة رغم نقائصها والمتمثلة نقض العدد قوات الفرنسية لتوفير الحماية اللازمة للقبائل التي تم السيطرة عليها. تبدأ سنة 1843 بانتفاضة شاملة للقبائل التي تم إخضاعها، حيث بعودة الحاكم العام من الحملة ودخوله مدينة الجزائر حتى ظهر عبد القادر في سهل الشلف ومنطقة قبائل مناصرة (متيجة) متبوعا برفاقه في الجهاد (بن علال والبركاني)، اتسعت الانتفاضة لتعم كامل سهل متيجة والشلف، واجبرت الجنرال شنقارني (Changarnier) على التراجع لحماية الممتلكات الأوروبية في متيجة، وبعد تقسيم القوات الفرنسية الى فرق وبدأ هجوم لدفع الامير على التراجع للظهرة ومنها إلى بني وراغ (Beni-Ouragb). بالونشريس.

بينت هذه الانتفاضة للحكومة الفرنسية انه لا يكفي من مليانة وشرشال ومستغانم من اجل السيطرة على القبائل المتواجدة في هذا المثلث الواسع وانما لا بد ان تسيطر على مركز الوسط من اجل القاء بثقلها على القبائل وكذا غلق الحدود الجنوبية ويكون ذلك بإقامة مركز عسكري وهكذا تم تأسيس مدينة "أوريونفيل" على انقاض المدينة القديمة الأصنام وكذا إقامة مركز عسكري في تيارت على الحدود التلية، وفي الوقت الذي كان فيه الحاكم العام يفرض سيطرته على حوض الشلف، كان الجنرال لامورسيار يتحرك في منطقة تيارت مطاردا الأمير، كما دعمت القوات الفرنسية بالتحاق الدوق دومال الذي عين قائد القوات في المدينة الذي توجه جنوبا بحثا عن الزمالة، بدعم من أحد الخائنين الذي كشف عن موقع اقامة الزمالة، تدخلت قوات دومال لضرب بقوة الزمالة لتلحق بها خسائر كبيرة وبالتالي زوال "الزمالة" بتاريخ

16 مارس 1943م. كما تمكن الكولونيل تنبور (Tempoure) من القضاء على جيش بن علل بتاريخ نوفمبر 1843.

ج. المرحلة الثانية من 1844 الى 1847 (مرحلة الكر والفر للأمير عبد القادر)

خروج الأمير من الجزائر وإقامته بالمغرب رفقة قواته والمقربين إليه:

اضطر الأمير عبد القادر إلى الانسحاب إلى المغرب الأقصى أمام ضغط الجيش الفرنسي القوي طالبا من سلطان المغرب عبد الرحمن بن هاشم مساعدته محذرا إياه من سقوط الجزائر، لأن ذلك سيؤدي إلى سقوط المغرب وبلدان إسلامية كثيرة تحت السيطرة الاستعمارية، لكنه لم يستمع إلى نصائح الأمير بحجة مواجهة المتمردين ضده، وكأن مواجهة الشعب الثائر ضده أفضل من مواجهة العدو الكافر الذي يهدد أرض الإسلام.

وأكثر من ذلك تعاون هذا السلطان مع الجيش الفرنسي لمحاصرة الأمير عبد القادر الذي اضطر للاستسلام في عام 1847 بعد محاصرته من طرف الجيش الفرنسي شرقا وجيش السلطان المغربي غربا وخيانة بعض القبائل له. ولم يستسلم الأمير إلا بعد أن اشترط على الجيش الفرنسي إعطاء عهد الأمان لجميع رفاقه وجنوده والسماح لهم بالالتحاق بقبائلهم، أما هو فطلب السماح له بالهجرة إلى الإسكندرية بمصر أو عكا بفلسطين، وإذا لم تقبل فرنسا بهاذين الشرطين فإنه الجهاد حتى الموت. وكان هدف الأمير من ذلك هو إبقاء شعلة المقاومة ضد الاستعمار ملتبهة على يد رفاقه بعدما يضمن لهم الحياة، وهذا ما حدث بالفعل فيما بعد مما يدل على بعد نظر الأمير عبد القادر.

بعد 3 أيام من تخريب الزمالة، عاد عبد القادر الذي كان غائبا أثناء هجوم الدوق دومال بقواته، وذهب يبحث عن ملجأ في أراضي المغرب وتحولت الزمالة إلى دائرة.

اراد عبد القادر أن يقيم في المغرب لتجسيد خطة سياسة تقوم على:

- اجبار قبائل الجزائرية على عدم الاستسلام ومن اجل هذا يقوم من حين لآخر بحملة.

- اقناع المغرب ان يقف بجانبه ومن اجل هذا اثار رجال الدين الذين لهم تأثير على الملك، وان يقتنع الملك ان يتحالف معه لمحاربة عدو واحد، كما اراد عبد القادر أن يورط الملك في الحرب اي إدخاله غصبا عنه، لهذا تمركز عبد القادر ودائرتة وراء الحدود حتى يكون في مأمن.

في المقابل وافق بيجو اقتراح يبدو بإقامة مركز عسكري في الشمال الغربي لتلمسان وبالذات في لالة مغنية في الايام الأولى لسنة 1844م وانتهى من البناية في أوائل ماي من نفس السنة، ويعتبر المغاربة ان لالة مغنية من الاراضي المغربية وليست جزائرية وبالتالي يعتبر هذا الفعل انتهاك للسيادة المغربية والاماكن الدينية المقدسة.

فسر الشعب المغربي هذا الفعل (اقامة مركز في لالة مغنية) انتهاك للسيادة المغربية والاماكن المقدسة واحتلال الصليب للhal ما جعله يعرف غليان وتنفّر وأصبح الامر يوحى بالتوتر وصاحت حناجر المسلمين للدعوة للجهاد، انتقال خبر الجهاد عبر كامل التراب المغربي وأمام هذا الوضع ساد الضغط على السلطان لإعلان الحرب أي الاستجابة لنداء الشعب رغما عنه لأنه لم يكن متحمسا للحرب، فالأوضاع تنذر بالرعب في خضم تجمع القبائل المغربية في وجدة، وحتى عبد القادر كان موجود برفقة فرسانه، وقرر الجميع في وجدة ان يوم 15 ماي يتم الزحف على المركز العسكري الفرنسي لالة مغنية، رغم بعض المحاولات التفاوض وتأجيل الهجوم الا ان مولاي الممون الشريف (ابن عم السلطان)، لم ينتظر وبوصوله الى وجدة قرر الزحف على لالة مغنية، ولكن في 30 ماي 1844 بدأت مناوشات بين القبائل المغربية والقوات الفرنسية ما دفع لامورسيار بيعث رسالة لبيج ويخبره عن الخطر و يقترح له الالتحاق بالمكان برفقة قوة عسكرية، ما جعل بيج وينتقل الى لالة مغنية

حيث وصل إلى ها في 13 جوان رفقة قوة عسكرية للتصدي للخطر الذي أصبح يهدد قواته. ولكن بيج وتريث على اساس ما الفائدة من الحرب لذلك طلب لقاء مع قائد وجدة القناوي (El Guennaoui) بتاريخ 15 جوان، إلا ان المفاوضات باءت بالفشل.

بعد فشل المفاوضات توالى الطلقات النارية في 30 ماي 1844، ما جعل بيج ويعطي الامر بإعلان الحرب والتقدم نحو وجدة حيث تمكن بيجو من الحاق هزائم نكراء لقوات المغرب كإنداز أول حيث توقفت المواجهات في 15 جوان ليعود بيجو الى المركز العسكري ويرسل ثانية رسالة الى قائد وجدة ليحذره وينذره.

بعد راحة يوم تحرك بيج وثانية متوجها أي وجدة في جوان على جانب حوض أسلي. بعد وصول القوات الفرنسية الى أبواب وجدة ودمرت الحصن وتحرير اكر من 1500 معتقل من تلمسان، ويرجع اعتقالهم الى سنة 1836 من طرف عبد القادر. وفور تحقيق الاهم عاد بيج والى مركز لالة مغنية.

يرى عبد القادر انه نتيجة تطور هذه الاحداث يمكن ان توقع فرنسا في ورطة الانتفاضة في المغرب ومقاومة القبائل الجزائرية من جهة اخرى، لذا دخل الامير الى الجزائر وتوغل الى غاية قبائل تيارت ولكنه وجد تموقع وتحركات العدو في كل مكان وان القبائل متناثرة وليس لها الرغبة في الجهاد وامام هذه الحالة أصبح من الضروري العودة رفقة الزمالة الى الحدود المغربية حيث وجد ابن السلطان عبد الرحمان (سيدي محمد) مع قواته للدخول في الحرب مع الفرنسيين.

دخول المغرب في حرب ومعاهدة طنجة:

بداية عمليات العسكرية في سهل إسلي في 1 جويلية 1844م، حيث قام ايضا بيج وبحملة على هضبة أسلي باحثا عن الامير ودائره إلا ان هذه الحملة لم تحقق نتيجة، فما العمل؟ حملة على فاس، الا ان السلطات المغربية اسرعت للتفاوض مع المارشال، فابن الملك يتقدم نح ومدينة وجدة في الوقت الذي يتقدم فيه بيج ونح وهذه

المدينة، تبادلت المراسلات على اساس تكون السلم الا بعد انسحاب القوات الفرنسية من لالة مغنية الا أن بيجو رفض هذا الطرح وتمسك بالبقاء، في لالة مغنية وظل بيجو يبحث عن ذريعة لإعلان الهجوم على المغرب.

قصف طنجة:

وصول سفن الفرنسية أمام مدينة طنجة في 1 أوت، في انتظار تجاوز فترة آخر انذار ولكن رغم الوساطة وجواب، وفي 6 أوت تقصف مدينة طنجة، وهو ما كان ينتظر فيه بيجو أي عدم تضييع الوقت لأنه لا يخدم القوات الفرنسية حيث أصبحت تصاب بأمراض وان عددها يتناقض عكس القوات المغربية.

معركة أسلي-أوت 1944:

انجز بيجو الخطة العسكرية بعد أن أختار واحدة منهما، سواء انتظار هجوم القوات المغربية أو أنه يساهم في الهجوم، فأختار الثانية. كما اختار بيج وان يكون هجوم مباغت وضربه في معسكره والحروب التي تعتمد عليها اليوم، فمعسكر القوات المغربية يبعد عن القوات الفرنسية ما بين 30-35 كلم، ويكون السير نحو المعسكر سريع وفي خفية وان الهجوم يكون في الساعات الأولى من النهار.

يشرع في السير نحو معسكر القوات المغربية بتاريخ 11 أوت بعدد 10 آلاف و500 عسكري على رأسهم الحاكم العام الجنرال بيجو ووصول القوات الفرنسية بالقرب من قوات ابن السلطان في أسلي بتاريخ 13 أوت، ويبدأ الهجوم في صبيحة يوم 14 أوت على القوات المغربية لتلحق بها هزيمة نكراء وتحتل المركز وتنتهي في 14 أوت ويراسل بين السلطان على قبول الهدنة لتعود القوات الفرنسية الى لالة مغنية (24-27 أوت).

معاهدة طنجة:

نصت معاهدة طنجة المبرمة بين السلطان عبد الرحمان والسلطات الفرنسية بعد انهزام القوات المغربية في 14 و15 أوت 1844م في معركة إسلي، واهم ما جاء في هذه الاتفاقية اعتراف السلطان المغربي بالوجود الفرنسي بالجزائر والتوقف النهائي على دعم الامير عبد القادر وفي حالة القبض عليه يتم استلامه الى القوات الفرنسية.

حاول السلطان عبد الرحمن ادراج عبد القادر الى فاس حتى يلقي عليه القبض ولكن الأمير تظن للخطوة وظل معسكره على الحدود الجزائرية المغربية، ويتربص العودة الى الجزائر.

عودة الأمير عبد القادر الى الجزائر سنة 1845:

وفي فيفري 1845م رأى انه حان وقت للدخول الى الجزائر بعد أن عرف سهل الشلف تمردا ولكن كل المنافذ مغلقة لذا عاد الى دائرته.

حينما اغلقت كامل المنافذ على الامير وشدد عليه الخناق، أصبح يفكر في الهجرة الى مكة المكرمة رفقة الذين وقفوا معه.

ان كان بومعزة ينشط في حوض الشلف الذي اعلم على الانتفاضة والجهاد ضد المحتل ولكن دون ان تكون علاقة بين الأمير.

راسل عبد القادر القبائل العربية بالجزائر لأشعرهم انه على وشك الدخول إلى البلاد فساد الحماس والحنين ليقودهم ثانية.

أستغل عبد القادر رحلة بيع والى فرنسا في سبتمبر 1845، عاد ثانية الى الجزائر عبر تافنة وتلتحق به الكثير من القبائل العربية ويشجع من جديد في المقاومة.

تجدد المقاومة بتحقيق عبر القادر انتصارات بالقضاء على فرقة فرنسية التابعة للغزوات، كما استسلم أكثر من 200 عسكري لقوات الامير عبد القادر، وهكذا

تنتفض الجزائر من جديد، ما أدى بالاحتلال الذي حققه بيجو Bugeaud خلال 4 سنوات في مهبط الريح، فتم اعلام بيجو Bugeaud بالانتفاضة التي عمت الجزائر والالاحاح عليه بالعودة سريعا.

البحث عن الأمير واستسلامه بعد تواطؤ المغرب مع فرنسا (1846-1847):

عاد الجنرال بسرعة ولكن برفقة تعزيزات كبيرة مقدرة ب 106 ألف عسكري وبعد ايام شرع في المقاومة والهجوم، تم تجنيد 15 فرقة عسكرية للتحرك ومهمتها قطع الطريق امام عبد القادر ومنعه من التوغل بالمناطق التالية، وملاحقة الامير أينما كان. تمكن ان يعبر وسط الفرق العسكرية وينقل الانتفاضة الى جبال الشلف، لتلاحقه الفرق العسكري، وتمكن من الهروب بين 3 فرق عسكرية عبر الهضاب العليا ويلتحق بمنطقة يسر، (منطقة بن سالم) وأصبح يهدد متيجة.

ففي ليلة 6 الى 7 فيفري فوجئ بهجوم من طرف فرقة عسكرية بقياد الجنرال جانتي (Gentil,) حيث اعتقد هذا الاخير بأنها قوات بن سالم وتمكن عبد القادر ان يفلت من يد العدو وقتل فارسه، وتمكن ان يلتحق بمنطقة القبائل وحاول جر القبائل الى المقاومة ولكن لم تكن استجابة لذا توجه عبد القادر نحو الجنوب، واثناء تنقله التقى بالفرق الفرنسية عند الهضاب العليا متعرضا لضربات ما جعل قوته تتلاشى تدريجيا، رأى عبد القادر ان قوته اصابها التعب والارهاق وتناقص عددها اضافة الى سوء الأوضاع المعيشية مما اضطر الى الانسحاب ويعسكر ويبقى بعيدا في مرتفعات الصحراء(أولاد نايل).

لاحقته الفرق العسكرية الفرنسية الى عين المكان ما دفع به الى العودة الى (الدائرة) المتمركزة في الحدود المغربية الجزائرية في 18 جويلية 1846 م وهي اخر مرة للأمير في الجزائر.

كان للدبلوماسية الفرنسية دورا في التأثير على مولاي عبد الرحمان لدفعه للتعاون معها من أجل القضاء على الأمير وتطبيقا لاتفاقية طنجة، أرسل السلطان في ربيع

سنة 1847م قوات مغربية بقيادة مولاي هاشم (ابن اخ السلطان) لمطاردة الامير واجباره على الانسحاب من المغرب، تفاجئ الامير بالتحاق قبائل الريف في الليل وهذا من اجل مساندته والوقوف بجانبه في الحملة التي يقوم بها مولاي هاشم، وبالتأكيد تمكنوا من الحاق هزيمة بقوات الهاشمي واجباره على الانسحاب.

بعد قبول الحكومة طلب بيج وللراحة بعد إرهاقه، عين خلفا له أحد ابناء الملك الفرنسي، واسرعت الحكومة الفرنسية مراسلة السلطان وتهديده ان فرنسا تتدخل في حالة عدم التحرك المملكة المغربية.

امام التهديدات وتخوفا من حملة اخرى تشبه تلك التي عرفتھا أسلي، قرر المالك المغربي ارسال قوات ضخمة بقيادة ابنائه (مولاي محمد ومولاي سليمان)

أصبح عبد القادر حائرا من المصاعب والمتاعب التي تلحق به، فكيف كان وكيف أصبح، والله مغير الاحوال فكيف ان السلطان المدعي انه من سلالة الرسول يرتكب مثل هذا العمل، فمن المستحيل! بادر للأمير انه هناك خطأ، فلا بد من توضيحه، لذلك أرسل عبد القادر بوحميدي الى الملك في فاس للحصول على توضيحات، فكان جواب الملك كالتالي: " عليك بالاختيار بين اثنين سواء ان تسلم نفسك أو الهروب الى الصحراء، وفي حالة الرفض نقوم بإرسال قوات لإخراجك بالقوة "

ففي هذه الحالة أصبح الامير حائر في الاجراء أو الاستراتيجية التي ينتهجها، وأنثناء التفكير بين والتشاور بين ما بقي في الدائرة حتى سقط خبر " استسلام شقيقان لعبد القادر للقوات الفرنسية سي مصطفى وسيد الحسين (Si-Moustapha et Sid-el-Houssein).

فكان القرار الاخير للأمير عبد القادر ان الدائرة تدخل الجزائر وتسلم نفسها الى فرنسا حيث كان عددها لا يتجاوز 6000 نسمة بينما شق الامير رفقة بعض الفرسان الأوفياء له طريقه نحو الصحراء في الوقت التي كانت تلاحقه القوات الفرنسية، حيث كانت القوات الفرنسية تعرف اتجاهه، فقامت فرق من القوات الفرنسية

بقطع الطريق على الأمير حتى أصبح وجه لوجه مع العدو، فما كان عليه إلا التشاور مع رفاقه لاتخاذ القرار النهائي، وكان القرار الجماعي والنهائي الاستسلام الى من السلطان أو القوات الفرنسية رد الامير الاستسلام الى القوات التي حاربتني 15 سنة ولا اسلم نفسي للخائن. وهكذا استسلم عبد القادر مع رفاقه للقوات الفرنسية قرب ضريح سيدي براهيم حيث قدمت له القوات الفرنسية التحية العسكرية لينقل فيما بعد الى الغزوات ويلتقي مع الدوق دومال عام 1847.

المحاضرة الخامسة: مقاومة أحمد باي في شرق الجزائر

عناصر المحاضرة:

1-أوضاع قسنطينة قبل الاحتلال

2-الغز والفرنسي لمدينة قسنطينة واحتلالها سنة 1837

أ- الحملة العسكرية الأولى واخفاق فرنسا احتلال قسنطينة 1936

ب- الحملة العسكرية الثانية وسقوط قسنطينة 1837

3-مواصلة أحمد باي المقاومة واستسلامه سنة 1848

1. أوضاع قسنطينة قبل الغزو:

يعتبر بايلك الشرق اهم البايكات في الجزائر من حيث المساحة والثروة وعدد السكان، ويتميز بكثرة المدن والقرى، عين الحاج احمد باي على الشرق سنة 1826 من طرف الداوي حسين وهو كرجولي ولد في مدينة قسنطينة، كان معادي لفئة الاتراك والصوفية واستعمل معهم سياسة الاضطهاد.

شارك أحمد باي في مقاومة الاحتلال الفرنسي للجزائر (جوان 1830) معركة (سيدي فرج وسطوالي)، وفقد 200 فارس من قواته، وبعد استيلاء الفرنسيين على

قلعة مولاي حسن انسحب الحاج أحمد وتوجه إلى قسنطينة، وفي طريقه إلى عاصمة بايلكه تلقى احمد باي رسالة من قائد الحملة الفرنسية الجنرال دي بورمون يطلب منه أن يوقع على معاهدة الاستسلام مقابل اعتراف فرنسا كباي قسنطينة، إذا قبل دفع الجزية وكان جواب الحاج أحمد باي على هذا العرض هو أن السلطة توجد بيد جميع سكان قسنطينة ومقاطعاتها ويستشيرهم في الموضوع بعد العودة الى المدينة. وبعودته الى قسنطينة وجد ابواب المدينة مغلقة (انقلاب)، فاستجد بالقبائل العربية وتمكن من العودة الى الحكم، اتخذ لاسمه باشا وأزداد نفوذه في قسنطينة وتحول الى طاغي هو صاحب الكلمة. عندما استقر أحمد باي في مدينة قسنطينة اجتمع بأعضاء الديوان وتباحث معهم في المسألة المتعلقة بعرض دي بورمون، فكان رد الجميع الرفض لأن قسنطينة تابعة لباشا الجزائر وتمتثل لأوامره، وهي بدورها تمتثل لأوامر اسطنبول، ولهذا لا بد من الكتابة إلى السلطان محمود الثاني والحصول على موافقته.

وعلى صعيد آخر شرع أحمد باي في التخلص من الجنود الإنكشاريين وتعويضها بعناصر وطنية، وبالتالي اعتمد أحمد باي في مقاومته للاحتلال الفرنسي على تأييد الجيش العربي بعدما أصبح لا يثق في الاتراك بعد الانقلاب الذي قاده هؤلاء ضده عندما كان في العاصمة. كما عمل على تحصين عاصمته قسنطينة وبناء ثكنات جديدة.

حاول أحمد باي العديدة من المرات إقناع السلطان العثماني بالاعتراف به واليا على الجزائر، وإمداده بمساعدات عسكرية يستعين بها على قتال الفرنسيين، لكنه لم يحظ منه سوى بوعود وتشجيعات وذلك خوفا من فرنسا.

يذكر بعض المؤرخين أن الحاج أحمد باي لم ييأس من بعث رسائل عبر وفوده الى السلطان العثماني يلح فيها على طلب المساعدة المادية، مؤكدا على أنه مستعد للتضحية من أجل الدين، ومشيرا في رسالته كذلك أن الفرنسيين يقتربون منه يوما

بعد يوم، وكان السلطان في كل مرة يرد عليه بأن " السلطان لم ينسهم وأن عليهم بالصبر والإيمان، وأن السلطان يعمل على إبقاء إقليم قسنطينة تحت طاعته، وكذا أن عليهم أن لا يقبلوا أي شرط بدون موافقته.

تمكنت فرنسا احتلال عنابة عام 1832 حيث يوجد فيها أهم موانئ إقليم قسنطينة (بعدما احتلت سنة 1830 و 1831 ولكن انسحبت القوات الفرنسية منها) وقد ترتب عن ذلك توترا مستمرا بين فرنسا والحاج أحمد، وكان وراء الاحتلال القائد العسكري جوزيف فانتيني (Joseph Ventini) الملقب بيوسف¹ الذي تم تعيينه قائدا عليها الذي مارس على القبائل الجزائرية التتكيل والنهب، وقد حاول علي بن عيسى خليفة أحمد باي استرجاع عنابة في جوان 1833 لكنه فشل.

حاولت فرنسا جاهدة أن تقضي على مقاومة الحاج أحمد باي، فسعت إلى التفاوض معه عدة مرات، لكنها كلها محاولات باءت بالفشل، حيث كان أحمد باي يصر دائما على موقفه الرافض توقيع أي معاهدة استسلام مع العدو

بتعيين كلوزيل حاكم عام على الجزائر في أوت 1835 م وتوصيات الحكومة الفرنسية على ان القوات الفرنسية لا تبقى منكشدة في المدن الساحلية، حيث يترتب عليه اعتداءات وهجمات ونهب وسرقة من طرف العرب القريبة من السواحل وهو ما عرفته

¹. هو جوزيف فانتيني (Joseph Ventini) الملقب بيوسف، ولد سنة 1808 في جزيرة ألبا (Elbe) إيطالي (هي أراضي فرنسية منذ 1801)، و هو متنقل و في سنه 6 سنوات عبر مركب شراعي الا انه تم اختطافه على يد القرصنة لشمال افريقيا (تونس)، و حينما تم عرضه في سوق العبيد للبيع، تقطن طبيب فرنسي و نقله الى قصر باي تونس و هنا تعلم العربية و دخل الاسلام لذا لقب بيوسف، و حينما أصبح شابا، اراد الهروب و تلقى المساعدة من القنصل الفرنسي حيث ركب شرعية و كان طلن في 13 جوان 1830م و تشاء الصدفة ان يذهب هذا الشارع مع الحملة الفرنسية على مدينة الجزائر و باكتشافه من طرف د بيرمون عينه كمترجم و أغا العرب، و حينما عين كلوزيل حاكم عام للجزائر طلب منه هذا الاخير بتكوين كتيبة من فرسان الأهالي التي تصبح تسمى ب"سبايس"، و بانضمامه في الجيش الفرنسي تحصل على رتبة قائد في الجيش الفرنسي، و حينما سادت الفوضى في اقليم قسنطينة(عنابة) تمكن من تحقيق انتصار كبير لذا منح له الوسام الشرفي. وليتم تعيينه باي تونس من طرف كلوزيل سنة 1936م.

بونا بوجود بعض مزارع المعمرين القريبة من المدينة حيث تتعرض باستمرار للهجمات والاعتداءات هذا ما دفع كلوزيل لانتهاج سياسة التوسع في الداخل خاصة ان احمد باي لم يعترف ولا يخضع للسلطات الفرنسية.

كما عرفت المدينة سنة 1836 انتشار الأوبئة والأمراض (الكوليرا والطاعون)، كما انتهج احمد باي سياسة اضطهاد العائلات القديمة والمعروفة في المدينة (موظفي الاتراك قدماء والإنكشاريين) وأضطهد كل منافس له بينما قرب إليه الأهالي وشيوخ القبائل العربية ومن اهم الشخصيات القريبة إليه: علي بن عيسى، احمد بن الحماوي، الحاج محمد بن البجاوي، اما القوة الروحية اصبحت بين يد عائلة الفكون. وكان لأحمد باشا خلال سنة 1836 قبائل عربية حليفة له منها عائلة المقراني لمجانة بينما هناك اعداء لهم هم قبيلة حنانشة وقبيلة حراكة التي هي دائما في حرب مع احمد باي.

2. الغز والفرنسي لمدينة قسنطينة واحتلالها سنة 1837م

لم تتمكن القوات الفرنسية من احتلال قسنطينة الا بعد حملتين عسكريتين كبيرتين تكبدت فيها خسائر بشعة، فكانت الحملة الأولى سنة 1936 م التي باءت بالفشل لتعيد الكرة ثانية سنة 1837 فنجحت في اقتحام ابواب قسنطينة واحتلالها.

أ. الحملة الأولى على قسنطينة سنة 1836م:

شغل اهتمام كلوزيل شن حملة عسكرية على قسنطينة بعد وصوله رسائل عديدة من قبائل الشرق التي طلبت منه التدخل لإنهاء حكم احمد باشا. كما قام كلوزيل بتعيين الضابط يوسف (Yusuf) سنة 1836 باي على قسنطينة وتمكن هذا الاخير من اقامة مركز عسكري في الذرعان (جنوب عنابة تقريبا تتوسط قالمة وعنابة)، وفي 14 أفريل رحل كلوزيل الى باريس لإقناع الحكومة بدعمه بتعزيزات عسكرية للقيام بالحملة، وبعد ان عاد كلوزيل من باريس ولكن دون ان يحصل على امدادات

عسكرية، الا ان الرسائل المتهاطلة على كلوزيل من يوسف وبعض شيوخ القبائل حفزته ان يقرر بشن الحملة¹.

العمليات التحضيرية من الجانبين - (يوسف واحمد).

تحضيرا للحملة، شرع كلوزيل منذ صيف 1836 م ارسال الى عنابة المعدات والقوات الموضوعة تحت تصرفه، كما طلب من يوسف ان يجمع المعلومات عن الحالة النفسية لسكان قسنطينة والتعرف عن اهم ثروات الباشا.

اخذ احمد باي من جهته كل الاحتياط وذلك بجمع كل الفرق العربية للمشاركة للتصدي للحملة، وبما ان الاخبار الاتية من الشرق لم توح بتقدم القوات الفرنسية في شهر سبتمبر لذا قام احمد باي رفقة قواته بدورة الى درعان ولكن تمكنت القوات الفرنسية التصدي لها.

السير نحو قسنطينة: بعد تكوين وتنظيم صفوف القوات الفرنسية في 2 نوفمبر من طرف كلوزيل المقدرة بحوالي 8000 عسكري² و 1200 من الخيلة و 400 بغل للحمولة. وصلت القوات الفرنسية الى بون حيث كان آخرهم نمرون (29 أكتوبر اما كلوزيل) كانت متكونة من فرق مختلفة: المشاة 5300، الهندسة العسكرية: 650، المدفعية: 545 موظفين اداريين: 250، الفرسان: 895، فرق من الأهالي: 500، المجموع: 8040. كما قام في نفس الوقت بتوجيه نداء الى سكان المدينة جاء فيه: «عليكم الابتعاد عن احمد باي كي تحترم ممتلكاتكم ودينكم وعقائدكم».

خرجت الحملة من عنابة، كان الخروج الأول لفرقتين عسكريتين الأولى بقيادة تريزل والثانية بقيادة الجنرال دوريني (de Rigny) بتاريخ 8 و 9 نوفمبر باتجاه قسنطينة، بينما بقية القوات الفرنسية والتموين وبقية الامتعة التحقت بتاريخ 13 نوفمبر بقيادة

¹. Ernest Mercier, Les deux sièges de Constantine (1836-1837), Librairie L. Poulet, Constantine, 1896, pp.2-11.

². تشير بعض المصادر الى 7500 عسكري.

الدوق نمورس (le duc de Nemours) والجنرال كلوزيل، لتتجمع كامل القوات بتاريخ 15 نوفمبر وعرفت هذه الايام تساقط امطار طوفانيه، وهو ما أدى الى اصابة أكثر من عسكري 200 بالحمى.

عسكرت القوات الفرنسية يوم 16 في سيبوس، وفي 19 نوفمبر حينما أصبحت القوات الفرنسية قريبة من قسنطينة حدثت بعض الاشتباكات بين العرب والقوات الفرنسية، ووصلت هذه الاخيرة امام المدينة في 21 نوفمبر، وليلة 21 و 22 تساقطت ثلوج كثيفة على قسنطينة والحققت خسائر لأفراد القوات الفرنسية كما حطت من معنوياتها الى جانب تعرض المؤونة للسرقة من طرف القبائل العربية كما تمكنت من الحاق اضرار للقوات الفرنسية. لكن رغم الصعوبات تمكنت القوات الفرنسية الوصول الى المنصورة.

تمركز القوات حول المدينة والتحضير للهجوم:

تقدم المارشال كلوزيل مع قيادة الاركان للتأمل في المدينة وشاهدوا في اعلى المدينة مدفعيات وأبوابها مغلقة، وفجأة القت المدافع ببعض قذائفها باتجاه القوات الفرنسية، تحرك المارشال هو الآخر ليأخذ ضريح الولي الصالح "سيدي مبروك مقرا له لقيادة الاركان لإعطاء توصيات وتوجيهات.

ولكن كيف نفسر وجود احمد باي خارج المدينة رفقة فرق القبائل العربية، وحينما علم بتحرك القوات الفرنسية، قام بإرسال نسائه وكنزه الى ميلة عند صديق. وترك المدينة تحت قيادة بن عيسى، بينما تمركز رفقة فرقه العسكرية قرب نهر الرمال.

ترك المدينة تحت قيادة بن عيسى وابن البجاوي وسكانها الرافضين الخضوع للكافر وكانت القوات النظامية لا تتجاوز 1200.

هكذا كان واقع قسنطينة، كما خابت آمال كلوزيل بوجود كامل المدينة مستعدة للمقاومة ومن جهة اخرى عدم التحاق القبائل العربية التي أعلنت مشاركتها بجانب القوات الفرنسية اثناء عملية الاخضاع وفي حقيقة الأمر لا وجود لها.

رغم هذا الواقع الذي لا يخدم كلوزيل الا انه قرر في الاخير تنفيذ عملية اقتحام المدينة في أسرع وقت وبقوة كاملة. كلفت الفرقة الأولى والثانية بقيادة نمروس وريني باحتلال الكوديا، وحينما بدأت القوات الفرنسية تسلق المنحدرات، فجأة فتح باب الجديد وباب الواد فخرجت حوالي 1000 فارس مع صيحات السكان لتبدأ تبادل الطلقات النارية وهجوم على القوات الفرنسية لكن بتدخل قوات اخرى تمكنوا من إنقاذ الكثير. أما الفرق الأخرى تمركزت في المنصورة، والكارثة التي حلت بها هي ان فرقة المؤونة وصلت متأخرة وتعرضت للسرقة والنهب من طرف القبائل العربية ما جعل القوات تنتظر كثيرا وتعبت وجاعت دون أن تصل المؤونة. وبوصولها سادت الفوضى للحصول على الأكل، ونتيجة الإحباط المعنوي للقوات الفرنسية أكثر من شرب الخمر ليلا، فأبتعد بعض افراد القوات عن المركز ما جعلها تتعرض للقتل.

محاولة اخضاع المدينة وفشل كل المحاولات:

كان الوضع حزينا في معسكر القوات الفرنسية المتمركز امام المدينة في صبيحة يوم 22 بسبب استسلام الكثير نتيجة البرد والارهاق حيث تعرض الكثير منهم الى التجمد وكذا اخبار فقدان القافلة المؤونة وقتل حراسها.

حاول الكلونيل تورنمين نقل المدفع الى مرتفع الكوديا، فأتثناء الصعود وجد عراقيل كبيرة حيث صعب على عجلات التحرك بسبب الطين، كما تعرضوا لطلقات من قوات أحمد باي، تمكنت القوات الفرنسية وضع المدفعية في مرتفع المنصورة ليبدأ قصف أبواب القنطرة في المساء.

اراد المارشال الانهاء من العملية في وقت سريع حينما أوشكت الذخيرة على النفاد، فحاول رجال الهندسة من التقرب من الباب الا ان المحاولة باءت بالفشل. وفي صبيحة 23 حاول احمد باي شن هجوم من جهة جنوب الغربي الكوديا حيث كانت تتمركز كتيبة الجنرال رني وبدأت المعركة التي كانت عنيفة ثم انسحبت قوات احمد باي حددت القوات الفرنسية ساعة الهجوم على الساعة 10 ليلا. وتم تبادل القصف

بالمدفعية الذي استمر الى غاية 3 صباحا وحاولت للمرة الثانية اقتحام المدينة إلا أنها فشلت بسبب مقاومة للسكان والفرسان العنيفة.

رفع الحصار والانسحاب:

كان المارشال في القنطرة حينما أمر قواته بالتجمع وأنه ينسحب يوم الغد حيث ظلت القوات الفرنسية طيلة الليل تحظر لوازمها للرحيل بعد تمركز القوات الفرنسية 3 ايام امام ابواب قسنطينة، وفي صبيحة يوم 24 تحركت الفرق العسكرية، وبانسحاب القوات الفرنسية هلك سكان المدينة وهم صاخرين منهم وقائلين " ان الكفار هاربون"، وأثناء الرحيل لاحقتهم القوات العربية لتشن هجومات من حين لآخر، وفي ليلة 24 تمركزت القوات الفرنسية في صومعة (Soumâa) غير بعيد عن قسنطينة وفي صبيحة 25 وجدت القوات الفرنسية محاصرة من طرف القبائل العربية ولكنها لم تتقدم وسمعت الطلقات النارية من بعيد، وظلت تراقبها وتتابعها طيلة 26 و 27، وأخيرا وصلت القوات الفرنسية الى قالمة في 28 واستمرت في طريقها الى عنابة بسلام حيث وصلت في 1 ديسمبر.

ومن اهم النتائج التي خلفتها فشل محاولة إسقاط مدينة قسنطينة خسائر كبيرة من ادوات وذخائر واسلحة كما قدر عدد الخسائر البشرية من العسكريين فرنسيين بحوالي 1000 قتيل، فخابت آمالهم وعادوا متطأطين الرأس. ومن جهة اخرى يقابلها الفرحة والبهجة التي ادخلت في نفوس سكان المدينة وللإشارة تم معاقبة بعض الافراد من شيوخ القبائل التي كانت لهم الرغبة في الاستسلام اثناء عملية قصف بالمدفعية الفرنسية لأسوار المدينة بعد عودة الباشا الى المدينة.

ب. الحملة الثانية أكتوبر 1837م:

كان لإخفاق القوات الفرنسية في إسقاط مدينة قسنطينة صدى كبير على الرأي العام الفرنسي والحكومي حيث تعالت اصوات للانتقام، فكانت أول الاجراءات تغيير الحاكم العام كلوزيل وتعيين خلفه الجنرال دامديرون، ورأى هذا الاخير ان أول إجراء كان الانتقام لإهانة الراية الفرنسية أمام قسنطينة إلا أن الحكومة نصحته على إتباع أساليب لينة لإصلاح شرف فرنسا.

اراد الحاكم العام التفاوض مع الباي بشروط مقبولة، فتح باب التفاوض في باريس ممكن ولكن في الجزائر هو مستبعد لان العلاقات انقطعت نهائيا.

أرسلت الحكومة مفوضين الى تونس وهنا يمكن التفاوض لان كان علاقة تقارب بين احمد وباي تونس إلا أن المحاولة باءت بالفشل لكن الحكومة في باريس ألحت على فتح التفاوض في الوقت الذي قام فيه ببيج وبالتوقيع على اتفاقية مع عبد القادر دون علم دامديرون، وفي نفس الوقت تدخل يهودي(بوشناق) كوسيط لعرض على الباي شروط التفاوض.

أرادت فرنسا من هذا التفاوض أن تخلق أمير أو سلطان في الشرق لمنافسة عبد القادر في الغرب (أي خلق فتنة بين الجزائريين)، فالمحاولة الثانية هي الأخرى باءت بالفشل لأن أحمد وضع شروط تعجيزية تحديا لفرنسا قام الباي باستفزاز القوات الفرنسية بقيام فرقه بحملة على المركز العسكري الفرنسي في قالمة، وكنتيجة لهذا الاستفزاز انقطعت كل مبادرة للتفاوض وراسل دامديرون باريس لتمنح له الضوء الأخضر لتنظيم حملة على قسنطينة مع منح له الامكانيات المادية الضرورية.

تنظيم وتحضير الحملة:

تمهيدا للحملة، أقام دامديرون معسكر كبير في مجاز عمار(قرب قالمة) حيث اصبح يصل إلى ه في كل وقت معدات وإمدادات وقوات ووقف بنفسه عن الانجاز في

شهر أوت 1837م. وأعلن الحاكم العام في 7 سبتمبر أن نمروس هو الذي يقود الحملة، في المقابل أحمد باي هو الآخر يحضر قواته للتصدي للحملة والمقاومة وخاصة انهم استفادوا من تجربة السنة الماضية، لذا اتخذ أحمد كل الاحتياطات اللازمة لأنه يعرف أن هذه الحملة تكون أقوى من سابقتها حيث قام بإصلاح وتحصين كل المحيط وأسوار المدينة، كما تم ترتيب كل الآليات العسكرية من ذخيرة ومدافع. الخ، كما أن ابواب المدينة تم تحصينها من الخارج ببناء أسوار من الإسمنت كما تم غلق طريق القنطرة(الجسر)، واتصل بكامل قبائل الشرق للاستعداد والتجديد للجهاد المقدس.

تشكلت قافلة الحملة من 12 ألف عسكري الى جانب الفرق المخصصة في الادارة والمرضين، وبالتالي قدر العدد ب 13 ألف بدون حساب الفرسان المساعدين، أما العتاد عسكري: 12 المدفع و 6 مدافع الميدان وآلات سحب المدافع والعربات تقوم بها 580 حيوان للجر و 480 بغل مخصصة للحمولة.

وتضم الحملة 4 فرق بقيادة كل من الدوق نمروود والجنرال تريزل والجنرال هورهلز (Rulhières) والكولونيل كومبس (Combes).

تحركت الحملة في 1 أكتوبر وبعد مشي 5 ايام وصلت امام الى مشارف قسنطينة بدأت الاشتباكات الأولى في 5 أكتوبر بحرق وتدمير القرى القريبة من المدينة وفي مساء هذا اليوم أي 6 أكتوبر تتمركز القوات الفرنسية أمام المدينة قرب مرتفع المنصورة واقامة مركز قيادة الأركان داخل الولي الصالح "سيدي مبروك، ويقضي الحاكم العام دامرون الليلة في قبة الولي الصالح ولم تعرف هذه الليلة إلا بعض تبادل طلقات نارية، وفي ظهر 6 أكتوبر تتقدم فرقتين نحو المدينة وقطع وادي الرمال (rivière de Rummel) واستولوا على هضبة "كوديا" ولكن البطارية المدفعية لقوات أحمد الموجودة بجانب الوادي اسقطت الكثير من قوات العدو.

بداية العمليات-مغامرات الهجوم وموت دامديرون ليخلفه فالي:

بعدما تمكنت القوات الفرنسية من توجيه المدافع صوب المدينة من الجهة الشرقية(المنصورة) بدأ قصف المدينة في 9 أكتوبر، حاولت الفرق العربية من جهتها شن هجوم على جانبي القوات الفرنسية التي كانت في المنصورة الا ان تم التصدي لها.

وبما ان القصف المدفعي لهذا اليوم لم يحقق نتائج بفتح ابواب المدينة من الجهة الشرقية (المنصورة)، لذا قرر دامديرون نقل المدافع الى الجهة الغربية أي "الكوديا" وقصف باب الواد ولكن هناك صعوبة في النقل وتم ذلك إلا بعد مجهود طويل وكبير، وبعد نقل المدافع والذخيرة الى الجهة الغربية(كوديا) انتقل المارشال للتفقد في صبيحة يوم 10 لاتخاذ كامل الاحتياط، وفي الساعة 11 قامت الفرق العربية يشن هجوم على "الكوديا" واجرت معركة كبيرة حيث كبدت فيها القوات الفرنسية خسائر في صفوفها، وبعدما أصبحت البطاريات والمدافع موجه نحو المدينة والانتظار اعطاء الضوء الأحمر حاول دامديرون ان يتفاوض مع سكان وقبول الاستسلام وارسل وسيط حمل الرسالة منه، فكان رد سكان المدينة: "اذا كان تنقصكم الذخيرة فسنزودكم، واذا لم يكن لديكم الخبز نتقاسم معكم ولكن "لا نسمح لكم بالدخول الى المدينة ما دمنا احياء ولا تصبحوا احياء الا بعد قتلنا جميعا". تجدد القصف 11 يوم اكتوبر بالمدفعية على اسوار وابواب المدينة لم يحقق نتائج ملموسة وعليه نقل المدفعية الى مواقع قريبة من المدينة.

وفي 12 تفقد دامديرون رفقة قيادة الاركان الوضع في الكوديا وأثناء تقدمه الى المنحدر بالقرب من مدفعية نمورس ومن هنا استطلع على المدينة من بعيد وفجأة قصفت مدفعية باب الواد منحدر الكوديا فأصاب المارشال الذي قتل على الفور كما تعرض الكثير من الضباط الفرنسيين الى جراح متفاوتة الخطورة، وبعدها تم عقد

مجلس الحرب وعين فالي قائد الحملة والأركان وفي عشية يوم 12 تجددت القصف ليحقق نتائج بتحطم اسوار المدينة وابوابه.

عملية اقتحام المدينة ومقاومة عنيفة من السكان فسقوط قسنطينة:

في ليلة 12 التي اعتبرت ليلة الحسم بالنسبة للطرفين، كان أحمد باي يتابع من بعيد قصف المدينة وحينما رأى الامور في غير صالحه بادر بالتفاوض ولكن فالي رفض قائلاً: «بعد فوات الأوان، عليكم الا فتح الأبواب».

أخبر فالي قواته العسكرية في مساء يوم 12 ان الاقتحام يكون في صبيحة اليوم الموالي وهذا لمنع اصلاح العطب في اسوار المدينة ظلت المدفعية الفرنسية مستمرة في القصف، وفي الثالثة ونصف صباحا توجه ضابط من الهندسة واخر من سبايس لتفقد مكان الاختراق، وفي نفس الليلة تم اختيار وتشكيل الفرق التي تقوم بالاختراق وعين لامورسيير قائد حملة الاختراق، وفي صبيحة يوم 13 الفرق المعنية بالاقتحام متواجدة في موقعها الأولى في ساحة على يمين مدفيعات "الكوديا"، الثانية على الطريق المؤدي الى باتنة اما الثالثة مرتكزة على باردو.

اعطيت اشارة الهجوم على الساعة السابعة صباحا من طرف الدوق نمروس لتنتطلق قوات الفرنسية في اتجاه ثغرات الاسوار داخلية المدينة وفجأة تم نزع الراية الحمراء وتعويضها بالراية الفرنسية، وفجأة حدث انفجار ذخيرة احمد باي وكانت الكارثة سواء على القوات الفرنسية أو سكان المدينة، وتمكنت القوات الفرنسية من الدخول الى المدينة التي عرفت مواجهات ساخنة بين المقاومين والقوات الفرنسية التي انتهت في الاخير بتقديم وثيقة الاستسلام من طرف شيخ المدينة وتوقف اطلاق النار على الساعة 9 سقطت قسنطينة وتبدأ مرحلة النهب من طرف القوات الفرنسية خاصة انهم كانوا في حالة يرثى لها من جوع وثيابهم مبللة ووسخة. ونظرا لقصف المدينة طيلة 4 ايام وهو ما أدى الى خراب ودمار وسقوط اسوار المدينة لتصبح عرضة لهجوم القوات الفرنسية، اعطي الاذن بالهجوم على المدينة في 14 صباحا، وفي

بضعة ساعات تمكنت القوات الفرنسية من احتلال المدينة حيث وجدت المدينة مليئة بالجثث ممزقة المترامية في الاماكن حيث يدوس عليها الفرنسيين (مجزة كبيرة)¹، بينما صمد قادة المقاومة كل بن عيسى وبن البجاوي طيلة الاقتحام وبعدما ا فقدوا الامل تمكن بن عيسى المصاب بجروح رفقة ابنه بالخروج من المدينة والهروب الى الريف، أما بن البجاوي مات وهو يقاوم، أما أحمد باي الذي ظل يتابع في تطورات الاقتحام من بعيد فحينما رأى ان المدينة سقطت توجه نحو الجنوب رفقة بن قنة، قدرت خسائر القوات الفرنسية ب 19 قتيل و38 جريح من الضباط ، أما ضباط الصف والجنود : 129 قتيل و468 جريح.

3. مواصلة أحمد باي المقاومة واستسلامه سنة 1848 م:

لم يستسلم احمد باي بعد سقوط مدينة قسنطينة، فتوجه رفقة بن قنة وجماعة من الفرسان المقربين الى أم الأصناب(الأوراس) حيث استقر فيها الا أن بعض القوات العربية في المنطقة أجبرته على مغادرة المكان ليشق طريقه نحو بسكرة. وتمكن أحمد باي وبن قنة ان يصبحان اسياذ الجنوب خاصة بعد القضاء على فرحات بن هني الذي تحالف مع عبد القادر ليوسع نفوذه الى الجنوب، في الوقت التي كانت يعرف فيه اقليم الوسط احداث، تقدم أحمد بن عيسى البركاني رفقة فرحات بقوات كبيرة نحو مدينة الزيبان لملاحقة أحمد باي وصديقه بن قنة، فهربوا نحو الشمال بالقرب من الأوراس، و وبسماع قائد القوات الفرنسية لمنطقة قسنطينة نيقري(Négre) ان احمد اقترب من المقاطعة وهو في الأوراس ويعمل على تحريض سكان المنطقة لإعلان الانتفاضة، لاحقه رفقة قواته العسكرية وحاصره في

¹. Témoin oculaire, membre de la commission scientifique, , Détails sue l'expédition, l'assaut et la prise de Constantine de l'expédition française, IMPRIMERIE DE GABRIEL ROSSARY, Lyon, 1838, pp,4-34.

المنطقة وتلاشت قوات أحمد باي بالتخلي الكثير من الفرسان عنه و أصبح في موقف حرجا ما دفع به الى الهروب الى الحنانشة رفقة بعض الفرسان فقط.

وما زاد في اضعاف أحمد باي هو استسلام بن قنة بوعزيز وبعض الفرسان من الجنوب (بسكرة) في نهاية ديسمبر 1838 م. الى ان قامت السلطات الفرنسية بتعيينه خليفة في بسكرة حيث عين شيخ العرب في جزء من بسكرة لان الجزء الاخر كان تحت سيادة بن عزوز التابع للأمير عبد القادر. حقق بن قانة بوعزيز عن طريق ابنه محمد وابن اخيه سي احمد بلحاج انتصارا ساحقا على ابن عزوز (خليفة جزء من الزيبان والمتحالف مع عبد القادر) وهو ما ادى الى هروب ابن عزوز من الميزان واستلاء عليها من طرق بن قانة.

ردا على ما حصل في الزيبان، راسل الامير فرحات بن هني (المسجون في تاقدمت مع عائلته كي يرافق اخ الامير للقيام بحملة على الزيبان، الا ان القوات الفرنسية بقيادة القائد الجديد لمقاطعة قسنطينة قالبوا (Galbois) وتمكنت من ابعاد قوات الامير نهائيا من الجنوب الشرقي.

وحيثما صعبت عليه الامور باعتقال الكثير من رفقاءه ما كان عليه الا الاستلام في جوان 1848 م، لينقل الى المركز العسكري في بسكرة ومنه الى قسنطينة وبعدها نقل الى مدينة الجزائر وفيها توفي سنة 1851م ودفن بمقبرة سيدي عبد الرحمان القريبة من باب الواد.

المحاضرة السادسة: الثورات الشعبية الأخرى خلال القرن التاسع عشر

عناصر المحاضرة:

مقدمة

1-انتفاضة الزعاطشة.

2-انتفاضة المقراني 1870-1871

3-انتفاضة الأوراس سنة 1879.

4-انتفاضة بوعمامة جنوب اقليم وهران 1881.

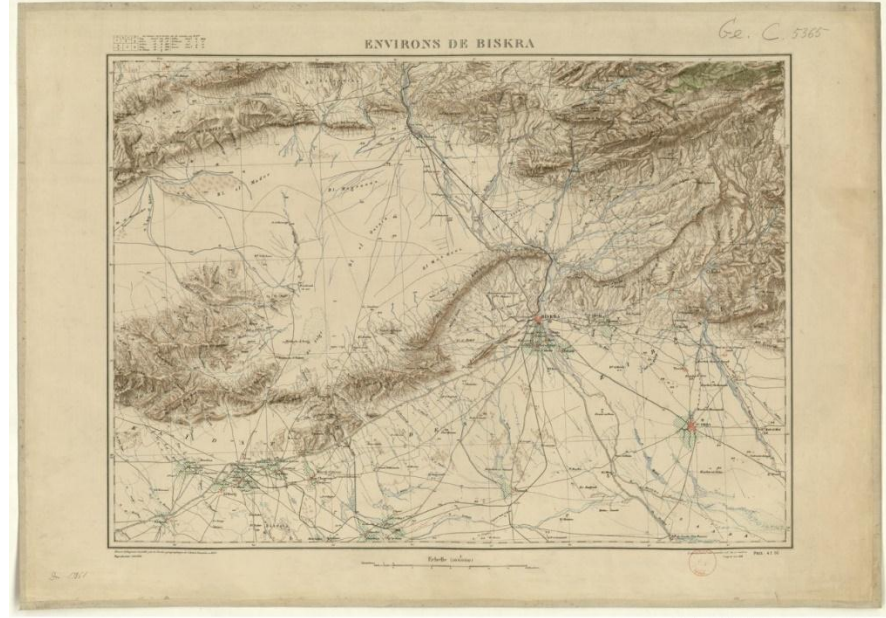
5-انتفاضة المزاب 1882.

مقدمة: من بين المتمردين على التوسع الفرنسي في المناطق الداخلية سواء الوسطى، الشرقية والغربية رغم استمرار كل من مقاومة عبد القادر أو احمد باي في الشرق، الا ان هذا لم يمنع من بروز افراد يدعون انهم من الأولياء الصالحين اي الشرفاء ليعلنوا الجهاد الإسلامي وظهر ذلك في منطقة القبائل ومن بينهم: مولاي محمد بن عبد الله الملقب ب بويغلة وكان ذلك سنة 1845 وتمتد مقاومته الى غاية....، اما في الظهرة اي شمال الشلف ظهر زعيم يلقب ببومعزة. سنة 1845م.وتقتصر على بعض الانتفاضات الشعبية.

1. انتفاضة الزعاطشة اكتوبر 1849م

دامت "انتفاضة الزعاطشة" 51 يوم، ما هو معروف ان بسكرة سقطت تحت السيادة الفرنسية سنة 1843م، لكنها لم تتمكن من اخضاع الزيبان الا سنة 1844م، وعين سان جرمان قائد الكتيبة في بسكرة وتمكن ضبط الامور وتجسيد الانضباط..... وظل الى غاية 1849م، وحينما سافر الى قسنطينة سنة 1849 وتعويضه ب الرقيب لاقريني (Lagrenée).

خلال هذه الفترة تحرك بوزيان نمم أجل تحريض وتحريك أهالي المنطقة من أجل العصيان والاحتجاج ضد الضرائب المفروضة على النخيل.



Source gallica.bnf.fr / Bibliothèque nationale de France

تشهد منطقة جنوب اقليم قسنطينة (الزيان والأوراس) سنة 1849 انتفاضة شاملة، وهو ما جعل منطقة الزعاطشة تضرب عليها حصار من طرف القوات الفرنسية.

كان الهجوم لإخضاع الزعاطشة في 27 نوفمبر 1849م، لتنظيم الحملة لإخماد انتفاضة الزعاطشة يبدأ من اقليم الجزائر بإرسال امدادات الى الجنوب الشرقي (الجزائر - سكيكدة- قسنطينة- بسكرة) من حيث تعرف الزعاطشة اشتباكات دامية يشن أهالي المنطقة هجمات من حين لآخر على القوات الفرنسية المتمركزة حول الحصار بالحاق بهم خسائر مريرة في صفوف قواتهم.

من نتائج هذه الانتفاضة:

- قتل أكثر من 70 ضابط فرنسي.

- التخلص من 1000 عسكري فرنسي من المعارك¹.

أما بوزيان وعائلته وزوجاته وحاشيته من الضباط العسكريين تعرضوا للإعدام والشنق في حديقة رفقة 50 من لحاشيته للقتل وتشويه جثثهم حيث علقت جثثهم في وسط ساحة الزعاطشة.

ان ثورة 1848 م في فرنسا وانتقال خبرها الى مستعمرة الجزائر، كان له أثر بالغ سواء لدى الأوروبيين والأهالي اتخذها الأهالي كفرصة والوقت التي تمر به فرنسا بهذا الوضع المزري فهو ملائم للتمرد ضد الاعداء، فكان ذلك في الشمال الشرقي من طرف بعض القبائل في الوقت الذي كان فيه الجنوب يمر بهدوء وسلم.

ولكن خبر ثورة 1848 لفرنسا لم يمر ببرودة في الجنوب الشرقي رغم تأخر انتقاله، المهم ان بعد سماع بهذا الخبر حرك أهالي الزاب بزعامة بوزيان لإعلان العصيان والتمرد ضد الوجود الفرنسي في الزاب، يمكن ان تحدد اسباب انتفاضة الزعاطشة الى ما يلي:

1- رفع ضريبة النخلة ب 15°/° اي بعدما كانت 0,30° ارتفعت الى 0,45°.

2- انتقال خبر الثورة هو الذي حفز سكان المنطقة للخروج.

وشرارة الانتفاضة انتقلت الى المناطق المجاورة للزيان خاصة الأوراس.

وصلت القوات الفرنسية المجندة كن اقليم قسنطينة ولكن بتدعيم قليل من اقليم الوسط للحملة على بسكرة(الزعاطشة) بتاريخ 7 أكتوبر 1849، فقدّر تعدادها ب 4000 عسكري، وبيدأ الحصار الذي دام الى غاية 20 أكتوبر، ففي هذا اليوم حاولت

¹. Charles Bocher, Lettres et récits militaires, Afrique et armée d'orient, Calmann Lévy, éditeur, paris, 1897, p.32.

فرقتين من القوات الفرنسية اقحام المدينة ولكن بخروجها من الخنادق باتجاه المدينة فسقطت عليها وابل من الرصاص. وينتهي القوات الفرنسية من العملية في 28 نوفمبر وتبدأ تتحرك في اتجاه بسكرة ثم.

ازالة الزعاطشة من خريطة العالم بعد الخراب والحرق والابادة..... الخ

2. مقاومة المقراني والحداد

ينسب معظم المؤرخين أسرة المقراني إلى السيدة فاطمة بنت الرسول-عليه الصالة والسالم-، ويذكرون أن أجدادها من قبائل عياض، هاجروا إلى اقليم المغرب في القرن 11م خلال قدوم الهلالي ين إلى منطقة، ليستقروا بجبال قلعة بني حماد في المعاضيد شمال مدينة المسيلة وجنوب شرق مدينة برج بوعرييج. وارتبط تاريخهم بالأمراء الحمادين، ثم انتقلت الاسرة عبر بعض مناطق هذه الجهة من الجزائر حتى اختارت قلعة بني عباس شمال غرب سهل مجانة داخل المنطقة الغربية على الضفة إلى منى لواد الساحل. وبعد مخاض وانقسام كبيرين داخل الاسرة عين الفرنسيون محمد المقراني باشاغا على مجانة إثر وفاة أبيه في حوالى سنة 1853 م¹.

أما الشيخ الحداد فينتمي إلى الطريقة الرحمانية التي أسسها محمد بن عبد الرحمن الذي عاش بين سنتي 1715 و1725م، وتعتبر قرية بني منصور في جبال البيبان موطننا أصليا لعائلته، ومن هذه القرية انتقل أفراد الأسرة إلى مختلف مناطق وقرى بلاد القبائل. وقد استقر أحد أفراد الأسرة بقرية صدوق على الضفة إلى منى لواد

¹. يحيى بوعزيز، ثورة 1871 (دور عائلتي المقراني والحداد)، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر 1978، ص ص 49-58.

الصومام، وهناك ولد محمد أمزيان الحداد الذي أشرف فيما بعد على الزاوية الرحمانية التي قصدتها الكثير من طلاب العلم والذين عرفوا بالإخوان الرحمانيين.

أسباب المقاومة: يمكن حصرها فيما يلي:

- مرسوم كريميو Crémieux والذي منح امتيازات لليهود أساسها الحصول على المواطنة الفرنسية هذا ما جعلهم في مكانة أحسن من المسلم الجزائري¹.
- الشعور بالظلم والاهانة للأهالي ومصادرة املاكهم وافقارهم.
- أثر سقوط النظام الامبراطورية وظهور الجمهورية على الأوضاع الداخلية للجزائر في مقدمتها ظهور قوة المستوطنين وتأثيرها على حكومة باريس وسيطرتهم على السلطة في الجزائر.
- تلقي المقراني توبيخ من طرف الجنرال ديف سنة 1864م واعتبار هذا الفعل اهانة لهو لعائلته ولسكان منطقته.
- تقليص نفوذ المقراني في المنطقة وتحطيم كبريائه كزعيم سياسي لذلك قدم استقالته من منصب الباشاغا التي رفضتها الإدارة الفرنسية في 09 مارس 1871 اعتبر المقراني ذلك الرفض مساس بكرامته.
- المجاعة الكبيرة التي تعرضت لها المنطقة والتي وقعت ما بين 1867 و1868 وراح ضحيتها آلاف الجزائريين الذين حصدهم الموت أمام مرأى ومسمع من الإدارة الاستعمارية التي لم تسارع إلى نجدة الأهالي وهذا ما أكد للمقراني مرة أخرى أن هذه الإدارة لا يهتمها في الجزائر إلا مصالحها.

¹. Le commandant Du Cheyron, L'insurrection de 1871 en Algérie, journal d'un officier, Henri Plon, imprimeur éditeur, Paris, 1873, p. 19.

- السبب الديني حيث استغلت الكنيسة الأوضاع الاجتماعية المزرية وراحت تحمل الإنجيل في يد والمساعدات في اليد الأخرى مما اضطر الأهالي إلى ترك أبنائهم في يد الآباء البيض للتصير خوفاً عليهم من الموت .

مراحل مقاومة الشيخ المقراني والحداد:

- **مرحلة الانطلاق:** عقد المقراني اجتماعاً حربياً مع رجالاته وكبار قاداته في 14 مارس 1871 م لياشر الحرب، وفي 16 مارس بدأ زحفه على مدينة برج بوعريج على رأس قوة قدرت بسبعة آلاف فارس قصد محاصرتها والضغط على الإدارة الاستعمارية الجديدة.

- مرحلة شمولية الثورة وبرزو الشيخ الحداد والإخوان الرحمانيين:

بعد محاصرة مدينة البرج وانتشار الثورة عبر العديد من مناطق الشرق ووصلت إلى مليانة وشرشال والحصنة والمسيلة حتى أبواب الصحراء (بسكرة وعين صالح وبوسعادة وتوقرت) وإمام هذا الوضع برزت خلافات بين الزوايا وداخل عائلة المقراني الذي لا يخدم مقاومة المقراني ضد الإدارة الاستعمارية الذي عمد إلى استمالة الشيخ الحداد والإخوان الرحمانيين، وبواسطته بدأت تعبئة السكان للجهاد وقد لعب ابن الشيخ محمد أمزيان بن علي الحداد دوراً بارزاً إلى جانب المقراني، واستطاع إقناع والده بإعلان الجهاد في 08 أبريل 1871 وهوما سمح لبعض الأتباع من الإخوان الرحمانيين بالانضمام إلى صفوف الثورة وأصبحوا قوتها الضاربة حيث خاضوا مع الباشا محمد المقراني عدة معارك انتصروا فيها على جيوش العد والفرنسي، وتعتبر معارك المقراني، وأخوه بومرزاق والشيخ عزيز بالإضافة إلى الإخوان الرحمانيين من المعارك التي أثبتت لقادة الاستعمار توسع رقعة هذه الثورة التي لم تكن محصورة في مجانة أو البرج بل وصلت إلى دلس و تيزي وزو وصور

الغزلان وذراع الميزان والبويرة ووصلت إلى مشارف العاصمة. وكان الاخوان الرحمانيين من أتباع الشيخ الحداد دور بارز في انتصارات الثورة بعد انضمام الحداد الى الجهاد في 08 ابريل 1871 محيـث وصل عدد المجاهدين أكثر من مائة وعشرون ألف مجاهد، وحققت هذه لانتصارات هد والثورة انتصارات كبيرة أخافت الادارة الاستعمارية وأصبحت تشكل خطرا على مصالحها.

مرحلة التراجع: رغم قوة شيخ الحداد وابنه عزيز في التعبئة العامة للجهاد ودور أتباعهم الرحمانيين الى جانب دور محمد المقراني واخيه الا الخلافات التي زرعتها الادارة الاستعمارية خاصة بعد استشهاد المقراني حول زعامة المقاومة بين اخ المقراني والشيخ الحداد الى جانب الخلاف بين زوايا أهل المنطقة وما ادى بانسحاب هذه القوات من المقاومة، وبقي بومزراق اخ المقراني يواصل المقاومة بمفرده وامام قوة العدو وضعف جيشه بعد انسحاب الكبير لحلفائه ما ادى الى مطاردته و القاء عليه القبض في جانفي 1872، دامت المقاومة حوالي 6 اشهر مخلفتا عدة نتائج.

نتائج المقاومة:

- فرض ضرائب على سكان المنطقة المشاركة في المقاومة المقدرة بين 70 الى 210 فرنك.
- اجبار العائلات على دفع مبالغ مالية ضخمة تتراوح بين نصف مليون و3 مليون فرنك وفي حالة عدم الدفع يتم الاستلاء على الاموال.
- احالة الموقوفين من قادة الثورة على المحاكم المدنية أو العسكرية.
- مصادرة أراضي القبائل وحجز املاك افرادها، حيث تم مصادرة أكثر من 611 ألف هكتار.
- اصدار احكام قضائية مشددة في حق بومزراق المقراني المقدرة بالإعدام اما الحداد ب 10 سنوات سجنًا.

تحتل مقاومة المقراني والشيخ الحداد مكانة بارزة ضمن سلسلة المقاومات الشعبية والحركات الثورية الجزائرية وكان لعائلي المقراني والحداد الدور أساسي في قيادة الثورة وحركات المقاومة الجزائرية، وتحمل تطوراتها وتبعاتها. ولقد كان للزاوية الرحمانية الدور الحاسم في كافة الأعمال القتالية لهذه الثورة الرائدة، فكانت بحق ثورة الاخوان الرحمانيين. كما كانت ثورة الجزائر كلها، تحت راية الجهاد من أجل الوطن ومن هنا، وإذا كان لا بد للثورة من إطار شامل يضمها، فيكفي وضعها في إطارها الزمني. وهي أيضا امتداد لأعمال المقاومة التي بدأها الشعب الجزائري منذ الأيام الأولى للغز والاستعماري الفرنسي للجزائر، كمقاومة الامير عبد القادر وأحمد باي، ومرورا بثورات لالة فاطمة نسومر وغيرها¹.

لم تكن ثورة المقراني والشيخ الحداد الا بداية لثورات لاحقة، اتصل بعضها ببعض فبقيت أرض الجزائر أرض الاحرار وجزائر الاسلام والمسلمين، وهي تلتهب لتحرق أقدام المستعمرين، حتى آن أوان ثورة الفاتح نوفمبر من سنة 1954 والتي سارت بالجزائر إلى النصر العظيم واسترجاع الاستقلال. هذا وقد تناول العديد من المؤرخين هذه المقاومة من زوايا مختلفة، نحاول فيما يلي تسليط الضوء على ما كتبه لوي رين " Rinn.L في المجلة الإفريقية من خلال مقالين في سنتي 1887 و 1891، حيث قال: " أن ثورة الحداد وإخوانه في 08 أفريل هي أهم وأخطر حدث في هذه الثورة، أعلن الحداد الجهاد فدفع عدد كبيرا من سكان جرجرة والبابور وحوض الصومام إلى الثورة. وأن المقراني ما كان ليتحول "عصيانه" إلى ثورة عارمة إلا بعد انقياد الإخوان الرحمانيين لنداء شيخهم، وحملهم للسالح².

¹. المرجع السابق، ص ص 67 - 80.

². -Rinn(L), Histoire de l'insurrection de 1871 en Algérie, Alger, imp. Jourdan, 1891.

كما اعترف رين بأن المقاومة كانت عنيفة، فقد جرت عدة معارك، آخرها معركة تالة إيفاسن في 23 جوان 1871، والتي استسلم على إثرها الحداد للجنرال الفرنسي الملان "Lallemant" يوم 30 جوان من نفس السنة بعين بسام. ويشير المؤرخون إلى أسر 600 مقاوم واستعادة 500 بندقية وتقديم حوالي 950 ألف فرنك إلى خزينة الدولة.

3. انتفاضة الأوراس سنة 1879.

بتاريخ 30 ماي 1879، انتفضت فرقة مكونة من أولاد داود وبني بوسليمان وعمار حراد وفي الحمام عند أولاد الداود، وهاجمت بشكل خاص وذبحت زعماء قبائل الأوراس حيث قتلت قائد بني بوسليمان سي مصطفى باشتارزي ثم قتل قائد أولاد داود، بوضياف، في معسكر الأناصر، وأولاد عدي، سي الحسن، حيث قتل أيضا جندي فرنسي وستة صبايحية وخمسة عشر من خدم القائد. في ليلة 8-9 جوان هاجم تتركز عسكري فرنسي في ربيعة الا ان القوات الفرنسية تمكنت من صد الهجوم.

تخوفت الحكومة الفرنسية ان الانتفاضة تكون عامة، لذا جمعت قرابة اثني عشر ألف رجل ساروا في ثلاثة أعمدة باتجاه مسرح الثورة. بعد مواجهة غير مهمة، استسلم المتمردون، باستثناء مائة وخمسين أو مائتين من الرجال الذين حاولوا الفرار وماتوا من العطش في الصحراء.

كانت لهذه الانتفاضة خصائص ومميزات فريدة من نوعها لن الأهالي هجموا وضربوا وقتلوا قاداتهم، أما من جهة أخرى أنقذوا الأوروبيين الذين كانوا في ممتلكاتهم وقت نشوب الانتفاضة.

كان سبب الانتفاضة حسب الرأي المدني أن الحركة كانت بسبب ابتزازات وتجاوزات القادة الكبار للقبائل. بينما الرأي العسكري عكس ذلك، حيث يردّه إلى أن السبب هي خطب المتعصب الذي يدعى محمد أمزيان معروف باسم محمد بن عبد الرحمن. بتحريضه على التمرد والانتفاضة حيث رأى في نفسه انه النبي المنتظر، أستلزم عقود من الحروب لإنهاء المقاومة الشعب الجزائري للذين كانوا يقولون أن بالسيف ندخل عليكم الحضارة.

كانت مقاومة الشعب الجزائري عنيفة من سنة 1830 إلى غاية 1847م للإطاحة بالغزاة الذين كانوا يرون في الجزائر أنها لا تمثل وطن ولكن ظهر عكس ذلك لان توسعهم على كل شبر من الارض كان الا بإهدار وارقة الدماء.

وقال أنجلز في هذا الصدد ما يلي: "قد تم احتلال منزل وراء منزل سواء داخل مدينة صغيرة أو كبيرة بعد توضحيات لا تحصى ولا تقدر لان القبائل العربية والأمازيغية تري في السيادة والاستقلال شيء مقدس وكانت تفضل التضحية بالنفس والنفيس علي الاهانة والسيطرة، تعرضت هذه القبائل لمداهمات وغارات رهيبية حيث احرقت ودمرت منازلهم وممتلكاتهم وكما اتلفت محاصيلهم الزراعية علي آخرها أما السكان المتواجدين في هذه الاماكن تعرضوا لأبشع الجرائم وأساليب القمع والاضطهاد¹. والأمثلة كثيرة التي تعكس الشراسة و وحشية الغزاة المتمثلة في أقوال الجنرالات الفرنسيين المشاركين في التوسع تناولها الكثير من الكتاب ومن أشهر السفاحين الكونت هريسون الذي قاد عدة حملات التوسع وتكلم عن حملة لبرميل مملوء بالأذنين أصطادها حسب قوله، إضافة لذلك تعرضت القرى للنهب والتخريب

¹. Marks-Engels, textes sur le colonialisme, éditions Moscou, p.190.

والحرق، فهي تدخل في سياسة إبادة الأهالي وتعويضهم بالمستوطنين مثلما فعل الأمريكيون مع الهنود الحمر¹.

كان من رواد المقاومة الشعبية رجل عسكري ورجل دولة وهو الأمير عبد القادر الذي لم يستسلم إلا سنة 1847م وفق شروط وبعد خيانة فادحة للسلطان المغربي، في الوقت الذي كان فيه عبد القادر قد أشعل فتيل الحرب بتوحيد القبائل الجزائرية وإلغاء الامتيازات ونشر الوعي القومي لإقامة وطن جزائري وذلك بلم شمل الجزائريين لخوض مقاومة شعبية ضد الغزو الأجنبي الفرنسي حيث أعطى لها بعد وطني، وكان سولت (Soult) وزير الحرب آنذاك قد أكد على البعد الوطني لمقاومة الأمير في رسالة بعث بها إلى لامورسيار (Lamoricière) الحاكم العام في الجزائر وجاء فيها: "أعطى الأمير عبد القادر للجزائر نوع من الوحدة الوطنية"².

بعد استسلام عبد القادر لم تسقط كامل المناطق الجزائرية في قبضة الغزاة الفرنسيين كم منطقة قسنطينة ومنطقة القبائل والأطلس الصحراوي التي هي الأخرى قاومت وواجهت بشدة التوسع الفرنسي حينما شرع في التوسع علي حسابها وظلت المقاومات مستمرة إلى غاية الانتفاضة الكبرى التي قادها الإخوة الحداد والمقراني سنة 1871م التي بدأت في قسنطينة وامتدت إلى القبائل ثم الغرب والأطلس الصحراوي، كان وراء تحريك وتنسيق هذه المقاومة الحداد والمقراني المنتميان للطريقة الرحمانية، وقد شارك في المقاومة مئات الآلاف من المقاومين أي ثلثي البلاد.

انتهت المقاومة 1871م بالانهزام والاستسلام ولكن عموما فإن المقاومات المسلحة التي خاضها الشعب الجزائري طيلة القرن 19 اتسمت بخصوصياتها (نقص التنسيق والتنظيم) وكانت في ظروف معينة محليا (ضعف الوعي القومي، النظام القبلي،

¹. Lacoste, Nouschi, Prenant, L'Algérie, passé et présent, Editions sociales, Paris, 1960 ; P.305.

². Mohammed Tegui, L'Algérie en Guerre, OPU, Alger, 1980, P. 16.

نقص في العتاد العسكري...) ودوليا (عدم تطور النظام الدولي) معينة ما جعلها تفشل في تحقيق هدفها، عكس ثورة المنتصف الثاني من القرن 20 التي جرت في ظروف مغايرة تماما التي كالت بتحقيق هدفها وآمال الشعب الجزائري.

ان كانت مقاومة الأمير ومقاومة 1871 من المقاومات القوية ضد المحتل الفرنسي لشموليتها واتساعها عبر ربوع الوطن، إلا أن المقاومات الشعبية الجزائرية لم تتوقف رغم أنها كانت محلية وظرفية وبذلك استمرت إلى غاية الحرب العالمية الأولى ومن اهمها مقاومة 1872م التي عرفت منطقة جنوب قسنطينة (بسكرة، تقرت و ورقلة) وثورة الزيتون (بسكرة) في سنة 1876م، وثورة الأوراس سنة 1897، وفي سنة 1881 في جنوب وهران، وفي سنة 1882 في المزاب، كما لم تتوقف الاعتداءات الشعب الجزائري على المحتل حيث سجلت سنة 1895م 8389 عملية اعتداء على ممتلكات وافراد الأوروبيين¹.

كما تم تسجيل بين 1886 إلى 1894م ما يقرب من 51077 عملية اعتداء من نفس النوع اي بمعدل 5675 عملية كل سنة.

وقد كان سكان الطاسيلي والهقار من سكان الصحراء الأوائل الذين تصدوا للغزو الفرنسي أثناء توسعه سنة 1902 و 1903م، كما حدث في شرق الجزائر سنة 1908م، أما سنة 1910 فقد شهدت حركة مناهضة للتجنيد الإجباري الذي مس مناطق مختلفة من الجزائر، قسنطينة، التيطري وغرب الجزائري، جعل سكان بني شقران السلاح للتعبير عن رفضهم التجنيد الاجباري واشتبكوا مع القوات الفرنسية، أما في الشمال القسنطيني تعرضت عدة مزارع أوروبية لهجمات وتخريب قام بها سلطان المنطقة تعبيرا عن رفضهم لسياسة التجنيد ' اكما ثارت الزاوية السنوسية في جنات)

¹. Charles Robert Ageron, Les musulmans Algériens et la France, tome 2, P.U.F, Paris, 1968 , p.553.

الصحراء) سنة 1915 م، التي شهدت عدة معارك،، وفي سنة 1916م ترفض قائل الأوراس هي الأخرى التجنيد الاجباري حيث تم الاعتداء علي قوافل الناقلة للمجندين من اجل تحريرهم. كما ثارت قبائل التوارق الهقار سنة 1917 و 1918م بشن هجمات علي القوات الفرنسية بينت منطقتي ورقلة وتمنراست الذي ادي بإلقاء القبض وتحطيم بغض الكتائب الفرنسية¹ ما ميز المرحلة الأولى من رفض الشعب الجزائري للوجود الاجنبي الفرنسي في الجزائر والذي تجسد في المقامات الشعبية وما يميز هذه المرحلة هو بروز كل من مقاومة الامير عبد القادر ومقاومة الحداد والمقراني لكونهما مقاومات عنيفة وبأسلة كما كانت شاملة اما البقية يمكن اعتبارها اضطرابات رمزية، وانتهت هذه المرحلة دون تحقيق نتائج ملموسة، وكان وراء هذه المقاومات رجال الدين وذات طابع ريفي بينما المدن لم تعرف تحركا كبيرا.

بفشل هذا الاسلوب من النضال والكفاح (المقاومات الشعبية) في تحقيق نتائج ملموسة اي طرد الاجنبي الفرنسي لم يستسلم الشعب الجزائري للحالة التي أل إلى ها بعد تطبيق المستعمر سياسة قائمة على الاستغلال والقمع والتفرقة...، وما دفعه للعودة للنضال هي المتغيرات التي عرفها عالمنا مع بداية القرن العشرين. ولكن جاء النضال في صبغة واسلوب جديد يعرف بالنضال السياسي بظهور وميلاد الحركة الوطنية. فما هو مفهوم الحركة الوطنية وما هي العوامل والظروف التي ساعدت على ظهورها؟

¹. Mohammed Teguia, Op. Cit, p. 18.

المحاضرة السابعة: سياسة الجمهورية الفرنسية الثالثة في الجزائر من 1870 إلى 1900.

1. السياسة الفرنسية في الجزائر من 1870 إلى 1914

لم يعتبر الكثير من الفرنسيين ان الجزائر ليست مستعمرة مثل باقي المستعمرات وانما هي امتداد لفرنسا في الضفة الجنوبية للبحر الابيض المتوسط، ما جعل طبيعة نظام الحكم في الجزائر يتغير تماشيا للتغيرات والتطورات التي كانت تعرفها كل من المتروبول والجزائر الفرنسية، ما جعل ان طبيعة نظام الحكم وادارة الجزائر عرفت تطورات وتغيرات مع توسع وتوطيد الاستعمار الفرنسي في الجزائر ما يجعلنا نميز بين عدة مراحل في حكم وإدارة الجزائر ونقتصر على دراسة المرحلة الممتدة من 1870 إلى 1914 م في مختلف المجالات.

المرحلة الخامسة (عهد الجمهورية الثالثة) من 1870-1882م

عارض الاحرار الفرنسيون ما تم تطبيقه من أفكار فيما يخص الجزائر، إن فكرة المملكة العربية تعارض الاستعمار والمصالح الاقتصادية لفرنسا، ففي سنة 1868م كتب احد رواد الكتاب الفرنسيين بريفوس - بارادول (Prévost-Paradol) معبرا عن أفكاره عن استعمار الجزائر قائلا: "الجزائر هي آخر أمل لعظمة فرنسا" ويقول "إن إفريقيا في فرنسا الجديدة لا تكون بالنسبة إلينا مركزا تجاريا مثلما هو في الهند وليس فقط ميدان أو ثكنة لقواتنا العسكرية ولا هو مركزا للتجارب هي أراض فرنسية حيث لا

بد من الإسراع بتعميرها بالسكان، تملك وتزرع من طرف الفرنسيين¹ إن هذه الأفكار ترى النور بعد زيارة لوفد برلماني لإجراء تحقيق في عين المكان.

اصدرت الحكومة الفرنسية بتاريخ 24 أكتوبر 9 مراسيم بموجبها تقرر فيها اقامة نظام مدني في الجزائر ومن بينها قانون منح الجنسية الفرنسية للإسرائيليين

B. n° 8.

— 109 —

RÉPUBLIQUE FRANÇAISE.

N° 136. — *DÉCRET qui déclare citoyens français les Israélites indigènes de l'Algérie.*

Du 24 Octobre 1870.

LE GOUVERNEMENT DE LA DÉFENSE NATIONALE

DÉCRÈTE :

Les israélites indigènes des départements de l'Algérie sont déclarés citoyens français; en conséquence, leur statut réel et leur statut personnel seront, à compter de la promulgation du présent décret, réglés par la loi française, tous droits acquis jusqu'à ce jour restant inviolables.

Toute disposition législative, tout sénatus-consulte, décret, règlement ou ordonnance contraires, sont abolis.

Fait à Tours, le 24 Octobre 1870.

Signé AD. CRÉMIEUX, L. GAMBETTA, AL. GLAIS-BIZOIN, L. FOURICHON.

وبموجب هذه المراسيم الصادرة في 24 أكتوبر 1870 تضع الجزائر تحت سلطة حكومة مدنية تابعة لوزارة الداخلية والتي تتمركز في مدينة الجزائر. سيكون أول حاکمان مدنيان عامين إلى جانب: دي جويدون (de Gueydon)، وتشانزي (Chanzy)، وكان هذا الاخير يؤمن بشدة بالاندماج، صاحب نظرية النظام الجديد: "المبادرة والتنفيذ في مدينة الجزائر، القرار والمراقبة في باريس".

وإذا كان القرار، في الواقع يتخذ من باريس، لا يمكن أن يكون معروفاً لوزير الداخلية إلا في الأمور المتعلقة باختصاصه، بالنسبة للموضوعات الأخرى، كان من

¹. Prévost-Paradol, La France nouvelle, libraires éditeurs, Michel Lévy frères, Paris, 1868, p.417.

الضروري إشراك مختلف الوزراء المسؤولين أمام البرلمان. لذلك كان علينا الوصول إلى النظام الذي يسمى بالارتباط.

بناء على تقرير من الحاكم العام للجزائر، السيد جريف (GREVY)، في 3 نوفمبر 1880، تم تشكيل لجنة برلمانية إضافية من قبل السيد جوستاو (M. GOUSTAU)، وزير الداخلية من أجل تعديل وتنظيم وتحديد سمات الحكومة العامة، لتحديد علاقاتها مع متروبول، كانت هذه اللجنة على عاتقها أمام الغرف البرلمانية النظر في امكانية ربط الجزائر مع السلطات المركزية وأخيرا التخلص أخيراً من نظام المراسيم، المليء بالارتباك والتعسف أي التشريع الجزائري (هذه اللجنة كانت تتألف من اثنين من نواب أمناء الدولة و أعضاء من البرلمان وكذا أعضاء من مجلس الشيوخ....).

ولكن بهذا الاجراء لم يبقى لحاكم العام ولا سلطات.

وبصدور المرسوم المؤرخ 26 أغسطس 1881 مبدأ النظام الإداري الجديد.

أصبحت مصالح الجزائر تحت السلطة المباشرة للوزراء التابعين لباريس، ليصبح كل وزير صاحب الاختصاص والشؤون المرتبطة به في الجزائر حيث تقوم كل وزارة من جهتها ارسال تعليمات المتعلقة بشؤونها الى الحاكم العام، يأخذ بمقترحاته ويبدى رأيه ليقرر الوزير أو اتخاذ القرار من قبل رئيس الدولة.

بعد حصوله على حق المبادرة، يصبح الحاكم العام مجرد سلطة تنفيذية، حتى في حدود صلاحيات المخولة له يجد نفسه في حالة التبعية: هو عن طريق تفويض "وأخيراً، يتمتع الحاكم العام بسلطات ذاتية فقط، أو تلك المخولة له بموجب قوانين خاصة.

المجلس الأعلى للحكومة وإعداد الميزانية

يضع الحاكم العام مشروع الميزانية لكافة المصالح، ويقدمه إلى المجلس الأعلى للحكومة. يشمل هذا المجلس (الذي تتمثل مهمته الرئيسية إعداد الميزانية)،

والذي أعيد تنظيمه وتوسيعه بموجب المرسوم في 1883 خمسة عشر مسؤولا كبيرا من مجلس الحكومة، المحافظين الثلاثة، الجنرالات الثلاثة الذين يقودون الأقسام وثمانية عشر مستشارًا عامًا، ويدرسون مقترحات الميزانية، وأساس وتوزيع الضرائب.، ليقرر الوزراء فيما بعد في الاقتراحات، يتم توزيع الاعتمادات التي فتحت للجزائر بموجب قانون المالية توزيع النفقات على مختلف الوزارات على نفس الشكل والشروط والمسؤولية كما هي في الميزانية العامة للدولة. وفي هذا القطاع، كما هو الحال في معظم القطاعات الأخرى، لا يعتبر الحاكم العام أكثر من موظف (وسيط) يُكلف بإثارة القرارات اللازمة وتنفيذها عند اتخاذها.

2. النظام السياسي في الجزائر:

ان مرسوم 5 فيفري سنة 1871م يسمح ممثلين لكن مقاطعة في الجمعية الوطنية، الا ان السلطات العمومية جعلت من الجزائر حالة خاصة، حيث يكون لها ممثل واحد عن كل مقاطعة، الا أن قانون 1881 صحح ومنح لكل مقاطعة ممثلين،

ما هو معمول به في الجزائر مخالف تماما عن وطن الأم، حيث يوجد في الجزائر قائمتين انتخابيتين أو هئتين انتخابيتين هيئة انتخابية أوروبية وهيئة انتخابية من الأهالي ان قائمة المشاركة في الانتخابات السياسية هي الهيئة الانتخابية الأوروبية فقط، بينما الأهالي يشاكرون في بقية الانتخابات اي البلدية (سنة 1789 قائمة الانتخابية في الانتخابات السياسية تساوي 45408 ناخب، اما القائمة الانتخابية البلدية فهي أيضا تساوي 78781 ناخب.

كما ان كل مقاطعة جزائرية لها عض وفي مجلس الشيوخ اي "سيناتور" ينتخب من هيئة انتخابية متكونة من البرلمانيين، اعضاء من المجلس العام من مواطنين فرنسيين، مندوبين من مواطنين فرنسيين منتخبين من المجالس البلدية.

ادارة المحافظات

تنقسم الجزائر إلى ثلاث محافظات، تضم كل واحدة منها إقليمًا مدنيًا وإقليمًا عسكريًا. الأقاليم المدنية مقسمة إلى 3 محافظات واقعة عمومًا في المنطقة التالية أما الأقاليم العسكرية تشمل الجزء الأكبر من الهضاب العليا والصحراء وهي مقسمة إلى 3 نواحي عسكرية ومقراتها هي مقر المحافظات.

توجد 12 قسما عسكريا وهي موزعة كالتالي:

مدينة الجزائر: الجزائر، دلس، أورليانفيل(الشلف)، أومال (سور الغزلان)، المدينة
وهران: وهران، معسكر وتلمسان.

قسنطين. قسنطينة، سطيف، عنابة وباتنة.

إن إدارة المحافظات تتشابه تقريبا مع إدارة المحافظات في وطن الام. يتم مساعدة المحافظين من قبل المجالس العامة حيث يتم انتخابهم من طرف الفرنسيين أو حامل الجنسية الفرنسية، يتم تمثيل المسلمين في هذه المجالس من قبل المقيمين يتم تعيينهم من قبل الحكومة العامة.

كل محافظة مقسمة إلى دوائر، وهي موزعة كالتالي:

محافضة الجزائر: مليانة، المدينة ، وأورليانفيل(الشلف)، وتيزي وزو.

محافضة وهران: معسكر، مستغانم، سيدي بلعباس وتلمسان.

محافضة القسنطينية: بون(عنابة)، بوجي (بجاية)، قالمة، فيليبفيل(سكيكدة)، سطيف وباتنة. انها مسألة تقسيم كل قسم من قبل إنشاء الإدارات الجديدة في شلف والقبائل وسيبوس. هذا المشروع بيد ومتناسقا البيانات من الجغرافيا التي توضح لنا تقسيم

الجزائر في المناطق الطبيعية من الاختراق. ومن ثم فهي مواتية أيضاً للمصالح العامة والتنمية الطبيعية للمستعمرة، لكنه يواجه معارضة محلية مما جعله يؤجل فسح الطريق أمام وجهات نظر أكثر دقة ونزاهة.

ادارة البلديات:

يوجد ثلاثة أنواع من البلديات في الجزائر: بلديات كاملة الصلاحيات، البلديات المختلطة، والبلديات الأهلية.

1 - بلديات كاملة الصلاحيات: لها تنظيم يشبه إلى حد بعيد البلديات في وطن الام اي فرنسا وهي بمثابة مراكز أو تجمعات سكانية أوروبية، يديرها رئيس بلدية منتخب ومجلس بلدي منتخب. حتى وقت قريب، قام المسلمون والأجانب بتعيين مندوبين لتمثيلهم في المجالس البلدية. هذا الحق، الذي تم منحه بشكل قانوني للسكان الأصليين.

2_ البلديات المختلطة: هي تلك التي تغلغل فيها الاستعمار بشكل ضعيف فقط، وهي تشمل مساحة كبيرة جدا (من 20000 إلى 180000 هكتار)، وغالبا ما تكون شاسعة من دائرة في فرنسا، ويسكنها السكان الأصليون (من 10000 إلى 20000 نسمة). يحكمها مدراء مدنيون الذين خلفوا المكاتب العربية القديمة، وكل دوار للأهالي له مجلسه والجماعة. يتم مساعدة الاداري المدني لجنة بلدية تتكون من رؤساء الجماعة والوجهاء الأوروبيين.

3_ البلديات الاهلية: هي مثل البلديات المختلطة ولكن يسكنها الأهالي فقط، تدار عسكريا وهي جزء، وتشكل هي مع عدد قليل من البلديات المختلطة أقاليم عسكرية. تسعى الحكومة العامة تدريجياً لتوسيع النظام المدني ليشمل كل الجزائر.

المحاضرة الثامنة: أوضاع الجزائر مع مطلع القرن العشرين إلى غاية 1919 - سياسيا - اقتصاديا - اجتماعيا.

كانت تهدف بشكل منهجي إلى تحويل المستعمرة إلى نموذج كولونيالي استبطاني من خلال تغيير البنية الاجتماعية للمجتمع الأهلي اعتمادا على القوانين التي فرضت بعد مراحل المقاومة الشعبية التي دفعت بالمستعمر إلى إدراك حقيقة تاريخية هي أن الجزائر أرضا ومجتمعا لها مقومات تختلف كلياً عن النموذج الاستبطاني الذي حاولت الإدارة الكولونيالية فرضه لذلك تشكلت نواة الحركة الوطنية التي حاولت المقاومة بوسائل المعرفة والاصلاح والعروض فكانت ردود الافعال حول قوانين الجنسية والأهالي والتجنيد وقوانين نقل الملكية الزراعية. كل ذلك ساهم في وعي الجزائريين بإخطار المشروع الاستيطاني وضرورة مواجهته فكريا وسياسيا وأخيرا المواجهة الثورية في النصف الثاني للقرن العشرين.

1. الأوضاع السياسية:

كانت السياسة الفرنسية ترمي إلى تحقيق الاهداف التالية:

- جعل الجزائر مدينة فرنسية بكل ما يعنيه ذلك من أبعاد .
- طمس التاريخ والشخصية الوطنية الجزائرية وإزالتها من الاعتبار .
- قهر أي نوع من أنواع المقاومة التي يمكن أن تزعج أمن فرنسا في الجزائر واستخدام كل الأساليب والوسائل للوصول إلى ذلك الهدف¹

¹. أبو القاسم سعد الله، أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، ج2، ط2، (دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1998)

وسعيًا منها لتجسيد تلك السياسة الرامية إلى بسط نفوذها بالجزائر، عمدت إلى إصدار جملة من القوانين، والإجراءات الممهدة لمشروعها الاستيطاني الذي يسمح لها بابتلاع الجزائر وجعلها جزءًا لا يتجزأ من فرنسا¹

وفي 22 جويلية 1834، أصدرت الحكومة الفرنسية قرارها المشهور، الذي اعترف بالاحتلال كحقيقة واقعة وأن الجزائر أرض فرنسية وأنشأت لذلك منصب حاكم عام لإدارة الممتلكات الفرنسية في إفريقيا الشمالية، واتبع هذا القرار بتصريح دستور 1948م الذي نص على أن الجزائر جزء مكمل لفرنسا، ومن ناحية أخرى أكدت الحكومة الفرنسية دعمها المادي والمعنوي للمعمرين للاستقرار في هذه الأرض الشاغرة حسبها، ومع بداية الإمبراطورية الثانية بزعامة "نابليون الثالث" (1852-1870) خضع الأهالي إلى قوانين استثنائية وفي مقدمتها قانون مجلس الأعيان sénatus consulte الذي صدر في 14 جويلية 1865. وذلك في عهد الحاكم العام مكماهون (1864-1870) وقد نص على منح الجزائريين الجنسية الفرنسية بشرط تخليهم عن أحوالهم الشخصية الإسلامية²

وفي عهد الجمهورية الثالثة (1870-1930) قامت الحكومة الفرنسية أيضا بإصدار تشريعات جديدة تخدم المصالح الفرنسية والأوروبية من بينها قرار إنشاء منصب حاكم عام مدني، وقرار آخر يلحق الجزائر بفرنسا وذلك عن طريق دمج شؤونها في مختلف الوزارات الفرنسية بباريس بالإضافة إلى قانون كريمي و Crémieux الذي

¹. عمار بوحوش، التاريخ السياسي للجزائر من البداية ولغاية 1962م، ط1، (دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1997) ص198

². أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية، 1930/1900، ج2. ط3. (دار الغرب الإسلامي بيروت 1992). ص20

صدر في 14 أكتوبر 1870 والذي منح الجنسية الفرنسية ليهود الجزائر دون مطالبتهم بالتخلي عن أحوالهم الشخصية¹

أقيمت السياسة الاستعمارية على خلال إخضاع الجزائر لأنظمة خاصة وقوانين استثنائية جائزة تساعد المستعمر على السيطرة والتحكم في مصير الجزائريين مقابل توفير النفوذ والسيطرة لمستوطنيه و يأتي قانون الأهالي² Code de l'indigénat في مقدمة القوانين والمراسيم السياسية هو ذلك الصادر يوم 24 أكتوبر 1870 م الذي جرد أبناء الجزائر المسلمين من المشاركة في هيئة المحلفين الشرعية³، إضافة الى قانون التجنيد الاجباري.

عامل سياسي آخر يرجع الى تزايد نشاط قادة الاحزاب الوطنية والطبقة التي اظهرت رفضها للسياسة الاستعمارية وتصرفا الجالية الأوروبية بالجزائر⁴

كما ان فرنسا اخترقت قواعد الديمقراطية التي كانت تتدعى بها لان تمثيل المسلمين في المجالس المنتخبة يكاد يكون منعدما بدليل التمثيل البرلماني للمحافظات الجزائرية الثلاث حيث كانت الجزائر ممثلة في البرلمان الفرنسي ب 3 مقاعد كلهم فرنسيين ويخدمون بالدرجة الأولى مصالح المعمرين بالدرجة الأولى (ممثل من

¹. بلاح البشير، موجز تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر 1889/1830م (دار المعرفة. الجزائر، 1999) ص53

². قانون الأهالي: هو مجموعة من النصوص القانونية الاستثنائية والإجراءات القمعية الشديدة التي بدأ الاستعمار في تطبيقها على الشعب الجزائري منذ سنة 1874 م، وهي تخويل السلطات الإدارية حق معاقبة الجزائريين على العديد من المخالفات المنصوص عليها في القانون دون العودة إلى المحاكم.

³. عمار بحوش، أسباب الهجرة إلى فرنسا، مجلة الثقافة، ع23، أبريل - ماي 1973، ص.31.

⁴. نفس المرجع.

قسنطينة و آخر لوهـران و 3 لمدينة الجزائر كما تنهم اعمدة النظام الإمبريالي وشجعوا كثيرا السياسة التوسعية الفرنسية¹.

2. الأوضاع الاقتصادية:

ساعت الأوضاع الاقتصادية للمجتمع الجزائري، وأختل البناء الاقتصادي للبلاد بشكل كبير، بعد أن استحوذت السلطات الفرنسية على معظم مصادر الثروة القومية في كل الميادين، وحولتها لخدمة مصالحها الخاصة، ففي الميدان الزراعي بادرت إدارة الاحتلال إلى إصدار جملة من القرارات والمراسيم في ما يخص نزع ملكية الأراضي الجزائرية من بينها قرار 30 أكتوبر 1858م، الذي وسع إجراءات المعاملات العقارية وجعلها مطابقة للقانون الفرنسي، حتى يتمكن الأوروبيون واليهود من امتلاك الأراضي الخصبة بطرق شرعية².

كما عملت السلطات الفرنسية على تنفيذ قانون سيناتوس كونسلت لعام 1863 الذي كان يقضي بتنظيم أراضي العزل التي كانت تابعة قبل 1830 إلى سلطة البايلك، وأغلبية هذه الأراضي كانت موجودة في بايلك الشرق فمقدار 70% من هذه الأراضي يمكن وضعها في الدومين أي 225 ألف هكتار تمثل الأراضي الخصبة الممتازة وهي الأغنى في المنطقة .

وعلى كل حال فإن نزع الملكية استمر في أشكال متعددة من الفلاحين الجزائريين حتى بداية العشرية الثانية من الإمبراطورية الثانية (1852-1871)، وقد تم تقويتها

¹. Binoche-Guedra Jacques. Le rôle de l'Algérie et des colonies au Parlement sous la Troisième République (1871-1940). In : Revue française d'histoire d'outre-mer, tome 75, n°280, 3e trimestre 1988. Pp.309-346.

². ناصر الدين سعيدوني، الجزائر منطلقات وآفاق. ط1 (دار الغرب الإسلامي، بيروت، 2000). ص22

أما في الميدان الصناعي فقد حارب الاحتلال الصناعة المحلية الجزائرية بكل قوة حتى تبقى سوقا مفتوحة للصناعة الفرنسية الحديثة بدون قيود، وفي هذا الصدد أوضح مدير الشؤون الاقتصادية في إدارة الاحتلال سنة 1889م قائلا: " ليس علينا الشروع في دعم الصناعة في الجزائر لأن ذلك يضعنا في موقف عدائي بالنسبة للصناعة الفرنسية .»

ومما لا شك فيه أن محاربة الصناعة المحلية الجزائرية كان الهدف منها إبقاء الجزائر مرتبطة اقتصاديا بفرنسا والمحافظة على امتيازات المعمرين بها، وفي الجانب التجاري فقد سيطر الأوروبيون بمساعدة البنوك وشركات الاحتكار الفرنسية الكبرى على التجارة الداخلية والخارجية، وشكلوا فيما بينهم شركات متداخلة كانت تسيطر على سائر المرافق الاقتصادية في البلاد، وأصبحت الجزائر مع القرن مطلع العشرين سوقا رئيسية للتجارة الفرنسية، وموردا حيويا لجلب المواد الخام التي كانت تحتاج إليها الصناعة الفرنسية.¹

بعد عقود قليلة من سنة الاحتلال تحولت الجزائر إلى بلد يعيش في دائرة الفقر والمجاعة والأوبئة بعدما كان يحقق فائض في الإنتاج الزراعي خاصة الحبوب لكن بسبب سياسة المستعمر الفرنسي ((الأرض المحروقة)) قلبت الأوزان إلى الاتجاه السلبي، إضافة إلى سياسة الاستيطان الفرنسي التي سلب من خلالها الجزائريون جردوا من كل ما يملكون من أراضي زراعية خصبة ومنتجة².

¹. رايح تركي، التعليم القومي والشخصية الوطنية 1956/1939. (ش.و.ن.ت، الجزائر 1981). ص84

². المرجع نف

عمل أكثر من 150000 جزائري في المزارع التي سلبت من ملاكها الأصليين، فسنهم في الغالب لا يتجاوز الخمسة عشر سنة ونسبة كبيرة منهم ينتمون إلى فئة الخماسين¹.

تراجع النشاط الصناعي بالجزائر كذلك رغم الإمكانيات الكبيرة التي تتوفر عليها والتي من شأنها إقامة قاعدة خصبة لصناعة مزدهرة نظرا لما تتوفر عليه من إمكانيات، إلا أن السياسة الاستعمارية التي تمتاز بالتعسف وكثرة العراقيل ضد الجزائريين أفضت على تراجع هذا المجال نحو الأسفل².

تعتبر سياسة الاستعمار مناوئة للرغبة الجزائرية في بناء نشاط اقتصادي وصناعي مزدهر، حيث يظهر جليا من خلال إعاقة نشاط الفلاحين الجزائريين وتجريدتهم من أراضيهم وإفشال كل المبادرات الرامية إلى تنشيط الحركة الصناعية.

بالإضافة إلى أن العديد من الأسر الجزائرية لم تصل إلى رفع مستواها الاجتماعي والمالي وذلك نظرا للدخل المتواضع وارتفاع قيمة المتطلبات.

ت. الأوضاع الاجتماعية:

ساعات أحوال الجزائريين الاجتماعية بعد ما استعملت السلطات الاستعمارية كل الأساليب الدنيئة من أجل الاستحواذ على المؤسسات الاقتصادية والاجتماعية التي

¹..ليون فيكس، الجزائر حتى الاستعمار، منشورات مكتبة المعارف، بيروت: 2007، ص 62.

². Charles Robert ageron, histoire de l'Algérie contemporaine, T2 ,1er éd, paris, 1979, p.501.

وجدتها في الجزائر، وتوجيهها لخدمة المصالح الفرنسية والأوروبية سعيا منها لتحقيق مشروعها الاستيطاني¹.

وكان من نتائج الاحتلال الفرنسي أن المجتمع الجزائري قد تغيرت طبيعته، وتأثر الفرد بمؤثرات جديدة، فالجزائري أصبح الجزائري غريبا في وطنه² ومجتمعه فحوصر في الأحياء الشعبية الضيقة وحرّم من الاختلاط والاحتكاك بالمستوطنين، ووصف أحد الجزائريين تلك الظاهرة العنصرية التي سنها الاستعمار بقوله: "...قلما كان الجزائري أثناء تجواله داخل المدينة يتعدى بخطواته حدا معينا، وكانت إدارة البريد (البريد المركزي حاليا) هي الحد بين الحياة الجزائرية والحياة الفرنسية."³

وأصبح الأهالي يعيشون حالة من الفوضى فلم تعد هناك سلطة تدبر شؤونهم كما كانت في السابق قبل دخول الفرنسيين فإن العائلات ذات النفوذ في الوسط الأهلي هي التي كانت تقوم مقام السلطة الحاكمة قد قل دورها إن لم يختف كلية⁴ كما قام الاستعمار بتحطيم أركان المجتمع الجزائري سواء كانت القبلية أو الهيئات القيادية التي تعتمد على الأصل والمال أو الزعامة الدينية. وتحول معظم السكان إلى مزارعين في مزارع المعمرين وعمالا في خدمة الرأسمالية الفرنسية والأوروبية، إذ كتب أحد الإداريين الفرنسيين: "لقد حططنا بعض القبائل القوية التي كانت لها مكانة في

¹ عبد المجيد بن عدة، مظاهر الإصلاح الديني والاجتماعي، رسالة ماجستير (غير منشورة، جامعة الجزائر، 1993، ص16.

² أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج1، ط1 (دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1998) ص.ص. 297. 298

³ أحمد مريوش، الطيب العقبي ودوره في الحركة الوطنية الجزائرية، ط1 (دار هومة، الجزائر، 2007) ص.ص. 113

⁴ شارل أندري جوليان، إفريقيا الشمالية تسير، ترجمة: سليم المنجي وآخرون، ط2، (ش.و.ن.ت، الجزائر، 1976) ص 44

البلاد عن طريق القوات العسكرية، وبعض الأهالي صودرت أملاكهم كما عملنا على تكسير شوكة بعض العائلات ذات السمعة والشهرة.¹

لقد كانت سياسة النهب والسلب والتفجير المنتهجة من قبل السلطات الاستعمارية تستهدف الشعب بالجزائري، بناء على الاعتقاد الذي كان سائدا عندها أن الشعب الجزائري مآله الزوال بحكم القانون القائل " البقاء للأصلح "، خاصة وأن الوضعية الديمغرافية المتدهورة التي كان عليها، كانت تدعم لديهم الاعتقاد بأن العنصر الأوربي هو صاحب الأرض واعتبرت كل من يتصدى لمستوطن جانيا، ويحاكم أمام العدالة لأنه اعتدى على الحرية !! وأصبح المار في شوارع مدينة الجزائر معرض للعقوبة في أية لحظة.²

كتبت جريدة لسان الدين في وصف هذه الظواهر اللاأخلاقية تقول : " نشرت فرنسا الممارسات المخدشة للحياء في كل احياء مدينة الجزائر الى ان أصبحت كالوباء مست حرمة القيم الإسلامية والاجتماعية، و قدسية الأماكن الطاهرة، حتى بات تحيط بجامع سيدي رمضان.³

والجدير بالذكر أن الأوضاع الاجتماعية في الجزائر لم تبق على حالها بل ظهرت بوادر حركة إصلاحية جديدة بها، تمثلت في نشاط العلماء (علماء الإصلاح) فظهرت الصحوة وبرز الوعي الوطني والقومي اللذين كونا أساس النهضة.⁴ وحسب الأستاذ سعد الله فإن الإصلاح في الجزائر لا يرتبط بجمعية العلماء، والواقع

¹ فرحات عباس، ليل الاستعمار، تعريب: أبو بكر رحال، (مطبعة المحمدية، المغرب، 2002، ص.130.

² أحمد مريوش، دراسة حول: ظروف ومعالم إلى قضاة الجزائرية 1914/1870م، المدرسة العليا للأساتذة (غير منشورة، الجزائر)، 2007، ص 114.

³ نفسه ص 115.

⁴ محمد الصالح رمضان وعبد القادر فضيل، إمام الجزائر عبد الحميد بن باديس (دار الأمة، الجزائر، 1998)

أن مفهوم الإصلاح أوسع من مفهوم جمعية العلماء، كما أنه أقدم منها كما عرفنا فهو أوسع من مفهومها لأن عددا من المثقفين (من أصحاب الثقافة العربية والفرنسية) كانوا مصلحين ولكنهم لم يكونوا أعضاء في جمعية العلماء، ومن جهة أخرى يعتبر الإصلاح أقدم من جمعية العلماء لأننا عرفنا أن كثيرا من عناصر المدرسة المستنيرة كانوا مصلحين أيضا بالرغم أنهم كانوا متأثرين بالحضارة الفرنسية من جهة وبتيار الجامعة الإسلامية من جهة أخرى¹ هذه الحركة الإصلاحية الجزائرية كانت لها جذور أو روافد من المشرق العربي الإسلامي وأن أبرز هذه الجذور والروافد وأعماقها هي الحركة التي اضطلع بها كل المصلحين من العلماء والمفكرين أمثال : جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده وعبد الله النديم وأحمد خان والمودودي ورشيد رضا، وطاهر الجزائري ومحمد شكري الألوسي ومحمد مصطفى المراعي ومحمد بن عبد الوهاب وغيرهم ممن سار على منهاج هذه الحركة من علماء المعاهد الإسلامية الشهيرة في المشرق والمغرب، ولعل هذه الحركة التي خدمها المثات والآلاف من أبناء هذا الوطن ممن سنذكر أمثال: ابن باديس وصحبه سعيد الزاهري، محمد بن خير الدين، الأمين العمودي، أبو اليقظان، الشيخ بيوض والشيخ العقبي...، ولم تكن حركة نخبة مثل غيرها من الحركات الإصلاحية التي سبقتها أو عاصرتها وإنما هي حركة إصلاحية نبعت من آلام وآمال الشعب، واستهدفت أول الأمر حياة الشعب ونهضته².

وكان على هؤلاء المصلحين أول الأمر تمهيد الأرض وتنقيتها من أجل ترسيخ جذور الإصلاح في الجزائر وذلك بإزالة موانع الإصلاح بهذه الديار وعوائقه واتفقوا في بادئ الأمر على وسيلة وهي أخذ المبطلين مغافلة والهجوم عليهم وإسماع العامة صوت الحق، فاستخدموا وسائل النهضة من صحافة ونوادي وجمعيات لتحقيق ذلك الأمر.

¹ أبو القاسم سعد الله، أفكار جامعة (م.و.ل، الجزائر، 1988) ص 89

² محمد الطاهر فضلاء، دعائم النهضة الوطنية الجزائرية (دار البعث، قسنطينة، 1981) ص 81

محاضرة التاسعة: دراسات الأحزاب السياسية والجمعيات الوطنية(1939.1900)

تعتبر الفترة الممتدة من سنة 1939/1900 فترة تحول هام في تاريخ وكفاح الجزائر ونضالها ضد الاحتلال الفرنسي، حيث شهدت ظهور روافد جديدة للكفاح ضد الاستعمار بعد أن اقتنعت بأن الإعتماد على المقاومة المسلحة غير المنظمة، والوسائل العسكرية البسيطة، لم يكن كافيا وحده لتحرير البلاد وإجبار سلطات الاحتلال على الرضوخ لمطالب الشعب الجزائري، فكان من أهم وسائل الكفاح الجديدة التي اعتمدت عليها الحركة الوطنية مع نهاية القرن 19 وبداية القرن العشرين الجمعيات، والنوادي الثقافية التي أنشأتها وطورت من نشاطاتها .

ومنه يمكن اعتبار مطلع القرن العشرين بمثابة تحول تاريخي في مسار الحركة الوطنية الجزائرية، إذ تمثل هذه المرحلة عمرا جديدا للجزائريين سواء فيما يخص السياسة الفرنسية المنتهجة في الجزائر وكذا وضعية الجزائريين في مختلف الميادين حيث شهد هذا التحول ميلاد، أو إعادة ميلاد وبعث التراث الفكري، والحضاري للأمة الجزائرية فعرفت الجزائر النهضة التي كانت بمثابة النواة الأولى لظهور الأحزاب السياسية التي برزت بوادرها الأولى مع نهاية الحرب العالمية الأولى .

ومما لا شك فيه أن هذه الحركة لم تتطلق من فراغ وإنما جاءت نتيجة ظروف سياسية واجتماعية وثقافية فجرت الوضع للخروج من مرحلة المقاومات الذي ساد القرن 19، فأوقف دور البندقية ليحل محلها القلم وأسلوب البعث الحضاري، والوعي الفكري ضمن النضال السياسي الذي بلور تيارات الحركة الوطنية .

كانت أول حركة سياسية جزائرية على النمط الحداثي بادرت بالنضال والنشاط السياسي هي حركة الشباب الجزائري، فكيف ومتى كان ميلاد هذه الحركة؟

1. ظهور نخبة من الشباب الجزائري (jeunes Algériens)

أدى انتعاش التاريخي للمدينة حتى سنة 1880م إلى ظهور المجموعة الأولى من الأفراد "متكونة ومتحضرة" من النخبة (مسلمي الجزائر) تعلمت وتكونت هذه المجموعة في المدرسة الاستعمارية وتشبعوا بمبادئ المساواة والديمقراطية لثورة 1789، وأن الأغلبية العظمى منهم ستعرف وتعيش تجربة الواقع القاسي للفرد المستعمر.

اصطدمت هذه المجموعة منذ الوهلة الأولى بالتمييز والفرقة القانونية حيث خضعوا لظروف قانونية استثنائية ومحرومين من الحقوق التي يتمتع بها المواطن الفرنسي، من ذلك الحين فصاعدا أصبحت المطلب الأساسي لهذه النخبة المتفرنسة الحق في الحصول على المواطنة الفرنسية دون التخلي عن الأحوال الشخصية أي المساواة في الحقوق مع الفرنسيين، ولكن الكولون بالمرصاد والتصدي حيث لا يتقبلون إطلاقاً أن يصبح للأهالي نفس الحقوق مثلهم وإلا ما المغزى والمعنى الذي يصبح عليه المجتمع الاستعماري دون أن يكون هناك امتياز وفرقة وتمييز.

قام جول فيري سنة 1892 رفقة لجنة تحقيق من مجلس الشيوخ المسماة بـ "18" بزيارة الجزائر وأتيحت لها الفرصة لإجراء اتصالات مع بعض ممثلي النخبة، بما في ذلك الدكتور مرسلي Morsly من قسنطينة، أنبهر جول فيري رؤية وتصادفه مع عضو مجلس محلي من الأهالي يرتدي معطفا طويلا علي نمط معطف نابليون، يأتي ويقدم شكاوى من زملائه خاصة بالتمثيل السياسي للأهالي: مستشارين عامين، النواب وأعضاء مجلس الشيوخ¹، وفي نهاية إقامته بالجزائر، توقف جول فيري عند

¹. Charles-Robert Ageron, , « Jules Ferry et la question algérienne en 1892 d'après quelques inédits », *Revue d'histoire moderne et contemporaine*, avril-mai 1963.

العمل الهائل المنتظر القيام به من أجل الحد من عدم المساواة في الحقوق السياسية بين الجزائريين والمستوطنين وأشار قائلا: "أنه من الصعب أن نقنع المستوطنين الأوروبيين هناك حقوق أخرى مثلنا لدى الدول العربية وأن الأهالي ليسوا من سلالة متقلة للضرائب واستغلال إلى جد بعيد¹.

عملت العناصر المثقفة (النخبة) مع بداية القرن 20 إلى إنشاء هوية سياسية وثقافية جديدة التي تعرف فيما بعد "بالشباب الجزائري"، هؤلاء أبناء القرن 20 الجادين كما يحلى أن يسميهم شارل روبير آجيرون وأنه ليس هو بجيل عفوي لسنة 1900م².

2. نشأة الجمعيات والنوادي:

يتزامن ظهور هذه النخبة الجديدة مع مجيء تشارل جونار (Charles Jonnart) (أكتوبر 1900 إلى يولي و 1901) على رأس الحكومة الفرنسية، ويعرف النائب تشارلز جونار Jonnart بأفكاره الليبرالية والمدافع عن الأهالي "indigenophiles". سيعمل أساسا خلال العهدة الثانية لولايته الحكومية (ماي و 1903 وفبراير 1911)، بإعطاء الأولوية والأفضلية في تطوير العديد من الجمعيات.

صحيحا أن الجزائر المسلمة تعرف وتعيش خلال هذه الفترة "ربيع الجمعيات"، كما سمح بتزايد دور الشباب الجزائري، وبالفعل ازدهرت الجمعيات ورابطة الطلبة القداماء للمدارس الفرنسية-الأهلية، وكانت الكثير منها منذ عام 1903 بمثابة مشاتل للشباب الجزائري، فأصبحت معظم المدن الكبرى الجزائرية خلال هذه الفترة لديها في تجمعاتها أسماء يوحى لها: جمعية العلوم الحديثة، نادي الشباب الجزائري(تلمسان)،

¹ Par Ch. André Julien, L'Afrique du Nord en marche, Paris, Julliard, 1952, p. 28.

². Charles-Robert Ageron, , « Le mouvement Jeune-Algérien de 1900 à 1923 », Études maghrébines, Charles-André Julien. Paris, PUF, 1964, pp. 217-243.

الراشيدية، التوفيقية، (مدينة الجزائر)، نادي صالح باي، الجمعية الإسلامية القسنطينية، الهلال، صادقية، ونادي الترقى (عناية)¹.

3. دور النوادي والجمعيات:

فمن الأجدر والمفيد تسليط الضوء على الدور الذي لعبته أشكال جديدة من التنشئة السياسية والثقافية بمقراتها في أشكالها الحديثة: حلقات، النوادي، والجمعيات، كما دعمت بإنشاء هياكل جديدة لإنتاج ونشر الأعمال الثقافية: الصحافة، المسرح والأدب، ستلعب الصحافة في هذا السياق دورا مهما من شأنها أن تسمح لعناصر هذه النخبة الجديدة أن تصبح تتأقلم مع أنماط التعبير السياسي والثقافي الحديثة ونشر أفكارهم، وهو ما يسمح تدريجيا إلى تطوير أشكال حديثة في النضال السياسي: عرائض، اجتماعات، ملتقيات، ووفود.

4. مطالب النخبة (الشباب الجزائري)

ولكن يبد وأن مطالب النخبة حتى بعد الحرب، كان لها طابع سياسي بالدرجة الأولى تدور حول مسألة التمثيل السياسي للجزائريين في مختلف المجالس، جاء في حديث أحمد بن رحال سنة 1903م أثناء لقائه مع رئيس الجمهورية إميل لوبيه بالمحافظة الفرعية لمدينة تلمسان الذي يعكس بدقة رأي وموقف الشباب الجزائري في كل ما يتعلق بالحقوق السياسية ما يلي: "أحرارا كمواطنينا الفرنسيين نطالب بكاملة حقوق المواطنة. بالنسبة لنا، إذا تعلق الأمر بقضايا فرنسية نحن موجودون وإذا تعلق الأمر

¹. Ibid. P. 224.

بنا نريد البقاء، إذا طلبنا مقعدا في المجالس المنتخبة، هذا ليس مخالفا للدستور الفرنسي الحالي¹.

يمكننا القول أن النواة الأولى لميلاد أول حركة سياسية ذات بعد وطني جزائري يعود إلى العشرية الأولى من القرن 20م وكان ورائها الشباب الجزائري الذي تعلم في المدرسة الفرنسية القيم الديمقراطية والحرية والذين عزموا على تجسيدها في الميدان بعدما وقفوا عند التفرقة بين أوروبي الجزائر وأهالي الجزائر بحيث تتمتع الفئة الأولى بكامل الحقوق والحريات بينما الثانية محرومة منها، وهو ما أدى بتقارب وجهات النظر ومناقشة في النوادي ومقرات الجمعيات كما ذهبوا لبحث عن شخصية جزائرية بارزة ومعروفة ذات كفاءة، فكان الزعيم الأمير خالد حفيد الأمير عبد القادر، فمن هو الأمير خالد؟ لماذا أقترح النشاط السياسي؟ هل هو من دعاة الإصلاح والإدماج أم أنه من دعاة الوطنية واستقلال الجزائر؟ أم أن الإدارة الفرنسية والظروف أجبرته التخلي عن المطالبة بالاستقلال والاكتفاء بالإصلاح؟ هل سفره إلى الخارج بقناعته أم اجبر على مغادرة الجزائر؟ هل هو شخصية غير متناسقة أم شخصية وطنية جزائرية؟ هي مجموعة من الأسئلة التي يجدر الإجابة عنها ولكن قبل ذلك يجب اعطاء فكرة عك حياته ونشأته وسيرته.

¹. Discours de Si M'Hamed Ben Rahal, assesseur au conseil général d'Oran, prononcé dans les jardins de la sous-préfecture de Tlemcen pour la réception d'Émile Loubet, président de la République, en avril 1903.

المحاضرة العاشرة: حركة الأمير خالد

عناصر المحاضرة:

- 1- مولده ونشأته.
- 2- مساره العسكري.
- 3- نشاطه ونضاله السياسي.
- المرحلة الأولى 1914 - 1919.
- المرحلة الثانية.

1. مولده ونشأته:

يعد من أهم الشخصيات الإسلامية الجزائرية وهو حفيد الأمير عبد القادر بن الهاشمي بن الأمير عبد القادر، ولد الأمير خالد الهاشمي بن الأمير عبد القادر بمدينة دمشق بسوريا يوم 20 فيفري من سنة 1875م محل إقامة أسرته بعد مغادرتها الجزائر عام 1847م واستقرارها بدمشق سنة 1854م، ونشأ خالد في دمشق قلعة العروبة والإسلام، وبها تلقى معلوماته الأولية وتربى تربية صحيحة في كنف العائلة، وقد رباه والده تربية دينية قوية بعد أن حفظ القرآن وتعلم العلوم العربية والدينية وبرع فيها¹.

غادر الأمير الهاشمي دمشق سنة 1882م باتجاه وطنه الجزائر بعد أن تحصل على رخصة دخول الجزائر من السلطات الفرنسية ورافقته السلطات الفرنسية ورافقته عائلته ومعهم بالطبع خالد²، ويرجع سبب مغادرته سوريا الى المضايقة من طرف السلطات

¹ عبد الرحمان الجيلالي، تاريخ الجزائر العام، الجزء 4، ط 4، دار الثقافة، بيروت، 1990.

² Ali Merad, L'émir Khaled (1875-1936) vu par Ibn Badis (1889-1940), Revue de l'Occident musulman et de la Méditerranée, n° 9, 1971, p. 26

العثمانية كونه منحدر من عائلة الأمير عبد القادر وعرفت الكثير من العائلات الجزائرية نفس المصير، وبها تابع دراسته الإعدادية وكبر في أرض أجداده، أرض سقيت بدماء أبناء جلدته في المعارك التي قادها عمه عبد القادر ضد الغزاة الفرنسيين، هذا ما جعله يتمسك بحب هذا الوطن ويقود النضال بالكلمة والقلم إلى آخر نفسه.

ومنها انتقل إلى باريس لمزاولة دراسته في ثانوية لويس لوقراند (Louis Le Grand) سنة 1885م مستفيد من منحة الدراسة، وكان الأمير الهاشمي يأمل أن يدخل ابنه إلى الكلية العسكرية سان سير (Saint-Cyr) بباريس بعد نجاح ابنه في الحصول على شهادة البكالوريا فرع علوم، وكان يرى أن الحياة العسكرية من المراتب العليا هي مستقبل ابنه خالد¹.

الظاهر أن رغبة الأمير خالد لم تكن بادية لمزاولة دراسته في الكلية العسكرية الفرنسية، وكان رافضا لفرنسا منذ شبابه، وأنه رد على والده الذي أرغمه على الالتحاق بسان سير بقوله: "إنني عربي وأريد أن أبقى عربيا وأن لا أتخلى أبدا عما أؤمن به من الآراء، ولذلك فأنا أرفض، وسأرفض دائما ما يطلبه مني أبي"².

وقد تنازل خالد على موقفه أمام رغبة والده في الدخول إلى الكلية العسكرية الفرنسية وخصوصا بعد المضايقات التي تلقاها والده من قبل السلطة الفرنسية حول تصرفات خالد التي توحى بالعصيان المدني. وقد وجد خالد نفسه أمام رغبة والده وقبول نصائحه، وهكذا تابع خالد دراسته على مضمن من غير أن تكون له رغبة في ذلك،

¹ صالح خرفي، عمر بن قدور الجزائري، ط 7، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984.

² عبد الحميد زوزو، الهجرة ودورها في الحركة الوطنية الجزائرية بين الحربين (1919-1939)، ط 2، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1985.

والتحق بسان سير سنة 1893م¹. وقد دخلها دون إجراء مسابقة وليس كأجنبي ولكن في انتظار تقمص الجنسية الفرنسية قبل تخرجه من المدرسة.

وتذكر الكثير من الدراسات التاريخية حول مرحلة تواجد الأمير في سان سير أن هذا الأخير ظل محافظا على أصالته و إسلامه و وطنيته، وأعطيت له غرفة لأداء فريضة الصلاة كما خصص له طعام خاص مراعاة لقواعد الإسلام، وكان الأمير يشعر دائما بالخجل من الظهور أمام الجزائريين بالبذلة التي كان يرتدها السانسيرون، ويذكر فاسي في تقريره أن الأمير خالد كان دوما خلال إجازته يرتدي البذلة العربية التي كان فخورا بها، ولا ينزعها إلا عندما تدع والضرورة للقيام ببعض الزيارات الرسمية².

مما يلاحظ إن الأمير خالد وجد صعوبة في التأقلم وسط محيط وعوائد كلية سان سير الفرنسية وقد أشارت تقارير الفرنسية يومئذ أن الأمير خالد كان سيء الطوية والنوايا إزاء فرنسا الأمر الذي دفع به التخلي عن الدراسة بالكلية سنة 1895م³

وقد أشار خالد إلى مقاطعته للدراسة، خلال إجازته الثانية في الجزائر، وكتب يقول: "نعم ها أنا مرة أخرى في الجزائر، وكنت قد بدأت أشعر بالضجر من مدرستهم التي لن أعود إليها، لأنني قررت أن أقدم لهم استقالتي"⁴.

وحسب ما ذكره فاسي فإن الشروط التي تقدم بها الأمير الهاشمي له حول إمكانية عودة ابنه للدراسة كانت من إملاء خالد، وتتمثل في اختياره للفيلق

¹. أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية 1900 '1930، الجزء الثاني، ط 4، دار العرب الإسلامي، بيروت، 1992.

². نفس المرجع.

³. نفسه

⁴. أبو القاسم سعد الله، أبحاث وأراء في تاريخ الجزائر، الجزء الثاني، ط 1، المؤسسة الوطنية للكتاب، 1986.

العسكري الذي ينتمي إليه، حتى لا يجبره أحد على محاربة العرب في الجزائر، وقد اغتاز فاسي من ذلك، وأعتبر شروط خالد مبالغ فيها، خصوصا إذا علمنا وأن مهمة فاسي هي الترويض والتجسس على عائلة الأمير الهاشمي في الجزائر وحتى خارجها.

مع تزايد تعنت الأمير خالد ومواقفه الصعبة تجاه فرنسا من جهة، ونشاطاته المكثفة مع الشباب الجزائري من جهة أخرى، عززت الإدارة الفرنسية المراقبة عليه. خصوصا وأنه كان يسافر إلى داخل الوطن، وقد أشار فاسي عدة مرات إلى تنقلات الأمير خالد وبالخصوص سفره إلى مدينة قسنطينة. وكل ذلك دفع بالإدارة الفرنسية إلى اتخاذ إجراءات وقائية ضده تخوفا من فراره إلى الخارج، وعمدت إلى ترحيل العائلة إلى منطقة بوسعادة ووضعها تحت الإقامة الجبرية حتى يكون بعيدا عن منطقة الشمال التي تتوفر على مؤهلات العمل السياسي¹.

ولكن بعض المراجع الفرنسية ترجع سبب التخلي خالد عن الدراسة في الكلية العسكرية يرجع إلى إصابة والده بمرض والحاجة إلى المال الأمر الذي أدى بوالده استدعائه بجانبه. ترجمت السلطات الفرنسية هذا الفعل ب: ازدراء، عنيف، احتقار للسلطة وهوما دفع أسرة الهاشمي الرغبة في مغادرة الجزائر، تدخل الأمن الفرنسي لمنع الأسرة من الهجرة سريرا ووضعها تحت الإقامة الجبرية في مدينة بوسعادة.

¹. أبو قاسم سعد الله ، أبحاث وأراء في تاريخ الجزائر ، ج 4، ط 1، دار المغرب الإسلامي، بيروت، 1996.

2. مساره العسكري في الجيش الفرنسي:

تم الإفراج عن العائلة سنة 1896م بعد وساطة جماعة من المسلمين لدى السلطات، عاد ثانية خالد إلى الكلية العسكرية سان سير بعد شهرا من الإفراج وتخرج منها كضابط ليبدأ في أداء مهامه العسكرية كضابط ملازم ثاني دون أن يتجنس وبعد 5 سنوات ارتقى إلى رتبة ملازم. عين بعد تخرجه في فوج عسكري فرنسي حيث بقي فيه 7 سنوات وليس كما كان يرغب تعيينه في قوات السبايس¹، وهو ما جعله يراوده الشك خاصة بعد رفض طلب تعيينه في صفوف قوات سبايس سنة 1905م، فمنذ ذلك الوقت بدت له الأمور مريرة، كما تأثر بالأوضاع المزرية التي يعيشها بني جلدته.

شارك الأمير خالد مع فوجه العسكري في إخماد ثورة الشاوية بالمغرب حيث تحلى بسلوك وسيرة حسنة وانضباط هذا ما جعله يكون حديث بين العسكريين، كما وعد بترقيته إلى رتبة نقيب وهي أرقى رتبة عسكرية يرتقي إليها واحد من الأهالي، كما وعد بالتكريم بوسام شرفي من السلطات العليا إلا أنه لم يتحصل عليه كما رفض منصب معاون الحاكم العام بسبب التمييز العنصري.

وقد علم الأمير خالد أن المضايقة التي تعرض لها قائد الفوج العسكري بعد أن صاحبه إلى المغرب لمحاربة الشاوية دون استشارة الحكومة العامة لان هذه الأخيرة لم ترغب في أن يكتسب خالد شهرة عسكرية، كما أنه لم يكن مرغوب فيه في المغرب، حيث كان يؤيد مساعدة للسلطان المغربي المخلوع عبد العزيز رغم رفض فرنسا التي التزمت الحياد في القضية ولكنها قامت فيما بعد

¹. عسكريين جزائريين في القوات الفرنسية.

بالاعتراف بالسلطان عبد الحفيظ الذي قام بخلع السلطان عبد العزيز، وهو ما جعل خالد يكون مشتبّه فيه فمنع من العودة ثانية إلى المغرب.

وحيثما جاء وقت الذهاب فيلقه إلى وجدة سنة 1910م رفض وقدم استقالته من الجيش في أبريل 1910م، فتدخل الجنرال بايو (Bailloud) لإقناعه بالتراجع بمنحه عطلة مطولة في جويلية 1911م والسماح له بالذهاب إلى سوريا.

طُرحت قضية الأمير خالد ثانيًا حينما قرر الذهاب إلى المغرب سنة 1912م، بدعم من الجنرال باي إلا أن ليوتاى (Lyautey) رفض قائلا: "أعرفه جيدا أنه ذكي و متمسك ومرتبطة بعاداته وأصوله العربية الإسلامية، فهو عنصر يثير الفتنة".

حينما شعر خالد أنه مشبوه فيه ومشكوك في أمره تقدم بطلب للحصول على عطلة مطولة في باريس، وافقت سلطات باريس على الطلب في 15 جوان 1913م ومنحه عطلة 3 سنوات.

غضب خالد من التصرفات المتتالية للإدارة الفرنسية التي شككت في مصدقيته شخصيته وكرامته مع العلم أن الإدارة كانت قد رفضت أن يستفيد من ملكية أرض الدولة ما جعله يشعر بالتمييز العنصري والتفرقة ما دفع به أن يتحول من ضابط في الجيش الفرنسي إلى معارض سياسي ويقتحم باب المجال السياسي، ترشح في انتخابات الوفود البرلمانية في مدينة الجزائر سنة 1913م وفاز فيها ولكن الإدارة الفرنسية إتهمته بتكوين حركة تنثير الاضطرابات فكان جوابه: "إنني لم أختار تقديم خدمة لفرنسا مقابل مال"، فانقطع الحبل بين خالد والإدارة الفرنسية، ألتف حوله أصدقاؤه وأجبروه على اقحام المجال السياسي

فقدّموا له الدعم والمساندة، فكان جوابه: «أردت أن أكون جنديا ولكن لا أستطيع أن أفعل الآن وبدون أن تكون فجوة مع فرنسا وزملائي».

وهناك جملة من العوامل التي أثرت إيجابا في تكوين الأمير خالد، وتحصيله السياسي والوطني يمكن جمعها في النقاط التالية¹:

1- انتسابه إلى عائلة الأمير عبد القادر ذات المرجعية الدينية التي أهلتها لخوض حركة الجهاد والمقاومة ضد الغزاة الفرنسيين المحتلين مدة طويلة من الزمن.

2- اعتماده على المرجعية التاريخية لعائلته التي تركت الأرزاق والعقارات وهاجرت إلى بلاد الشام، وظل الأمير خالد من المطالبين بإعادتها لأملاك العائلة.

3- تربيته في بلاد الشام وسط محيط المهاجرين الجزائريين الذين ظلوا على ولائهم للوطن الأم الجزائر، ووسط هذا الجو العربي اكتسب خالد طفولته الأولى المفعمة بحب الوطن.

4- معاينة الأمير لمرحلة من شبابه للوضع في الجزائر، وهي خاضعة للإجراءات الفرنسية التعسفية التي طبقت على الأهالي وخصوصا قانون الإنديجينا البغيض قد أثر ذلك على نفسيته.

¹. أبو القاسم سعد الله ، وثائق جديدة عن حركة الأمير، المجلة التاريخية المغربية، العدد 1، جانفي 1974، ص52.

5- تكوين الأمير خالد في المدرسة الفرنسية أكسبته حقائق كانت غائبة عنه، كما زودته بعامل اللغة الفرنسية، وقد مكنته من الخوض في قضايا سياسية وفكرية ومخاطبة فرنسا بلغتها.

6- خدمته في الجيش الفرنسي، ومشاركته في الحرب العالمية الأولى أكسبته الخبرة العسكرية، وحتى السياسية، بعد أن عاش وقائع الحرب في جبهات القتال، ووقف بنفسه على عنصرية فرنسا تجاه المجندين الجزائريين وكيف كانت تتعامل معهم.

7- تأثر الأمير بحركة عمه الأمير عبد الملك ضد الفرنسيين في المغرب الأقصى ما بين 1915 و1925، وقد استوحى الأمير خالد نشاطه السياسي من حركة عمه، وكان يرغب في تمثيل ذلك في أرض الجزائر، بغية الحصول على الحقوق السياسية والمدنية للجزائريين.

ساهمت هذه العوامل في جعل الأمير خالد شخصية سياسية محترمة وتتمتع بكفاءة وحنكة عالية وأهله أن يكون زعيما يؤخذ بعين الاعتبار ما جعل حركة الشباب الجزائري تقترب منه تلتف حوله وتريده أن يكون وصيا وممثلا لها وخاصة أن أفكاره واتجاهه متقاربة ومتطابقة مع الحركة، فوجد خالد الأرضية جاهزة لممارسة واقتحام المجال السياسي بعدما أصبح على يقين أن قاعدة نضالية ورائه في دعمه ومساندته. فشرع في النشاط السياسي إلا أن تارة يبادر على انفراد في تقديم أو عرض مجموعة من المطالب وهو ما جعل الكثير من المؤرخين يطلقوا على نشاطه بحركة الأمير خالد ولكن البعض الآخر ظل يصطلح على الحركة السياسية التي كانت تنشط خلال العقدين من قرن 20 بحركة الشباب الجزائري.

فحسب المنظور التاريخي واحتراما للترتيب الكرونولوجي قمنا بتقسيم تطور الحركة السياسية في الجزائر خلال المرحلة الممتدة من 1900 إلى 1924 إلى فترتين الأولى الممتدة من 1900 - 1913م حيث كان الشباب الجزائري حامل راية الحركة السياسية وتم التطرق إليها أعلاه، أما الثانية من 1913-1924 التي اصطلحنا عليها بحركة الأمير خالد رغم تشكيل هذه الأخيرة من الشباب الجزائري.

3. نشاط ونضال الأمير خالد:

دام النشاط والنضال السياسي للأمير خالد حوالي 11 سنة اي منذ استقالته من الجندية الفرنسية كضابط سنة 1913 إلى الغاية 1924م بانسحابه كليا من أي نشاط سياسي، ويمكن إن نقسم هذه العشرية السياسية للأمير خالد إلى مرحلتين أساسيتين وهي:

أ. المرحلة الأولى: 1913 - 1919

بعد التمييز العنصري والتفرقة والمضايقة المفروضة على الأمير خالد من طرف الإدارة الاستعمارية جعلته يستقيل ويبتعد عن الإدارة الفرنسية ويتحول إلى معارض سياسي واقتحامه المجال السياسي.

كانت أولى الخارجات السياسية للأمير خالد ترشحه للانتخابات الوفود المالية في مدينة الجزائر سنة 1913م وفاز فيها ولكن الإدارة الفرنسية اتهمته بتكوين حركة تهدف إلى الفوضى مما أدى إلى حرمانه من المعاش، فكان رده بالقول التالي: " إنني لم اختر تقديم خدمة لفرنسا مقابل مال" فانقطع الحبل بين الإدارة الاستعمارية الفرنسية، التف حوله أصدقائه وأجبروه على اقتحام المجال السياسي ضامنين له

الدعم والمساندة. وبما أن الممارسة والنشاط السياسي في الجزائر صعب المنال بسبب المضايقة والقمع المطبق من طرف الإدارة الاستعمارية على الجزائريين، ارتأى إلا أن ينتقل إلى باريس ليشرع في الممارسة السياسية برفع انشغالات الشعب الجزائري وفي أول جولة له إلى باريس، تطرق خالد في محاضرة ألقاها في 13 ديسمبر 1913 إلى مفهوم الحرية السياسية قائلا "أنا لست عالما كبيرا في التاريخ العالم الأوروبي، ولكن لا أعتقد أننا نتعارض إذا قلت أن ما تتميز به البلديات الفرنسية أنها تعتبر مدرسة عظيمة في الحريات الأساسية وكونت المواطن الفرنسي الجدي والمثابر وعلمته المسؤولية وفي نفس الوقت الحرية.¹

حضر خالد في نهاية سنة 1913م في تجمعات وألقى محاضرات للتعريف والكشف عن الحالة الاجتماعية والسياسية للجزائريين، كما دافع عن مطالب الشباب الجزائري حيث كانت له الحنكة في الخطابة والدبلوماسية مما أكسبه تأييدا من طرف أحرار باريس وهو ما جعله يخاطبهم قائلا: "أشركونا في العدالة وفي تطورك، سنكون بجانبكم في وقت الصعبة والمحن"

أراد الأمير خالد من وراء هذا الخطاب أن يمرر رسالة مطالب الشعب الجزائري الإصلاحية المتمثلة في " ربط الجزائر بفرنسا " ولقي هذا الخطاب استجابة كبيرة من طرف الوسط الفرنسي، وعلق على هذا الأمر بقوله "هناك وفاق وتفاهم مع فرنسي فرنسا، بينما يسود سوء التفاهم وعدم التوافق مع فرنسي الجزائر فيما يتعلق بقضية الأهالي.

¹. Mahfoud Kaddache, L'Émir Khaled. Documents et Témoignages pour servir à l'étude du nationalisme algérien. Alger, OPU-Anep, 1987, p. 85.

قدم في أبريل 1914م مجموعة من مطالب الشباب الجزائري المتمثلة فيما يلي:

- المساواة في العمل مع توفير العمل للأهالي في فرنسا وتوفير الحماية لهم.
 - إلغاء قانون الأهالي.
 - التمثيل الأهالي المتساوي في جميع المجالس.
- بنشاطه السياسي الباسل دون كلل وملل حتى أصبح في نظر الحكومة العامة في الجزائر والمنتخبين الفرنسيين يشكل خطرا وبالتالي العمل للتخلص منه بينما فرنسي فرنسا (الأحرار) وحكومة باريس كانت تدافع عنه وتحميه وهذا ما خلق أزمة بين الطرفين.

اقتصر خالد في مرحلته الأولى من النضال السياسي في مطالب محتشمة لا تتعدى المساواة والإصلاحات دون تجاوزها إلى مطالب استقلالية، يمكن أن نحكم عليها أنها مطالب محتشمة، فلماذا؟

يشرح مصطفى لشرف لماذا مطالب الأمير اقتصرت على أهداف محتشمة، حيث يقول: "حيث قال أن المجتمع عرف تقهقر مع بداية ق20م، فرض عليه الحصار والقيود من أجل تجريده، فقضي عليه، هو ما جعل الأمير يطالب ببعض الإصلاحات والقليل من العدالة حتى ينقذه من مخاطر كبيرة، هي تلك الظروف التي كان يتخبط فيها الشعب الجزائري وكذا غياب تيار سياسي منظم هذا ما فرض على الأمير خالد أن يخوض سياسة محتشمة"¹.

¹. Kaddache, Mahfoud, op.cit. P192.

فكان برنامج الحركة مع بداية سنة 1919 م بزعامة الأمير خالد يهدف إلى تحقيق الأهداف التالية¹:

- 1-إلغاء القوانين الاستثنائية والبلديات المختلطة والعسكرية.
 - 2- المساواة في الحقوق والحريات بين فرنسي الجزائر ومسلمي الجزائر.
 - 3-احترام الأحوال الشخصية للأهالي.
 - 4-التمثيل البرلماني للمسلمين.
 - 5-التعليم الإلزامي وتعليم اللغة العربية كلغة رسمية بجانب اللغة الفرنسية، وإقامة جامعة باللغة العربية.
 - 6-رفض الإدماج الكلي والتجنس العام مثل ما حدث في قانون كريمي ولجزائري إلى هود.
 - 7-تفضيل مصطلح الارتباط أو الاتحاد عن الإدماج.
 - 8-معارضة استقلالية تسيير الجزائر في ظل سيادة الأقلية الأوروبية.
- نلمس من خلال النقاط التي جاءت في برنامج حركة الأمير خالد خاصة النقطة 3، 5 و 6 ان البرنامج جاء رافضا للإدماج بل هي مطالب تعتمد على المساواة في الحقوق مع الفرنسيين كما لا تطالب باستقلال صراحة وإنما الإصلاحات المطالبة بها تفتح الطريق لتحقيق هذا الهدف.

ب. المرحلة الثانية من 1919 - 1924

في نهاية الحرب الأولى، أعلن الرئيس ويلسون في يناير 1918 على مبدأ حق الشعوب في تقرير المصير، تحمس الأمير خالد للمبدأ وعاد من جديد الى نشاطه السياسي ولكن بمطالب جديدة وراديكالية تماشيا مع التغيرات الدولية وما أفرزته

¹. Mohamed Teguia, L'Algérie en guerre, op.cit., p.24.

الحرب العالمية من نتائج أهمها مبادئ ولسن 14 التي تضمنت حق الشعوب في تقرير مصيرها.

استشار خالد بعض أعضاء البارزين من الحركة في مسألة تحرير رسالة وبعثها لولسن الأمريكي للمطالبة بتطبيق ما جاء في مبادئه 14 على الجزائر إلا أن بعض من مناصري الإدماج الكلي رفضوا ذلك، لكن ذلك لم ينقص من عزمته و رغبته في المبادرة مع بعض الأعضاء وهم 5 وكان له ذلك حيث توجه وفد من الجزائر الى فرساي(باريس) حامل معه الرسالة سلمت لرئيس الأمريكي بواسطة ضابط شرف المؤتمر في مارس 1919م وجاء في العريضة: توضيح الوضع السياسي للشعب الجزائري، جاء فيها ما يلي: "في ظل ما يسمى الجمهورية، معظم السكان تحكمه قوانين خاصة التي من شأنها تكون عارا حتى على البرابرة أنفسهم. وكما هو الحال، أن بعض هذه القوانين أسست محاكم خاصة (المحاكم القمعية والمحكمة الجنائية) التي تعود إلى تاريخ 29 مارس 1902 و 3 ديسمبر 1902. يمكننا أن نرى مثالا للتراجع الحريات الفردية"¹، كما طلب من ولسن تطبيق بما جاء في مبادئ 14 ووضع الجزائر تحت وصاية عصبة الأمم إلا أن الأمير لم يتلق ردا من ولسن وخاب أمله.

رغم خيبة أمله من الرسالة الا أنه عاد من جديد للنشاط السياسي ودافع عن الشخصية الجزائرية المسلمة ورفض الاندماج كما أقحم باب الانتخابات للترشح سواء في الانتخابات البلدية حقق فوزا ساحقا الا أنه استقال من منصبه حتى يتفرغ لتوعية الشعب وتأطيره وتوحيده، فأعتنق مهنة الصحافة بعد تأسيسه جريدة "الأقدام" سنة

¹. Idem., p. 122. Voir également : Ageron, Ch.- R. « La pétition de l'émir Khaled au président Wilson (mars 1919), suivie d'une réponse à quelques objections », Revue d'Histoire Maghrébine, n° 19-20, oct. 1980.

1920م وشرع في نضاله بالقلم ضد النظام الاستعماري والاجارة الاستعمارية وعملائها من المنتخبين الجزائريين الذين كانوا يزورون الانتخابات.

أدرك الأمير خالد ضرورة تنظيم الشعب وتوحيده لذا أنشأ جمعية "الأخوة الجزائرية" الذي يحمل برنامجها ما يلي:

- إلغاء القوانين الاستثنائية.
 - تمثيل المسلمين في المجالس الانتخابية.
 - الحقوق المشتركة للجميع.
 - التعليم الإجباري للجزائريين باللغة العربية والفرنسية.
 - منح المواطنة للجزائريين دون التخلي عن الأحوال الشخصية.
- نظرا لنشاط الأمير خالد النضالي الباسل، أصبح في نظر الإدارة الاستعمارية يشكل خطرا داهما عليها لذا رأت العمل المستحيل لإبعاده من ممارسة النشاط السياسي والتخلص منه سواء عن طريق التهريب والترغيب أي إغرائه بالأموال ومنحه حق اللجوء والهجرة لأي بلد، فأختار خالد الانسحاب من النشاط السياسي والهجرة. وما كان يروج لهو يسعى إلى ه قبل الانسحاب من النشاط السياسي هو تنظيم العمال المغتربين لدول المغرب العربي أي تكوين جمعية تضم عمال المغرب العربي للدفاع عن حقوقهم الا أنه انسحب من النشاط السياسي ما جعل الكثير من المؤرخين يرجعون فكرة تأسيس نجم شمال إفريقيا إلى الأمير خالد..

قاد الأمير خالد نضال دون هودة من اجل الحقوق السياسية تحقيق الحريات، وزاد الأمير من جرأته حتى تسبب في وقوع حادث فعلي بتاريخ 20 أبريل 1922، خلال الزيارة التي قام بها رئيس الجمهورية الفرنسية ألكسندر ميلران إلى ضريح سيدي عبد الرحمان الجزائر من خلال تقديم خطاب ارتجالي دعي فيه على وجه الخصوص الى "تطوير الحريات وتمثيل الجزائريين في البرلمان الفرنسي: "... في الوقت الراهن،

من أقصى الأرض إلى أقصاها حيث عرف العالم كارثة غير مسبقة يحاول اليوم استئناف توازنها الطبيعي، "يطالب المسلمون الجزائريين عاجلا من فرنسا بإعطاء أهمية لتطوير الحريات التي كانت وعدت بمنحها حتى تسمح لهم بالانضمام في صف العائلة الفرنسية، ان بعض تحفظات عن الأحوال الشخصية الخاصة لا تكون عقبة للتأقلم الكلي التي تجعلكم تترددون".¹

أغتتم الأمير خالد جولته الثانية في فرنسا، في الوقت الذي كان فيه رسميا منفيًا، ليكتف في جويلية من عام 1924م من اللقاءات السياسية والتجمعات الشعبية في باريس، راسل في 3 جويلية رئيس المجلس، إدوارد هيريو، جاء فيها جملة من المطالب متعلقة بالحريات منها الصحافة وتكوين الجمعيات.²

نص المطالب الذي قدمها الامير خالد الى هيريو رئيس وزراء فرنسا: -

- إعطاء حق الانتخاب للمسلمين الجزائريين لتكون لهم في مجلس الأمة ومجلس الشيوخ نيابة تساوي في عددها نيابة الفرنسيين الجزائريين.
- إلغاء سائر القوانين الزجرية والاستثنائية والمحاكم الخاصة والرجوع الى القوانين التابعة للحق العام.
- المساواة في الحقوق التامة مع الفرنسيين في المسائل العسكرية.

¹ Mahfoud Kaddache, Histoire du nationalisme algérien, T. II, Alger, 2 éd., 1993, annexe 3, p. 890.

² Adressée le 3 juillet 1924 et appuyée par deux conférences tenues à Paris, les 12 et 19 juillet 1924, devant « 12 000 Français et Nord-Africains musulmans ». Cf. Emir Khaled, La Situation des Musulmans d'Algérie, Alger, Ed. Du Trait-d 'Union, Victor Spielmann, 1924. Présentation Nadya Bouzar-Kasbadji, OPU, 1987, 55 p. Voir également : Collot, Claude et Henry, Jean-Robert, Le Mouvement national algérien. Textes 1912-1954, Alger, 2 éd., OPU ; Paris, L'Harmattan, 1986, p. 32.

- الاعتراف بالحق للمسلمين الجزائريين في الوصول الى كل درجات الموظف العمومي غير المتقيدين إلا بشرط الكفاءة.
- تنفيذ قانون التعليم الإجباري على سائر المسلمين مع إعطاء الحرية للتعليم الحر.
- حرية الصحافة والتعبير وإنشاء الجمعيات.
- تنفيذ قوانين فصل الدين عن الدولة.
- اعلان العف والعام.
- تنفيذ القوانين الاجتماعية وقوانين حماية العمال على المسلمين.
- الحرية التامة لسائر المسلمين في السفر لفرنسا بدون قيود¹.

هذه هي المطالب التي كانت برنامج الأمير خالد السياسي، وعنها كان يناضل بالقول والكتابة في جريدة الأقدام الشهيرة باللغتين، وبالمحاضرات وأستمر على المطالبة بها إلى آخر نفس من حياته.

حينما تزعم خالد هذه الحركة عرفت تطورات وتغيرات إلى أن أدى بها إلى التصدع والانشقاق إلى تيارين، الأول يطالب بالإدماج الكلي أما الثاني مطالبه غير إدماجية ولكنها سياسية متعلقة بإلغاء القوانين الاستثنائية وهو متأثر بنهضة المشرق العربي، وهو ما أدى تدريجيا تخلق التيار الأول من حركة "الشباب الجزائري " المؤيدين للارتباط بفرنسا وسياسة التجنيس أي الإدماج الكلي عن الأمير خالد ولكن هذا الهدف من الأمور الطوباوية في رأي بعض سياسيين الكولون أو لدى الأهالي حيث يستحال تحقيقه.

حيث قال جون كلود فاتين في هذا الموضوع ما يلي: «سياسة الإدماج ما هي إلا طريقة أو وسيلة لتحقيق المساواة الاجتماعية والسياسية بين الأوروبيين والمسلمين -

¹. محمد قنانش ومحفوظ قداش، نجم الشمال الإفريقي 1926-1937، وثائق وشهادات لدراسة تاريخ الحركة الوطنية الجزائرية، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1954، ص 23.

هي غاية في حد ذاتها - إلى الحد الأقصى يمكن أن نقول انه لم يوجد تيار إدماجي بمعنى الكلمة يهدف إلى ذوبان المجتمع الجزائري داخل المجتمع الأوروبي¹.

ويذهب فتان إلى ابعد من ذلك بقوله ما يلي: «إن المناهضين للإدماج مرتاحين ومتفحين لتيار المساواة قبل كل شيء، تفوق رجال الدين علي اللاتكيين كما تفوق مدافعي على الأحوال الشخصية على دعاة الإدماج وما يعكس هذا الطرح هو أثناء التنافس بين الأمير خالد المناهض للإدماج وبنلامي من دعاة الإدماج في الانتخابات البلديةات تنافس الاثنين في مدينة الجزائر فانهمز دعاة الإدماج

وهذا ما جعل ينذر بالخطر في المستقبل من تحول تيار المناهض للإدماج أن يتحول إلى تيار وطني².

من خلال هذا العرض للأحداث نتوصل إلى القول أن أول حركة سياسية جزائرية مثلها "الشباب الجزائري" التي وضعت نواتها الأولى قبل الحرب العالمية وتزعمها الأمير خالد لتتطور وتظهر إلى الوجود بعد الحرب العالمية الأولى وانبتق عن هذه الحركة تيارين الأول هم دعاة الإدماج مع التخلي عن الأحوال الشخصية الذين تخلوا عن الأمير أما التيار الثاني هم دعاة المساواة والرافضين للإدماج التي تتطور مطالبه لتصبح أكثر دقة بعد نفي الأمير خالد سنة 1923م ويصبح في معظمه سبب في تأسيس نجم شمال إفريقيا الذي يمثل التيار الوطني بعد لقاءات وتجمعات

¹ J.C. Vatin, L'Algérie Politique, histoire et société, revue française de science politique, n°2, 1974, p.168-169.

². Ibid.p.172.

مشتركة مع الشيوعيين الفرنسيين¹، ويتحول فيما بعد إلى حزب الشعب الجزائري وأخيرا إلى حركة الانتصار من اجل الحرية والديمقراطية.

المحاضرة الحادية عشرة: نجم شمال إفريقيا.

تعود فكرة تأسيس جمعية تضم عمال شمال إفريقيا المغتربين في فرنسا تدافع عن حقوقهم التي أصطلح عليها بنجم شمال إفريقيا إلى الأمير خالد ولكنه لم يجسدها على الواقع بسبب انسحابه من ممارسة النشاط السياسي. إلا أن محمد قنانش يقول أن النجم تأسس على أنقاض جمعية دينية "جمعية الأخوة الإسلامية"² والتي تعتبر النواة الأولى وعاشت سنة كاملة من أوائل 1925م إلى أوائل 1926م³

إذن أول تيار وطني جزائري يعود الفضل في تأسيسه إلى العمال الجزائريين المهاجرين إلى فرنسا، فما هي العوامل التي جعلت منه انتهاج النهج الثوري الاستقلال؟ وكيف تأسس هذا التيار؟

1. العوامل التي جعلت من النجم ينتهج الإيديولوجية الثورية الاستقلالية:

أ. العوامل الخارجية:

- التأثير بالأفكار التحررية التي سادت أوروبا.
- التأثير بالأفكار الشيوعية الثورية التي ترعرعت في باريس.

¹. Mohamed Lebjaoui, Vérités sur la révolution Algérienne, Gallimard, paris ; 1970, PP.17-24.

². هي حركة دينية تم إنشائها في أوائل من سنة 1925 كخطوة أولى تجمع عمال شمال إفريقيا وتشد أزهرهم وتمنعهم من الذوبان وبنو أساسها على المحبة الأخوية التي هي أكبر رابطة إنسانية ودعموها بالدين.

³. محمد قنانش، الحركة الاستقلالية في الجزائر بين الحريين (1919-1938)، المركز الوطني للنشر والتوزيع، الجزائر 1985، ص 26.

- الحركة العمالية التي أصبحت تجيش بها باريس بعد انتصار الثورة البلشفية في روسيا.
- مبادئ ولسن 14 وأهمها حق الشعوب في تقرير المصير.
- مؤثرات أفكار المشرق العربي منها أفكار جمال الدين الأفغاني مصطفى كامل.
- الجمعيات السرية والمؤثرات العربية.
- حرب الريف الذي تزعمها عبد الكريم الخطابي.
- النهضة التركية الحديثة.

ب. العوامل الداخلية:

- الرصيد الديني الإسلامي القوي الذي جمع بين مهاجرين شمال إفريقيا
- تمسكهم بالعادات والتقاليد حيث جعلوها حصنا متينا لذوبان الشخصية الجزائرية في المجتمع الأوروبي.
- السياسة الاستعمارية الظالمة القائمة على التفرقة والتمييز.

2. تأسيس نجم شمال افريقيا:

بعدها في عقد اجتماعات تحضيرية في إحدى المطاعم الباريسية من اجل تأسيس جمعية التي يكون هدفها العاجل توحيد الجهود وتنسيق العمل بين كل عمال المغتربين شمال إفريقيا في باريس، لتبدأ المشاورات في أكتوبر من سنة 1925م للتوصل في شهر ديسمبر من نفس السنة، وأنعقد أول اجتماع يوم 15 جوان 1926م بنهج بروتان، وفيه اقترح اسم شمال إفريقيا من طرف الحاج علي عبد القادر الذي حضر جميع الاجتماعات.

عقد الاجتماع التأسيسي للنجم بتاريخ 23 إلى 26 جوان من سنة 1926م في دار النقابات بشارع ماثوران مورو (Mathurin Moreau) بباريس ففي هذه المناسبة أعلن رسميا أمام العامة على تأسيس نجم شمال إفريقيا بحضور شخصيات من دول عربية وكان مقرها في باريس والتي كانت بمثابة فرع تابع للحزب الشيوعي الفرنسي.

وحسب ما ينص عليه قانون الجمعية، تهدف إلى تدريب مسلمي الشمال إفريقيا على الحياة في فرنسا والتتديد بجميع المظالم أمام الرأي العام، وعدم انتمائها إلى أي حزب سياسي، فهي مع ذلك تلتزم بتأييد كل حزب وكل شخصية سياسية تساعد على تحقيق برنامج مطالبها وقد قررت منذ تأسيسها توحيد العمل مع كامل منظمات الطبقة الشغيلة والفلاحية والشعوب المضطهدة. تدير الجمعية وتكون مسئولة أمام المؤتمر السنوي، ولجنة تنفيذية صادرة عن اللجنة المركزية تجتمع بصفة مستمرة وتجتمع اللجنة المركزية كلما اقتضت الضرورة، فالمؤتمر السنوي بمشاركة جميع فروع الجمعية له السلطة التامة فيما يخص مبادئ الجمعية والتوجيه السياسي لها.

وفي 2 جويلية انعقد اجتماع للأعضاء بقاعة النقابة وأسست لجنة مركزية تضم 25 عضوا وأشهرهم:

- الرئيس: الحاج علي عبد القادر
- الكاتب العام: مصالي الحاج.
- أمين مال: شابيلة الجيلالي
- بقية قائمة الاعضاء: أكلي بانون، معرف محمد، قدور فار، مصطفى سعدون، مقرروش، عبد الرحمان سبيعي، أيت تودرت، ايفور محمد، غاندي صالح، رزقي، بوطويل¹ والجمعية تستلهم أساسها من المبدأ التالي: "إن مسلمي الشمال

¹.. محمد قنانش، المصدر السابق، ص30-31.

الإفريقي لا يقومون بواجباتهم فقط بل بأكثر من واجباتهم، لذا فأنهم يطالبون بكامل حقوقهم¹.

3. مطالب النجم بعد التأسيس:

- إلغاء قانون الأنديجينا مع جميع توابعه.
- حق الانتخاب والترشح في جميع المجالس ومن بينها البرلمان الفرنسي بنفس الحق الذي يتمتع به الفرنسي.
- إلغاء التام والعام لجميع القوانين الاستثنائية والمحاكم الجزرية والمجالس الجنائية والمراقبة الإدارية وذلك بالرجوع إلى القوانين العامة.
- نفس التكاليف ونفس الحقوق كالفرنسيين فيما يخص التجنيد.
- توصل المسلمين الجزائريين إلى جميع الرتب المدنية والعسكرية من دون تمييز سوى الكفاءة والمهارة الشخصية.
- التطبيق التام لقانون التعليم الإجباري لجميع الأهالي.
- حرية الصحافة والجمعيات.
- تطبيق قانون فصل الدين عن الحكومة فيما يخص الدين الإسلامي.
- تطبيق القوانين الاجتماعية والعمالية على الأهالي.
- الحرية التامة للعمال الأهالي بالتنقل إلى فرنسا والخارج من غير إجراءات أخرى غير ما يتطلب من مواطن آخر.
- يجب تطبيق قوانين العف والماضية والآتية على الأهالي مثل غيرهم من المواطنين².

¹. محمد قنانش ومحفوظ قداش، المصدر السابق، ص40.

². نفس المصدر، ص41.

كان النجم برئاسة الحاج علي عبد القادر يستخدم وسائل الحزب الشيوعي الفرنسي والكونفدرالية العامة للعمال من أجل تطوير نشاطه ونشر برنامجه ولكن ظلت الحركة محصورة في فرنسا بين وسط المغتربين العمال في فرنسا دون أن تكون لها جذور في الجزائر.

بعد انسحاب الحاج علي من النجم والساحة السياسية، عين مصالي الحاج علي رأس النجم سنة 1928م ولكن قبل ذلك كان بدا نشاطه في جمعية ذات طابع ثقافي واجتماعي يصطلح عليها "الإخوة الإسلامية"، كما كان منخرط في الحزب الشيوعي الفرنسي ذات تكوين سطحي ماركسي ذات خلفية شعبية مثل جيلاني وسرعان ما أنشق بعض أعضاء قيادة النجم من الحزب الشيوعي، لكن معظم قيادة الحزب كانت شيوعية أمثال الحاج علي، بن لكحل، معروف، على أيب منور.

قد نلمس في العشرينات من هذا القرن أن هناك تقارب وعلاقات حسنة تربط زعماء الوطنية العرب¹ مع الحزب الشيوعي. نلاحظ أن القليل من المتحضرين² الذين توافدوا إلى فرنسا توغلوا في وسط العمال وانضموا إلى النجم خاصة في القيادة نستثني فقط الوافد من الريف وهو معروف³ من وادي الفضة الشلف.

¹. منهم شكيب أيرسلان الذي زار موسكو سنة 1921م حيث كان أمين المؤتمر الإسلامي العالمي لمكة المكرمة، كما كانت تربطه علاقة مع الأممية الشيوعية، كما شارك في مؤتمر بروكسل سنة 1927م الذي جمع الأحزاب الشيوعية الأوروبية و ممثلين عن الدول المستعمرة جاء لمناهض للإمبريالية، كما مثل مصر و فلسطين في مؤتمر أصدقاء الاتحاد السوفيتي سنة 1928م، أما ممثل شمال إفريقيا نجد الأمير خالد و مصالي ، لم يكون شكيب أيرسلان شيوعي و لكن حافظ علي العلاقة الجيدة مع الحزب الشيوعي إلى غاية 1930م، بعد ذلك تعهد شكيب والشيوعيين لإنهاء الكراهية نهائيا.. ينظر في:

Jean Charles Vatin, L'Algérie politique, histoire et société, Op.cit., P.929.

². النخبة المثقفة من الحضر

³. بومدين معروف من المقربين لمصالي الحاج

وبعد تأسيس النجم شرع في تنصيب فروعه عبر مختلف المدن الكبرى الفرنسية، كما بدأ في نشر البيانات وأول بيان نشر بتاريخ 10 جويلية 1926م وجاء فيه تنديد بالسياسة الاستعمارية المطبقة في الجزائر ويتعلق الأمر بتعليمة تضمنت شروط التحاق الجزائريين بفرنسا وكذا استمرار تطبيق قانون الإنديجينا كما احتجوا من أجل الحصول على حقوقهم والدعوة لعقد تجمع من أجل مناقشة هذه النقاط.

وتم إصدار صحيفة لنجم شمال إفريقيا يحمل اسم "الإقدام الباريسي" سنة 1926م وتعرض للتوقيف في فيفري 1927م، ليتم تعويضه بـ «إقدام شمال إفريقيا» بعد أعداد من هذه الصحيفة تعرضت كذلك للمنع من الصدور في فيفري 1928م

4. مشاركة نجم شمال إفريقيا في مؤتمر بروكسل 1927م¹:

اغتنمت جمعية نجم الشمال الإفريقي هذه الفرصة وأوفدت إلى المؤتمر الكاتب العام مصالي الحاج الذي قدم مطالب الجزائر وتعرف على بعض الشخصيات أمثال: نهرو، سوكارنو وهو شي منه.

مطالب الجزائريين حسب نجم الشمال الإفريقي من المؤتمر:

- استقلال الجزائر.
- جلاء قوات الاحتلال الفرنسية.
- تأسيس جيش وطني.

¹. هو مؤتمر مناهض للإمبريالية، انعقد ما بين 10-15 فيفري من عام 1927 حضره الأحزاب الشيوعية الأوروبية إلى جانب الطبقة العاملة لمختلف القارات للدول المستعمرة، ويهدف المؤتمر إلى تكاتف الجهود والنضال لمناهضة الإمبريالية وهو إلا تطبيق نهج وسياسة لينين الرامية إلى مساندة "الحركات الوطنية الثورية" في الدول المستعمرة.

- حجز الأملاك الفلاحين الكبيرة التي استولى عليها الإقطاعيون والمعمرون والجمعيات الرأسمالية الخاصة وإرجاع الأراضي المحجوزة إلى الفلاحين الذين سلبت منهم.
 - احترام الأملاك الصغيرة والمتوسطة.
 - إرجاع الأراضي والغابات التي استولت عليها الحكومة الفرنسية الى الحكومة الجزائرية.
- هذه المطالب الاساسية التي نحارب من اجلها لا تنفي أعمالا جريئة فورية لانتزاع المطالب الاتية من الإمبريالية الفرنسية.
- إلغاء الفوري لقانون الأنديجينا والقوانين الاستثنائية.
 - العف ولمن هم في السجون أو تحت الإقامة الجبرية أو المبعدون.
 - حرية الصحافة والجمعيات والاجتماعات.
 - التمتع بالحقوق السياسية والنقابية المعادلة لما يتمتع بها الفرنسي في الجزائر.
 - تحويل المجلس المالي المنتخب بأقلية إلى برلمان فرنسي منتخب بالاقتراع العام.
 - انتخاب المجالس البلدية والعمالية بالاقتراع العام ابيضا.
 - التمتع بحق التعليم في جميع المراحل.
 - إنشاء المدارس العربية.
 - تطبيق القوانين الاجتماعية.
 - إعانة الفلاحين الصغار بقروض واسعة¹.
- تطورت مطالب النجم مباشرة بعد مؤتمر بروكسل لتصبح وطنية اي استقلال الجزائر.

¹ محمد قنانش ومحفوظ قداش، المصدر السابق، ص49.

السنوات الصعبة للنجم بسبب قوانينه الجديدة

ان كانت سنة 1927م قد أقرت مبدأ الاستقلال الوطني عمليا، ومبدأ الثورة فكريا ومبدأ شمال افريقيا استراتيجيا، فان سنة 1928 عرفت تصحيح القوانين الأساسية حتى تتماشى مع الوضع الجديد وجاءت في الوقت المناسب للتوجيه الوطني الثوري، وقد جاءت لتحل محل قوانين سنة 1926م التي كانت ضعيفة وغير مركزة، لقد هيأت هذه القوانين التي عرضت في الاجتماع لعام السنوي الذي جرى يوم 19 فيفري 1928م بنهج بروتان مع البرنامج العمل التالي:

- تقييم نتائج نشاطات النجم وتحديد مهمته في المستقبل.
- مراجعة القوانين.
- برنامج النجم.
- الحالة المالية.
- انتخاب اللجنة المركزية.

أدت الحالة الجديدة للنجم إلى دفع رجال الأمن الفرنسي الى مطالبة وزير الداخلية بحله لأنه أصبح يهدد الوجود الفرنسي في الجزائر، أصبح النجم متابع من طرف رجال الأمن هذا ما جعله يعقد اجتماعات مصغرة في المقاهي والمطاعم بعدما كانت اجتماعاته كبيرة.

وفي 20 جانفي من سنة 1929م وقع تجمع عظيم تحت رئاسة الحاج علي عبد القادر نادي فيه بتأسيس برلمان أهلي كخطوة أولى للاستقلال أما مصالي الحاج فقد صرح في نفس التجمع بأن الاستقلال هو الحل الوحيد ويظهر أن الحاج علي كان في آخر عهده في النجم.

وقد قام النجم في الأشهر الأولى من هذه السنة بنشاط كبير دفعت بحكومة طاردي اليمينية أن تطلب محاكمة النجم، وقد وقع في أول نوفمبر بينما حل النجم يوم 20 من نفس الشهر.

تعرض النجم إلى الحل سنة 1929 إلا أنه ظل أعضائه أمثال الحاج علي ينشط حيث نظم تجمعات ولقاءات ضد الذكرى المئوية لغزو الجزائر.

بعد سنة 1930 عاد نشاط النجم باسم جديد "نجم شمال إفريقيا المجيد" اتبع أيديولوجية وسياسة جديدة بزعامة مصالي الحاج معارضة ومخالفة للشيوعية القومية الشعبية ولكن دون قطع الصلة مع الحزب الشيوعي، كما قام النجم سنة 1930 بإرسال مذكرة إلى عصبة الأمم المتحدة يشرح فيها حالة ووضع الجزائر من جراء السياسة الاستعمارية الفرنسية وكذا سكوت المنظمة العالمية على عدم تطبيق تقرير المصير الذي تأسست من أجله.¹

وفي أكتوبر من سنة 1930م أنشأت **صحيفة الأمة** وهي صحيفة للدفاع على مصالح المسلمين الجزائريين والمغاربة والتونسيين، وقد لعبت دورا كبيرا في جمع شباب الجزائري حول النجم، كما كان لها صدى في الجزائر والمغرب استمرت في الصدور إلى سنة 1936م.

ان كان النجم إلى غاية 1932م يمثل إلا جمعية مطلبية ولكن بعد انسحاب الشيوعيين أصبح ينظم نفسه في شكل حزب سياسي علي النمط الماركسي وتحقق ذلك بعقد مؤتمره الوطني في 28 ماي 1933م وحدد فيه برنامجه السياسي والقوانين الداخلية والمطالب المستعجلة والمصادق عليه من طرف الجمعية.

¹.. محمد قنانش، المصدر السابق، ص52.

5. مطالب النجم في مؤتمره الوطني المنعقد سنة 1933:

القسم الأول من المطالب (العاجلة)

- إلغاء الفوري لقانون "لأنديجينا" وجميع الإجراءات الاستثنائية.
- العف والعام عن جميع المساجين ومن هم تحت الإقامة الجبرية والمنفيين.
- حرية الصحافة، الجمعيات، الاجتماعات، والحقوق السياسية والاجتماعية.
- حرية التنقل المطلقة لفرنسا وللبلدان الأجنبية.
- إلغاء مندوبي المالية وإجراء انتخابات عن طريق الاقتراع العام لتشكيل برلمان وطني جزائري.
- إلغاء البلديات المختلطة والمناطق العسكرية وتعويضها بمجالس بلدية منتخبة عن طريق الاقتراع العام.
- الحق لجميع الجزائريين في الوظائف العامة بدون اي تمييز، وظائف وأجور متساوية.
- ان تكون اللغة العربية إجبارية ورسمية، الحق في مباشرة التعليم في جميع المستويات، انشاء مدارس عربية جديدة، وجوب نشر العقود الرسمية باللغة العربية والفرنسية.
- وفيما يخص الخدمة العسكرية يجب احترام القران الكريم الذي يقول: فمن قتل مؤمنا معتمدا فجزاؤه جهنم خالدا فيها وغضب الله عليه ولعنه.
- تطبيق القوانين الاجتماعية والعمالية والحق في منحة البطالة والمنح العائلية للعائلات القاطنة بالجزائر.
- توسيع القرض الفلاحي لصغار الفلاحين، تنظيم الري تنظيمًا عادلاً، تنمية وسائل المواصلات اعانة غير قابلة للتعويض لضحايا المجاعات الدورية.

أما القسم الثاني والمطلب الآجلة فهي كالآتي:

1-الاستقلال الكلي للجزائر

2-انسحاب القوات الاحتلال

3-انشاء جيش وطني.

4-تكوين حكومة وطنية ثورية وذلك ب:

- جمعية دستورية ثورية بالاقتراع العام.
 - الاقتراع العام في جميع المستويات وحق الترشح في جميع المجالس لجميع سكان الجزائر.
 - اعتبار اللغة العربية لغة رسمية.
 - ارجاع جميع الممتلكات للدولة الجزائرية (البنوك، السكك الحديدية، المناجم، الموانئ والخدمات)
 - تأميم كبريات الأملاك التي استولت عليها الإقطاعية من حلفاء الاحتلال المعمرون والجمعيات المالية وتوزيعها على عمال الأرض.
 - احترام الأملاك الصغيرة والمتوسطة، استرجاع الأراضي والغابات التي استولت عليها الحكومة الفرنسية الى الدولة الجزائرية.
 - اعتراف الدولة الجزائرية بالحق النقابي، اتحاد العمال، وحق الإضراب وإعداد القوانين الاجتماعية من طرف العمال. الإعانة الفورية للفلاحين بتخصيص مبالغ للفلاحين كقروض بغير فائدة لشراء آلات الحرث، البذور، المواد الكيماوية.
 - تنظيم الري، إصلاح الطرق.
- بهذا البرنامج الجديد الذي ترتب عن المؤتمر الوطني للنجم المنعقد سنة 1933م، يكون النجم حسب محمد قنانش قد وضع الخطوط العريضة للبرنامج السياسي والثقافي والاقتصادي والاجتماعي وحدد وسائل العمل كما حدد القوانين الداخلية للحزب باعتبار حركة النجم حزبا سياسيا وطنيا له أيديولوجيته النابعة

من أصلاته والمتفتحة على عصره و له أيضا استراتيجية خاصة التي تتماشى ومبادئه الثورية¹.

قامت السلطات الفرنسية بحل "نجم شمال افريقيا المجيد" سنة 1935م بعد أن تم اعتقال مصالي رفقة راجف وعيماش بمقر صحيفة الأمة في ماي 1934م وحكم على مصالي ب 6 أشهر حبس وغرامة ب 2000 فرنك.

رغم الإجراءات القمعية والتعسفية على مناضلي النجم إلا انه واصل نشاطه ونضاله السياسي ولكن تحت غطاء وتسمية جديدة هو «الاتحاد الوطني لمسلمي شمال إفريقيا». وشارك في مؤتمر مسلمي أوروبا بجنيف في 12 سبتمبر من سنة 1935م وترأس المؤتمر شكيب أرسلان، كما تدخل كل من مصالي الحاج ورجف بإلقاء كلمة واصفين فيها أوضاع المزرية لعمال المغتربين لبلدان شمال إفريقيا²

وفي جويلية 1935م أعلنت محكمة لا سين (La seine) عدم صلاحية حكم سبتمبر 1929م المعلن عن حل النجم بسبب "عدم إصدار أي حكم للتنفيذ"، هو ما جعل النجم شرعي في جويلية 1935م ويستأنف نشاطه السياسي في الوقت كان مسؤوليه كل من مصالي ، عيماش، راجف، جيلاني متابعين والمحكوم عليهم بسنة سجن في ماي 1935م، فتم سجنهم باستثناء مصالي الذي تمكن من الهروب من الاعتقال واللجوء إلى سويسرا أين التقى بشكيب أرسلان، حيث ترأس هذا الأخير المؤتمر الاسلامي الأوروبي المنعقد في جنيف في شهر سبتمبر من سنة 1935م وحضره و فد من النجم برئاسة مصالي الحاج الذي كان مقيم في جنيف الطي تكلم عن حالة المسلمين في فرنسا شمال افريقيا وندد بالاستعمار الفرنسي وسياسته

¹. محمد القناش، المصدر السابق، ص59.

². Tribune d'Orient, n°179, 1935.

الحمقاء. وقد قضى مصالي الحاج 6 اشهر في كنف الأمير شكيب ارسلان بجنيف وتعرف على عدة شخصيات منها رفيق الأمير في الكفاح السيد لسان الجابري والصحافي الكبير السيد علي الغاباني صاحب جريدة "منبر الشرق" وغيرهم من الشخصيات¹

6. نجم شمال افريقيا والجهة الشعبية:

رغم المشاكل والتعسف القضائي المسلط على النجم إلا انه انخرط في التجمع الشعبي الذي هو بمثابة جهة شعبية تجمع أحزاب اليسار الفرنسي، بعث برسالة مفتوحة الى الجهة الشعبية منددا بموقف اليسار الفرنسي ومن القضية الجزائرية²، كما قدم برنامج من المطالب المستعجلة منها ما هي سياسية واخرى اجتماعية. المطالب السياسية:

- العفو الشامل على كل المنفيين والسجناء السياسيين مهما كان الحزب الذي ينتمي إليه.
- الغاء كل القوانين الخاصة والاجراءات الاستثنائية مثل
 - قانون الأنديجينا وقانون الغاب
- منح الحريات الديمقراطية مثلما هي منصوص عليها في القانون
 - حرية الصحافة مع تطبيق قانون 1881.
 - حرية الاجتماعات.
 - حرية الجمعيات مع تطبيق قانون 1901م.
 - حرية الراي.

¹. محمد قنانش، المصدر السابق، ص 67.

². محمد قنانش ومحفوظ قداش، المصدر السابق، ص72.

- الحرية النقابية مع تطبيق قانون 1884 و 1920 و 1924.
- المساواة بين الفرنسيين والجزائريين امام الخدمة العسكري.
- المطالب الاجتماعية:

- التعليم

- التعليم الابتدائي اجباري ومجاني.
- تنمية التعليم الثانوي.
- الانتقال الى التعليم الثانوي يرافقه الاستفادة من المنح الدراسية وقروض غير مضمونة الى كل من يستحقها أكثر.
- تعليم اللغة العربية اجبارية في كل المراحل.

- حماية العمال

- توسيع الى افريقيا الشمالية كل القوانين الخاص بحماية العمال.
- التطبيق الاسبوعي ل 40 ساعة.
- تطبيق لمختلف عناصر سكان شمال افريقيا صيغة "نفس العمل نفس الراتب".

- الحماية الاجتماعية:

- رفع من عدد المؤسسات الاستشفائية من مستشفيات ومستوصف في التجمعات السكنية الكبرى، والمشفى في كل قرية، ومشفى متنقل إلى المداشر والدواوير، وتكثيف توزيع الأدوية على الفقراء.
- إنشاء في المدن والمراكز السكانية الكبرى مراكز الولادة لصالح نساء الأهالي.
- إصلاح مصحات الأمراض العقلية.
- تنظيم حملات مستمرة وواسعة ضد الأحياء الفقيرة وكل السكنات الهشة.

- حماية الطفولة:

▪ اخذ تدابير لحماية الاطفال المتخلي عنها.

▪ انشاء محاكم خاصة بالأطفال

المطالب الاقتصادية والمالية:

- الميزانية:

▪ تعويض الضرائب الثقيلة والعديدة بضريبة واحدة.

▪ تخفيض العروض الكبيرة التي تثقل ميزانية الجزائر.

- تدابير اقتصادية:

▪ توقيف البيع حبس الرهن دون تمييز والمصادرات لصالح الاستعمار.

▪ فتح وتوسيع القروض لصالح الفلاحين.

▪ الغاء ديون الفلاحين الصغار.

▪ وضع نظام ضريبي لحماية إنتاج شمال إفريقيا ضد الإغراق.

- إصلاحات مختلفة:

▪ إزالة البلديات العسكرية في الجنوب الجزائري.

▪ انتهاء الدعاية الدينية المسيحية.

▪ إصلاح نظام السجون الخاصة بالأهالي.

▪ التوقيف عن مصادرة أراضي الوقف.

ولكن بعد فترة وجيزة، في ظل حكومة الجبهة الشعبية التي وصلت الى الحكم سنة 1936م، يستأنف مصالي ورفاقه النشاط السياسي رسميا من جديد في باريس، ويذهب مصالي إلى الجزائر لإقامة وزرع وتعريف ببرنامج حركة نجم شمال افريقيا.

المحاضرة الثانية عشرة: حزب الشعب الجزائري.

1. تأسيس الحزب:

بدخول مصالي الحاج الى الجزائر في صيف 1936 م، ظل مصالي يجوب اراضي الجزائر ليعرف ويشرح برنامجه، ما جعله ينظر له من طرف الجماهير على انه الوحيد الذي يحمل راية الاستقلال ما زاد التفاف الشعب الجزائري حوله. كما قاد النجم حملة على الحزب الشيوعي والجهة الشعبية واقترح تجمع المنظمات المكونة من المسلمين فقط، وقد تمكن مصالي الحاج من حشد المزيد من الجماهير وبرنامجه يحمل كلمة الاستقلال ويتيح له الفرصة تموقع حزيه في الجزائر ليكون أول حزب وطني ينصب في التراب الجزائري وحينما رأت السلطات الفرنسية ان النجم تجاوز الحد اختراقه لقوانين الدولة فقررت حكومة الجهة الشعبية مهاجمته لأنه مؤيد للانفصال، فكانت الحجة لإصدار حكم بحل "نجم شمال إفريقيا في 26 جانفي 1937م حينما وقعت حوادث وقعت بين مناضلي النجم وأعضاء من المؤتمر في تجمع بتاريخ 24 جانفي 1937.

لم يتأخر مصالي عن تأسيس حزب الشعب الجزائري في 11 مارس 1937م، وجاء فيما يتعلق بتأسيس حزب الشعب: "ان تأسيس حزب سياسي خاصة بعد حله هو موقف جرئ وخطير في نفس الوقت، ويعتقد البعض من هذا الموقف أنه جنوني أو تحد لطلب تأسيس جمعية من المحافظة، فلم نأخذ هذا في الاعتبار، فعلينا اختيار اسم بدقة للجمعية حتى لا نتعرض ثانية للحل، فكرنا في اسم " الحزب الوطني الجزائري" الا ان البعض راء في التسمية انها لا تروق لبعض الأوساط، فوقع الاختيار على "حزب الشعب الجزائري" الذي اعلن عن تأسيسه في 11 مارس 1937م، قد وفقت أن أكون رئيسا لهذا الحزب اما لجنة التسيير تضم 7 اسماء وهم: عيماش عمار، كحال أزرق، فيلاي مبارك، قرنا ان نعقد اجتماع في نفس اليوم

في ننتار (Nanterre)بباريس من اجل الاعلان الرسمي على تأسيس حزب الشعب الجزائري" وبالمناسبة قال مصالي كلمة جاء فيها: " أخواتي المناضلون، يشرفني ويسعدني كثيرا ان اعلن في هذا المساء من تاريخ 11 مارس على تأسيس حزب الشعب الجزائري الذي قدم الاعتماد الى المحافظة، فالمولود الجديد منذ 6 ساعات يريد فقط ان يعيش ويلعب دوره ويؤدي مهامه الذي ولد من اجله وكلنا يتمنى له النجاح ومستقبل زاهر، بخروجه الى الحياة ورث ماضي حافل وهو ما يؤهله و يجعله مثمرا، هذا المولود هو ابن كل الجزائريين، اجعله بين يديكم ، أطلب منكم أن تحبونه وتحموه وتساعده على أداء مهامه، ونقوم برعايته ونطلب الله حمايته" في 11 مارس 1937م ليصبح شرعي لممارسة نشاطه في 14 أفريل ولينقل مقره الرئيسي إلى مدينة الجزائر بتاريخ جوان 1937م.

وحتى يتم تعريف بحزب الشعب للرأي العام الجزائري تقرر أن يعرف بنشاطات الحزب ومطالبه، طلب من مسؤولي فروع الحزب القيام بشرح شفويا خطة عملهم، كما كتبت أحرف PPA في أماكن مختلفة على جدران مدينة باريس ومدن فرنسية كثيرة والجزائرية، فكان رد فعل الاستعمار عنيف وسريع حيث ترجم بجملة من الاعتقالات وتصدى المناضلين الحزب لهذه المعاملات بكل شجاعة وكرامة، كما عرفنا في الحين عبر الصحافة ان بعض المناضلين هم متابعين من طرف الشرطة وبالطبع نقصد المسؤولين الحزب.

تمكن في وقت قصير تمكن من اكتساح الساحة الوطنية وجلب عدد كبير من المناضلين مما جعل الأحزاب السياسية الأخرى تشن حملة ضده مثلما حدث في أفريل 1937 خلال تجمع أمام بلدية تلمسان حيث تهجم الشيوعيون على الحزب ومسؤوليه كما ألقى عمر أركان بصفته مسؤول الحزب الشيوعي خطابا عنيف ضدي حيث كانت السيدة مصالي الحاج حاضرة بينما انا كنت غائبا وصرخت قائلة " ما

تقولونه غير صحيح "، ما جعل أوزقان يضطرب، هذا ما أدى إلى حدوث اشتباكات من أجل اغراق "السكة"، حاول الحزب الشيوعي الجزائري التشويش وعرقلة نشاط حزب الشعب الذي تضاعفت شعبيته عكس الحزب الشيوعي الجزائري.

2. برنامج حزب الشعب الجزائري

وصل عدد المنخرطين في الحزب غداة بداية الحرب العالمية الثانية إلى حوالي 2500 أغلبهم حرفيين، وعمال القطاع العام أو الخاص وبعض المثقفين والصناع الصغار. جاء الحزب ببرنامج معدلاً لبرنامج (نجم شمال إفريقيا) مع الحفاظ على استمرارية في نهجه المعتاد ومن أهم ما جاء فيه:

- تحرير الجزائر من أجل التمتع بالحريات الديمقراطية.
 - نبذ الحزب الصراع بين الطبقي أو بين الأجناس.
 - رفض مشروع لبوم فيوليت.
- إلى جانب المطالب سألقة الذكر (السياسية) التي هي آجلة، تقدم الحزب بمطالب عاجلة في مقدمتها المطالب الاجتماعية والاقتصادية والثقافية.
- ومع ميلاد حزب الشعب الجزائري اقتصر النضال من أجل الجزائر مع الحفاظ على العلاقة بتونس والمغرب وفق بيان 10 أبريل 1937م، وفي هذه الوثيقة وضع حزب الشعب الجزائري لأول مرة وبدقة الطريقة والوسيلة التي تمكنه من الوصول إلى تحقيق هدفه المنشود المتمثل في استقلال الجزائر.
- يناشد المكتب السياسي للحزب جميع الجزائريين دون تمييز عرقي أو ديني للوحدة والتضامن في النضال من أجل الحريات الديمقراطية وكذا على الصعيد الاقتصادي والاجتماعي والثقافي.

وفي حالة الاستجابة لمطالب الحريات سنذهب تدريجيا للمطالبة بالتححر وفي حالة حدوث العكس يستمر حزب الشعب في النضال دون هوادة مهما كانت غطرسة الكولون لتحقيق كال الاهداف في مقدمتها استقلال الجزائر. ومن الواضح اننا لم نكن نؤمن ان فرنسا تستجيب لهذه المطالب لذا كان الزاما علينا اعلام الرأي العام وابلاغ الجزائريين. وفي هذا الصدد نقوم بدعاية كبيرة من اجل اقناع الجميع بإرادتنا النبيلة والصدق كما سنركز في مطالبنا ونعطي اهمية كبرى للجوانب الاقتصادية والاجتماعية والثقافية ونجعل من شعبنا يناضل من أجل المطالب العاجلة كتوفير مناصب العمل والقضاء على البطالة ورفع أجور العمال، مكافحة الأمراض، والسماح بتأسيس النقابات وترقية التعليم.

يرى البعض في الوسط السياسي أن حزب الشعب ما هو الا استمرار لنجم شمال افريقيا، وترى الادارة الفرنسية أن تأسيس حزب الشعب الجزائري هو تحدي لفرنسا على غرار مختلف التيارات في الجزائر كالشيوعيين، العلماء، قداماء المحاربين، المنتخبين وبني وي وي التي كانت تنتظر إلينا بعين قاتمة¹.

وفي شهر جوان 1937 أجريت انتخابات البلدية حيث أخفق فيها حزب الشعب بسبب العراقيل التي وضعتها السلطات الفرنسية. وعلى إثر استمرار مصالي الحاج في الإثارة والتحريض (حسب الطرح الاستعماري)، شارك في احتفالات 14 جويلية 1937 بمدينة الجزائر مطالباً بالاستقلال وإنشاء برلمان جزائري، هذا ما أدى به رفقة 5 مسؤولين من الحزب إلى الاعتقال في 27 أوت 1937 بتهمة اثارة الفوضى ضد سيادة الدولة، حيث حكم عليه في بداية نوفمبر بعقوبة عامين سجنا.

¹. Sous-préfecture de Médéa, Rapports mensuels sur les mouvements d'opinion indigènes, (1937-1939), FR ANOM 912/28.

وفي غياب مصالي الحاج واصل حزب الشعب نشاطه بادر مع بداية سنة 1938م بالتكتل مع التشكيلات التالية: شباب من المؤتمر، العلماء تحت اسم "لجنة الوفاق" وكان يريد من هذا الوفاق تشكيل " تجمع المسلمين " على شاكلة "التجمع الشعبي " المكون من طرف أوروبي اليسار.

وفي 27 أوت 1939م أطلق سراح مصالي الحاج، وفق مرسوم 26 سبتمبر من نفس السنة تم حل حزب الشعب، ففي ظل هذا التطور تعرض حزب الشعب للحل مع بداية الحرب العالمية الثانية، كما تعرض الكثير من قياديه إلى الاعتقال على رأسهم مصالي الحاج في 4 أكتوبر من سنة 1939 كما صدر في حق 28 عضوا من الحزب احكام قاسية، فحكم على مصالي ب 16 سنة سجنا مع الأشغال الشاقة. وبعد حل حزب الشعب واعتقال قياديه وهو ما جعل مناضلو الحزب يدخلون في النشاط السري ومع إعادة تنظيم الحزب تم تأسيس اللجنة المركزية التي شرعت في تنسيق العمل السياسي واصدار صحيفتين وهما: العمل الجزائري وصوت الأحرار.

المحاضرة الثالثة عشرة: جمعية العلماء المسلمين الجزائريين.

حسب ما جاء في قانون اعتماد جمعية علماء المسلمين الجزائريين على أنها حركة إصلاحية للدين الإسلامي والأخلاق الاجتماعية، كان هدفها ومبتغى العلماء سعيهم لتحقيق النهضة وإعادة بعث الإسلام الصحيح وفق مبادئ السلف الصالح بعد أن أدخلت عليه شعائر وتقاليد غريبة وبالية على سبيل المثال الأولياء المشبوهين حيث عملت الإدارة الاستعمارية.

1. فكرة تأسيس الحركة الإصلاحية (جمعية علماء المسلمين)

جاءت الفكرة حينما كان بن باديس مقيما في المدينة المنورة رفقة العلامة البشير الإبراهيمي سنة 1913 وكانا يقضيان جل وقتهما في البحث عن الوضع المتردي للجزائر، وسبيل النهوض بها، وفي ذلك يقول البشير الإبراهيمي: "وأشهد الله على أن تلك الليالي من عام 1913م هي التي وضعت فيها الأسس الأولى لجمعية علماء المسلمين والتي لم تظهر إلا سنة 1931م"¹.

بعد عشر سنوات من عودة ابن باديس من الحجاز عام 1913م، بدأ تفكيره ينصب في توسيع الخطة الإصلاحية التي شرع في تنفيذها بتعليم الناس وإرشادهم وتصحيح أمور دينهم واستنهاض همم العلماء، تأكد لديه أن معركة الدفاع عن الجزائر وعن مقوماتها لا يمكن أن يقوم بها شخص واحد أو جماعة محدودة العدد وبسلاح واحد، لذلك أخذ من سنة 1924م يتطلع إلى الدخول في مرحلة جديدة تتكامل فيها وسائل العمل النضالي ويوجه فيها جهد المخلصين من أبناء هذا الوطن الواحد للتصدي

¹. الشهاب، عبد الحميد الاستراتيجي، ينظر في:

<http://www.binbadis.net/index.php/benbadis/378-benbadis.html>، أطلع بتاريخ 10 جانفي،

لإفشال سياسة الاستعمار والقيام بواجب خدمة الوطن والدين واللغة، وإصلاح الأوضاع الثقافية والاجتماعية والسعي لتحقيق اليقظة الفكرية، وبعث الشعور الوطني والوعي السياسي والديني ويدفع الحركة الإصلاحية إلى الأمام، وكان من الطبيعي أن يتطلع ابن باديس إلى استكمال الأدوات التي تحتاج إليها الحركة الإصلاحية، وتأسيس الهيئات التي تشد عضده وتعينه على أداء المهمة الثقيلة، فباشر بعد عدة لقاءات مع البشير الإبراهيمي منذ سنة 1920م تارة في سطيف وتارة أخرى في قسنطينة التي كانت تنصب على دراسة الوضع في الجزائر والبحث عن السبل الكفيلة لمعالجة هذا الوضع وبعد هذه اللقاءات الممهدة، فكر الشيخ في أن يخطو خطوة عملية تكون تمهيدا مباشرا للشروع في التحضر لتأسيس هذه الجمعية التي ظلت فكرة لم تجد طريقها لتنفيذ حسب قول البشير الإبراهيمي: "زارني الأخ الأستاذ عبد الحميد بن باديس - وأنا بمدينة سطيف أقوم بعمل علمي - زيارة مستعجلة سنة 1924م، فيما ذكر أخبرني بموجب الزيارة في أول جلسة وهو أنه عقدا العزم على تأسيس جمعية باسم (الإخاء العلمي) ويكون مركزها العام بمدينة قسنطينة العاصمة العلمية... تجمع شمل العلماء والطلبة وتوحد جهودهم، وتقارب بين مناحيهم في التعليم والتفكير وتكون صلة تعارف بينهم ومزيله لأسباب النافر والجفاء.

وفي تلك الجلسة عهد إلى الأخ الأستاذ أن أضع قانونها الأساسي فوضعتها في ليلة وقرأته عليه في صباحها، فاغتبط به أيما اغتباط... ولما وصل إلى قسنطينة وعرض الفكرة على الجماعة الذين تكون منهم المجلس لاحقا، وأيدوا الفكرة وصادقوا على القانون بعد تعديل طفيف، إلا أن حوادث ما عطلت المشروع فأخبرني الأستاذ باديس بذلك فلم أستغرب لعلمي ان استعدادنا لمثل هذه الأعمال لم ينضج بعد...¹.

¹. الهادي الحسني، جمعية الإخاء العلمي، ينظر في:

<http://www.echoroukonline.com/ara/articles/208374.html>، أطلع بتاريخ 10-12-2014، 9

من الأعمال ما يكون الفشل فيه منا لنجاح وهذا هو ما شاهدناه في تأسيس جمعية الإخاء العلمي فقد فشلنا في تأسيسها ظاهري أو فيما يبدو للناس، ولكن المحاولات لم تذهب بلا أثر في المجتمعات العلمية الجزائرية حتى كان من نتائجها بعد اعوام جمعية العلماء المسلمين.

وهكذا بدأت الفكرة تنمو في الأذهان الذين وصلت إليهم، ومن الأمور التي هيأت الجو الفكري لهذه الجمعية هو أن بن باديس بادر بإنشاء الصحف التي تنشر الأفكار الإصلاحية والمبادئ التي تقوم عليها الأفكار حيث دعا ابن باديس في مختلف الصحف إلى اتحاد العلماء وتجمعهم والاتفاق على خطة عمل لإصلاح الأوضاع الدينية والتعليمية والاجتماعية والسياسية، فهو يشير هنا الى ضرورة إنشاء جمعية من العلماء بعد اللقاءات الممهدة التي كانت تتم بينا بن باديس والبشير الإبراهيمي، تارة في سطيف، وأخرى في قسنطينة، التي كانت تنصب على دراسة الوضع في الجزائر والبحث عن السبل الكفيلة بمعالجة هذا الوضع، فكر الشيخ عبد الحميد في أن يخط وخطوة عملية تكون تمهيدا مباشر للشروع في التحضر لتأسيس هذه الجمعية فتوالت الجهود الممهدة لإنشاء هذه الهيئة، ويذكر الشيخ خير الدين في مذكراته أنه في عام 1928 م دعا الشيخ عبد الحميد بن باديس الطلاب العائدين من جامع الزيتونة والمشرق العربي لندوة يدرسون فيها أوضاع الجزائر، وما يمكن عمله لإصلاح هذه الأوضاع، وكان ممن لبي الدعوة من يمكن تسميتهم ب (رواد الإصلاح) أمثال : البشير الإبراهيمي، ومبارك الملي، والعربي بن بلقاسم التبسي، ومحمد السعيد الواهري، ومحمد خير الدين، واجتمعوا برئاسة الشيخ عبد الحميد بمكتبه. وقد سطر في هذا الاجتماع برنامج يهدف إلى النهوض بالجمعية المزمع إنشاؤها، فكأن ابن باديس أراد أن يسبق الأحداث، فحدد محاور النشاط الإصلاحي، الذي تضطلع به الجمعية التي دعا إلى إنشائها. وقد سطر في هذا الاجتماع برنامج يهدف إلى النهوض بالجمعية المزمع إنشاؤها، فكأن ابن باديس أراد أن يسبق

الأحداث، فحدد محاور النشاط الإصلاحي، الذي تضطلع به الجمعية التي دعا إلى إنشائها، وفعلا كان ذلك هو البرنامج الذي اتبعته الجمعية بعد ميلادها . برز خلال الفترة بين عام 1926 م إلى عام 1930 م «نادي الترقى» وأصبح ذا ثقل ثقافي وتأثير جدي فكان ملتقى النخبة المفكرة سواء من كان منهم مقيماً بالعاصمة أو من كان وافداً عليها من الخارج، وكانت تلقى فيه المحاضرات والمسامرات، وتقام فيه الحفلات، وكلما جاء إلى الجزائر إلا وألقى محاضرات واجتمع بالشباب من طلبة العلم والمفكرين، فكان النادي بذرة صالحة للنهضة الجزائرية، فتكونت لجنة تحضيرية انبثقت عنها الجمعية، تولى الشيخ أحمد توفيق المدني الأمانة أما الرئاسة فأسندت لعمر إسماعيل¹ .

2. تأسيس جمعية العلماء المسلمين.

تأسست الجمعية في وقت كانت البلاد تعيش تحت القمع والتعسف كعدم سماح المسلمين الجزائريين بممارسة دينهم بكل حرية وحرمانهم من حقوقهم الأساسية وهذا بعد أشهر قليلة من احتفال فرنسا باحتلالها للجزائر وعن مرور مائة سنة (5 جويلية 1830-5 جويلية 1930)، كان لميلاد هذا التيار الإصلاحي بمثابة صفة موجعة للذين بدا لهم أنهم طمسوا الشخصية الجزائرية بالقضاء على مقوماتها (الدين الإسلامي، اللغة العربية، العادات والتقاليد)²، وكان التأسيس بالعاصمة إثر دعوة وجهت إلى كل علماء الإسلام في الجزائر، أعدت من طرف (الهيئة المؤسسة) مؤلفة من أشخاص حياديين من أعضاء نادي الترقى لا يثير ذكركم حساسية أو شكوكا

¹. عمار طلبي، نادي الترقى وجمعية علماء المسلمين، ينظر في:

www.binbzdiss.net/research-and-studies/aoma/573-aoma.html, consulté le 12

octobre 2014 à 20h36mn

². عيد الرحمان شيبان، جمعية علماء المسلمين، مجلة الشاب المسام، 7 ماي 2013.

لدى الحكومة، ولا عند الطرفين. أعلنوا: أن الجمعية دينية تهذيبية تسعى لخدمة الدين والمجتمع، لا تتدخل في السياسة ولا تشتغل بها. لبي الدعوة وحضر الاجتماع التأسيسي أكثر من سبعين عالما، ومن شتى الاتجاهات الدينية والمذهبية: (مالكيين وإباضيين، مصلحين وطرقيين، موظفين وغير موظفين)، كما حضر الاجتماع طلبة العلم من مختلف جهات الوطن والجدير بالذكر أن ابن باديس لم يحضر الاجتماع التأسيسي للجمعية من الأول، وكان وراء ذلك هدف يوضحه الشيخ خير الدين أحد المؤسسين الذي حضر الجلسات العامة والخاصة لتأسيس الجمعية، يقول : "كنت أنا والشيخ مبارك الملي في مكتب ابن باديس بقسنطينة يوم دعا الشيخ أحد المصلحين (محمد عباسة الأخضرى) وطلب منه القيام بالدعوة إلى تأسيس (جمعية العلماء المسلمين الجزائريين) في العاصمة كما كلفه باختيار ثلة من (جماعة نادي الترقى) الذين لا يثير ذكر أسمائهم شكوك الحكومة، ومخاوف أصحاب الزوايا، وتتولى هذه الجماعة توجيه الدعوة إلى العلماء لتأسيس الجمعية (في نادي الترقى بالعاصمة) حتى يتم الاجتماع في هدوء وسلام، وتتحقق الغاية المرجوة من نجاح التأسيس. ويقول الشيخ خير الدين: "وأسر إلينا ابن باديس أنه سوف لا يلبي دعوة الاجتماع ولا يحضر يومه الأول حتى يقرر المجتمعون استدعائه ثانية بصفة رسمية، لحضور الاجتماع العام، فيكون بذلك مدعوا لا داعيا، وبذلك يتجنب ما سيكون من ردود فعل السلطة الفرنسية وأصحاب الزوايا، ومن يتخرجون من كل عمل يقوم به ابن باديس.

بعد الاجتماع العام الذي انطلق على الساعة الثامنة صادق الجميع بعد التشاور على مشروع القانون الأساسي للجمعية¹، وفي اليوم الموالي - يوم الأربعاء - على الساعة

¹. وضع القانون الأساسي للجمعية يوم تأسيسها يرجع إلى العلامة البشير الإبراهيمي، ينظر في: محمد بن بشير بن عمر الإبراهيمي، أثار الإمام البشير الإبراهيمي، ط 1، الجزء الأول، دار الغرب الإسلامية، 1997، ص74-90.

الثانية بعد الزوال عقد اجتماع بقصد انتخاب الهيئة الإدارية، فاقترحت عليها جماعة فوق الإجماع على اختيارها، وانفضت الجلسة في الساعة الخامسة مساءً. ثم اجتمع المجلس الإداري عند الثامنة من مساء اليوم نفسه وانتخب الشيخ ابن باديس رئيساً للجمعية وتم استدعائه، كونه غائباً حيث لم يحضر معهم في اليوم الأول ولا في اليوم الثاني، وفي اليوم الثالث جاء إلى الاجتماع وألقى كلمة جاء فيها:

"إخواني، إنني قد تخلفت عن جمعكم العظيم اليوم الأول والثاني فحزمت خيراً كثيراً، وتحملت إثماً كبيراً، ولعلكم تعذرونني لما لحقت في اليوم الثالث، وأذكر لحضرتكم ما تعلمونه من قصة أبي خيثمة الأنصاري لما تخلف عن النبي صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك ثم لحقه فقال الناس هذا راكب يرفعها لئلا يبضعه، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: كن أبا خيثمة، فقالوا: هو أبو خيثمة، فاعتذر إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقبل عذره ودعا له بالخير. ومثلكم من كان له في رسول الله صلى الله عليه وسلم القدوة الحسنة." هكذا كان يستلهم أقواله وأفعاله من السنة النبوية ."

الظروف والعوامل التي ساعدت على نشأت وظهور الجمعية

1. الظروف التي نشأت فيها الجمعية

أ. مرور قرن كامل على الاحتلال الفرنسي للجزائر، واحتفال الفرنسيين بذلك، استفزازاً للأمة، وإظهاراً للروح الصليبية الحاكمة التي يضمرونها للإسلام والمسلمين .

ب. التحضير للمؤتمر الإسلامي الذي عُقد في القدس برئاسة الحاج أمين الحسيني، في ديسمبر 1931م، الذي كان هدفه توحيد الصف الإسلامي بعد سقوط الخلافة الإسلامية. في تلك الظروف المفعمة بالتحديات، ظهرت جمعية العلماء للوجود .

2. العوامل التي ساعدت على نشأة الجمعية:

يحدّد الشيخ محمّد البشير الإبراهيميّ هذه العوامل فيحصرها في أربعة: - إن تأسيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين مرهون بتأثير مؤسسيها بحركة النهضة الثقافية والروحية في العالم الإسلامي في القرن الثامن عشر والتي عرفت تطورا خاصة في منتصف القرن التاسع عشر، تزعم هذه الحركة جمال الدين الأفغاني (1839-1897) وهي تقوم على أفكار تدع وإلى التغيير الجذري أو الثوري والانتفاض على الاستعمار الغربي المسلط على الدول الإسلامية كان لحركة جمال الدين تأثير في ظهور حركات النهضة في عدة دول إسلامية وعربية وحتى الانتفاضات التي وقعت في الهند وتركيا ومصر، مما دفع لإنشاء إمارة جديدة، وهي دولة مسلمة كبيرة في النضال ضد الغرب.¹

- الثورة التعلّيميّة التي أحدثها الأستاذ الشّيخ عبد الحميد بن باديس بدروسه الحيّة.
- التطوّر الفكريّ الذي طرأ على عقول النّاس في قبيل الحرب العالميّة الأولى.
- عودة المثقّفين الجزائريين الذين كانوا يعيشون في المشرق العربيّ، ولا سيّما في الحجاز والشّام، وأبرزهم الإبراهيميّ، والعقبيّ. كان عبد الحميد بن باديس الأكثر تأثيرا بعد دراسته في الزيتونة بتونس، بدأ خطبه في عام 1913 في مسجد سيدي الأخضر بقسنطينة، نشر في عام 1925 صحيفة "المنتقد" التي منعتها السلطة الاستعمارية بعد ثلاثة أشهر وتم استبدالها بـ "الشهاب". وبعد عودة الطيب العقبي من منطقة الشرق الأوسط، قام بتأسيس في بسكرة مجلة

¹. Souad Khaldi, *Ijtihad dans la pensée de Mohamed Abduh*, Editions GEDIS, France, 2012, p. 35.

"الإصلاح"، أما البشير الابراهيمي استقر في تلمسان، حيث بدأ الوعظ في عام 1933. وفي الوقت نفسه، أصدر مبارك الملي كتابه عن تاريخ الجزائر.

ونضيف إلى هذه العوامل الأربعة التي ذكرها الشيخ الإبراهيمي، ثلاثة عوامل أخرى؛ قد لا تقل أهمية عن الأربعة؛ وهي:

- اشتداد تأثير الحركات الصوفية بالجزائر، وازدياد نشاطها، وتكاثر طرائقها حتى جاوزت العشر، وحتى اكتسحت جميع المدن والقرى، بل البوادي أيضا، في الجزائر، فأُمتت وصول وتجل، فلم يكن شيء يتداول بين مستتيري الناس غير الفكر الصوفي الذي لا يجاوز سير الشيوخ وكراماتهم؛ وميل أهلا لتصوف، من عوامهم خصوصا، إلى الإغراق في الروحيات، والكلف الشديد بالخوض في أمور الغيب على سبيل إلى قين، والتعلق المثير بمشاهد البركة والمناقب والكرامات .
- اشتداد شراسة الاستعمار الفرنسي، ومبالغته في محاربة اللغة العربية والدين الإسلامي والتمكن للتخلف الذهني والشعبة لدى الناس، وتشجيع ممارسات وطقوس فلكلورية ليست من الدين الصحيح في شيء إلى حدا الهوس
- شيوع الجهل بين عامة الجزائريين حيث كانت نسبة الأمية تتجاوز ثمانين في المائة في أوساط الجزائريين من الذكور، وتسعين في المائة من الإناث.

3. أهداف جمعية العلماء المسلمين الجزائريين:

فقد جاء على لسان رئيسها: (أن الجمعية يجب ألا تكون إلا جمعية هداية وإرشاد، لتزقية الشعب من وهن الجهل والسقوط الأخلاقي، إلى أوج العلم ومكارم الأخلاق، في نطاق دينها الذهبي وبهداية نبيها الأمي، الذي بعث ليتم مكارم الأخلاق، عليه الصلاة والسلام.

ويختصر لنا الشيخ محمد البشير الإبراهيمي مهمة الجمعية بقوله: (إن المهمة التي تقوم جمعية العلماء المسلمين الجزائريين بأدائها، وهي السير بهذه الأمة إلى الحياة عن طريق العلم والدين، هي أقوم الطرق وأمثلها وأوفقها لمزاج الأمة. يمكن ان نلخص الأهداف فيما يلي:

- إصلاح عقيدة الشعب الجزائري، وتثقيتها من الخرافات والبدع، وتطهيرها من مظاهر التخاذل والتواكل التي تغذيها الطرق الصوفية المنحرفة .
- محاربة الجهل بتثقيف العقول، والرجوع بها إلى القرآن والسنة الصحيحة، عن طريق التربية والتعليم .
- المحافظة على الشخصية العربية الإسلامية للشعب الجزائري، بمقاومة سياسة التنصير والفرنسة التي تتبعها سلطات الاحتلال .

الصعوبات والمعوقات التي واجهت الجمعية.

لم تغفل السلطة الفرنسية عن نشاطا لجمعية، وبدأت في التضييق على أعضائها منذ عام 1933، ووضعت كافة أعضائها تحت المراقبة، ومنعت إصدار تصاريح جديدة لمدارس الجمعية .

ولما كانت الإجراءات الفرنسية ضد الجمعية بغرض تحجيم حركة الجمعية حتى يخل والطريق للصوفية، فقد واجهت الجمعية الصوفية في المساجد وبين جموع الناس، فاستيقظت الجزائر على حقيقة الصوفية الخاضعة وتهاونها مع المحتل . وكانت المواجهة الثانية مع المؤتمرات الفرنسية على هوية الجزائر في عام 1936، وذلك من خلال مشروع فرنسي يجعل لجزائر مقاطعة فرنسية، ويتم تمثيلها فبالبرلمان الفرنسي، وظن البعض أن هذا المشروع قد يكون طريقاً للحصول على بعض حقوق الجزائر المهدرة، فشارك مجموعة من الجمعية على رأسهم ابن باديس في مؤتمر جزائري فرنسي في باريس لمناقشة المشروع، وكان حضورهم بشكل شخصي حتى لا يخالفوا قانونا لجمعيات، واستطاع أفراد الجمعية

توجيه القرارات النهائية بما يحفظ للجزائر عروبته، وإسلامه، وذاتيته، وصاغ ابن باديس رده على المشروع في قصيدة مفحمة .

كان نجاح الجمعية في إحباط هذه المؤامرة دافعا للسلطات الفرنسية إلى أن تجد من الوسائل ما يحطم بعضاً من شخصيات الجمعية، فدفعت الطرق الصوفية العملية إلى مهاجمة ابن باديس، حتى إنها أطلقت عليه -أي الصوفية- "ابن إبليس"! كما دبرت سلطات الاحتلال اغتيال مفتي العاصمة ابن مكحول، واتهمت الطيب العقبي بقتله، ولتحاكم الرجل أو تقبض عليه، وتركت الاتهام معلقاً، وذلك حتى تُشَوِّه سمعة الرجل وجمعيته، وهو ما دفع به إلى الاستقالة عام 1938

ومع قيام الحرب العالمية الثانية، طالبت فرنسا كافة الهيئات الجزائرية بتأييد موقف فرنسا، وكان ذلك تمهيداً لإشراك الجزائريين في صفوف القتال الفرنسية، ورفضت الجمعية، وكانت المواجهة هذه المرة مع السلطة الفرنسية مباشرة، فأصدرت السلطات قراراً بإلغاء الجمعية عام 1940 ، وتوفي ابن باديس في نفس العام، وخلفه محمد البشير الإبراهيمي في رئاسة الجمعية، ولكنه اعتقل وعُذِّب في عام 1941، ثم قامت سلطات الاحتلال بنفيه إلى الصحراء، وفي عام 1946 عادت الجمعية إلى النشاط بعد الإفراج عن رئيسها، ولكنها لم تعد كما كانت من قبل، انتهى الأمر بصدور قرار حل الجمعية من السلطات الفرنسية في الجزائر في منتصف عام 1956م، ولم يستطع القائمون عليها الاجتماع وإعادة تنظيم أنفسهم، وخاصة متوجه الجميع للمشاركة في الثورة المسلحة التي اشتعلت منذ عام 1954 م، وكانت ثمرة جميع الجهود في عام 1962م، وهي استقلال الجزائر العربية المسلمة .

4. العمل السياسي لجمعية علماء المسلمين:

لم تكن جمعية العلماء حزبا سياسيا مثل مختلف الأحزاب السياسية التي أنشئت في أوائل القرن العشرين تفهم الجمعية لمهامها وإدراكها لأعمالها ورسالتها النبيلة التي تهدف إلى نشر الأفكار التي تؤثر بعمق في المجتمع خاصة تعليم التاريخ الحديث والراهن للشعوب المسلمة، في وقت كان فيه الشعب محروم من أبسط الحقوق الأساسية، يعيش حياة الاضطهاد والإقصاء والحرمان لذا فمن الطبيعي أن مواقف الجمعية لا تميل إلى العنف، فهي ترفضه تماما، فعملها يتجه نحو الفئة الاجتماعية المحرومة بالدرجة الأولى. كما ان أعضاء الجمعية لم تواكبوا خطاب الكراهية والعنف، ولم تكن الجمعية هيئة تدفع الشعب نحو المواقف المتطرفة كالتعصب وكراهية الأجانب ورفض الأخوة.

المحاضرة الرابعة عشرة: الحزب الشيوعي الجزائري.

1. تأسيس الحزب:

ولم ينل الحزب الشيوعي الجزائري استقلاله عن حزب الأم (الحزب الشيوعي الفرنسي) إلا بعد عقد الحزب الشيوعي الفرنسي مؤتمر فيلوربان (Villeurbanne) سنة 1935م الذي قرر جزائرية الحزب من أجل احتواء مناضلين واطارات جزائرية وكان مولد الحزب الشيوعي الجزائري بانعقاد مؤتمره التأسيسي الأول بين 17-18 أكتوبر 1936م في باب الواد وبالتالي أصبح له كيان وجهاز مستقل ولكن دائما تابع لحزب الاب (الحزب الشيوعي الفرنسي)، ولا يخفى علينا ان هذا الحزب يملك تجربة في الممارسة السياسية التي تقدر ب 16 سنة، حيث أسس خلايا في الجزائر سنة 1920م وأعلن انضمامه إلى الأممية الشيوعية.

2. نشاطه السياسي:

كان نشاطه السياسي على الساحة الوطنية كغيره من المنظمات والأحزاب في الجزائر تارة يبرز وتارة يتراجع، لتحديد موقع الحزب الشيوعي الصحيح من خلال نشاطه في الجزائر هو عمل معقد نوعا ما.

كان موقف اليسار الفرنسي من القضية الجزائرية يعرف المد والجزر بمعنى متردد في مواقفه في الوطنية الجزائرية، فتارة يطالب بالإدماج واصلاح الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية وتارة أخرى يطالب باستقلال الجزائر.

تتبع موقف الحزب الشيوعي الفرنسي في السنوات التي سبقت الثورة الجزائرية من الحركات التحرر في المستعمرات، كما هو الحال حركة التحرر في المغرب أوفي

الهند الصينية، لوجدناه مساندا وداعما لهذه الحركات التحررية⁽¹⁾، وكانت هناك عدة لجان تعمل من خلال هياكل الحزب تنشط في إطار النضال ضد الإمبريالية الاستعمارية، ومن أهمها⁽²⁾:

ولكننا، نجد أن هذا النضال كان يتوقف ويتلاشى إذا كان يتعلق الموضوع بالحركة الوطنية الجزائرية، مما يجعلنا نتساءل: هل مستعمرة الجزائر لا تنطبق عليها مفاهيم النضال ضد الاستعمار والإمبريالية؟، هل أن مصلحة الدولة غلبت على مبادئ الحزب، لاسيما بعد صعوده إلى الحكم؟ أم أن اللوبي الكولونيالي هو صانع القرار؟ وهل أراد الحزب من جعل قضية الجزائر ورقة سياسية يوظفها عند الضرورة؟

على العموم، من خلال تتبع تطور موقف الحزب الشيوعي من قضية الجزائر نجده أنه مرتبط بمتطلبات الدور السياسي للحزب على الساحة الفرنسية، فهو كان بين الإيجاب والسلب. ويتضح ذلك جليا في موقف قيادة الحزب، والخطاب السياسي للحزب من القضية الجزائرية. ففي بداية الثلاثينات من القرن العشرين، نجد أن الأمين العام للحزب موريس تورز (M. Thorez)، أشار أمام مجلس النواب الفرنسي إلى أحقية الشعب الجزائري بنيل الاستقلال، حين قال: "من حق الشعب الجزائري في الحرية والاستقلال والتخلص من قبضة الاستعمار"⁽³⁾، ولكن حينما وصل إلى سار إلى الحكم عام 1936، تراجع موريس تورز عن موقفه، حينما صرح خلال زيارته للجزائر سنة 1938، قائلا: "من مصلحة الجزائر أن تبقى مرتبطة

¹. Sylvain Patti eu, Op.cit., p. 26-27.

². Richard Laurent Omgba, la littérature anticolonialiste française de 1914- 1960, éditions l'Harmattan, paris, 2004, p.113.

³. Sylvain Patti eu, Op.cit., p.27.

بفرنسا⁽¹⁾. ولم يختلف موقف احد قادة إلى ساري وهو ليون بلوم (Léon Blum)⁽²⁾ حينما كان على رأس الحكومة الفرنسية عما أشار إليه توراز، إذ قال في احدى خطبه أمام البرلمان الفرنسي: "إن الدول المتقدمة لها الحق على الدول الضعيفة كما عليها واجبات"⁽³⁾. ولكن أي واجبات تلك التي يتكلم عنها، بعدما تم تشريد المجتمعات المستعمرة ونهب خيراتها. وتتجلى براغماتية موقف قادة الحزب الشيوعي من جديد، عندما صرح توراز في عام 1941، حينما كان لاجئاً في الاتحاد السوفياتي، قائلاً: "من حق الأقليات الوطنية والشعوب المستعمرة في الاستقلال وتسيير شؤونها بنفسها"⁽⁴⁾.

ولكن مع انتهاء الحرب العالمية الثانية انقلب الحزب الشيوعي على موقفه المؤيد لاستقلال المستعمرات، ففي أحداث 8 ماي 1945 التي شهدتها الجزائر⁽⁵⁾، والتي ذهب ضحيتها أكثر من 45000 شهيد. ادان الحزب الشيوعي خروج

¹. Sylvain Patti eu, Op.cit., p.27.

². رجل دولة وكاتب فرنسي، كان أول اشتراكي فرنسي يتولى رئاسة وزراء فرنسا. وُلد لعائلة يهودية تجارية ثرية في باريس، ودرس القانون في جامعة السوربون. وقد تأثر بقضية دريفوس واشترك عام 1896 في الحملة من أجل إطلاق سراحه. وكانت هذه القضية من العوامل التي دفعته إلى العمل السياسي حيث انضم عام 1898 إلى الحزب الاشتراكي وساهم في جريدته لومانيتي ككاتب وناقد أدبي. وقد أصبح بلوم بعد الحرب العالمية الأولى من الزعماء البارزين للحزب. وعمل بلوم على إعادة بناء الحزب بعد انشقاق العناصر الشيوعية عنه في عام 1920، ويُعتبر بذلك أحد المؤسسين الرئيسيين للحزب الاشتراكي الفرنسي الحديث. ونجح عام 1936 في أن يصبح رئيساً لوزراء فرنسا بعد أن نجحت جبهة واسعة من الأحزاب إلى سارية في الانتخابات. ويُعتبر بلوم من أبرز الشخصيات في الحركة العمالية الفرنسية ومن مؤسسي الدولية الاشتراكية خلال الفترة بين الحربين العالميتين. ينظر: www.Ar.wikipedia.org/wiki.

³. Philippe Karim Felissi, Jacques Vergés l'anticolonialiste, entretiens avec Philippe Karim Felissi, chihab éditions, Alger, 2005, p.25.

⁴. René Dany, op. Cit.p.52.

⁵. خرج الشعب الجزائري يطالب مثل بقية شعوب المستعمرات بحقه المشروع وفق ما نص عليه الميثاق الأطلنطي وهو حق الشعوب في تقرير مصيرها. للمزيد من المعلومات حول الموضوع ينظر:

Roger Vétillard, Sétif, mai 1945 : massacres en Algérie, éditions de paris, 2008.

الجزائريين في مظاهرات تطالب بالحرية والاستقلال، كما أكدت اللجنة المركزية للحزب على ضرورة متابعة ومعاينة منظمي ومسببي الاحداث. بينما نشرت صحيفة لومانيتي، الناطقة باسم الحزب الشيوعي، في افتتاحيتها بقلم ليون فيكس (Léon Feix) تعليقا على الأحداث، ما يلي: "من المهم جدا أن الأدوات الإجرامية للاستيطان الكبير هو حزب الشعب الجزائري وقيادته الممثلة بمصالي الحاج والجواسيس (اتهامها قادة حزب الشعب بالوقوف وراء الانتفاضة)، هؤلاء الذين لم يفتحوا أفواههم ويحركوا ساكنا أثناء التواجد النازي، أما اليوم، يطالبون بالاستقلال، والمطلوب هو معاينة منظمي هذه الاضطرابات"⁽¹⁾.

وكان موقف الحزب الشيوعي أكثر وضوحا في المقال الذي نشره أحد قادته، وهو ليون فيكس في مجلة دفاتر الشيوعية (Cahiers du Communisme) ⁽²⁾ عام 1947 حينما عبر عن تمسكه بفكرة بقاء الجزائر فرنسية ومعارضته المطلقة لاستقلال الجزائر، إذ كتب يقول: «إن استقلال الجزائر ليس مرغوب فيه ولا محتم ويقدم كحل خاطئ، وهو طرح مرفوض من طرف الشيوعيين: إن أطروحة استقلال العاجل للجزائر التي يتبناها حزب الشعب الجزائري تؤدي إلى أسوأ انتكاسات. كما أن الشيوعيين لا يساندون مطالب الحركة الوطنية الجزائرية في الوقت الحالي لان هذه المطالب لا تخدم الجزائر ولا فرنسا معا"⁽³⁾.

¹. Laurent Theis et Philippe Ratte, la guerre d'Algérie ou le temps des méprises, maison Mame, Tours, premier trimestre 1974, p. 66

². مجلة شهرية تصدرها اللجنة المركزية للحزب الشيوعي الفرنسي، بدأت في الصدور سنة 1923 وتوقفت عن الصدور سنة 2000.

³. Jean-Pierre Vernant, le PCF et la question Algérienne (1959), voies nouvelles, n°9, 1959, p.7.

المحاضرة الخامسة عشرة: مشروع بلوم فيوليت.

1. ظروف نشأة مشروع بلوم فيوليت:

- إعادة احياء المبادرة الإصلاحية لموريس فيوليت للوجود ثانية في عهد الجبهة الشعبية في أكتوبر 1936م بعد ان طرحها على البرلمان الفرنسي سنة 1935 م والمتمثلة في مجموعة من الاصلاحات اهمها منح المواطنة للنخبة الجزائرية دون التخلي على الاحوال الشخصية ليدافع عن هذا الطرح ويبين ان معاناة الشعب الجزائري ليس بسبب الازمة الاقتصادية وانما كذلك ازمة نفسية بسبب النظام الذي يقتل المجتمع الاهلي شيئا فشيء¹.
- تنامي نشاط الحركة الوطنية رغم الضغوط، حيث استمر حزب نجم شمال افريقيا في نشاطه السياسي ورفع مجموعة من لمطالب خاصة بعد عود مصالي الحاج من جنيف سنة 1936 م منها تكوين برلمان جزائري
- رفع المؤتمر الاسلامي مجموعة من المطالب في ميثاق حيث عرضه لجنة المؤتمر في شكل ميثاق وهو ما جعل الحكومة الفرنسية ان تقدم مشروع قانون خاص لطرحه على البرلمان.

محتوى المشروع:

وقد تضمن ثمانية فصول **الفصل الأول** - يتاح للأهالي الجزائريين الفرنسيين بالعمالات الثلاث بالقطر الجزائري، الذين تتوفر فيهم الشروط المبينة بالفقرات الآتية التمتع بالحقوق السياسية التي الخاصة بالفرنسيين بدون أن ينتج عن ذلك

¹ Julien Fromage : L'Algérie vivra-t-elle ? Ou projet Blum Violette au temps du front populaire, mémoire de fin d'étude, université Lyon 3, juin 2003, p17.

أي تغيير في حالتهم الشخصية أوفي حقوقهم المدنية وهذا بصورة نهائية ما عدى تطبيق التشريع الفرنسي الخاص بزوال الحقوق السياسية.

أولا _ الأهالي الجزائريون الفرنسيون الذين بارحوا الجيش برتبة ضابط.

ثانيا _ الأهالي الجزائريون الفرنسيون من صغار الضباط الذين بارحوا الجيش برتبة "باش شارش" أو برتبة فوقها بعد أن خدموا العسكرية مدة خمسة عشر عام وبعد أن خرجوا منها بأيديهم شهادة حسن سيرة.

ثالثا _ الأهالي الجزائريون الفرنسيون الذين قضوا خدمتهم العسكرية وحصلوا جميعا على الوسام العسكري وعلي صليب الحرب.

رابعا _ الأهالي الجزائريون الفرنسيون الذين بأيديهم إحدى الشهادات العليا الآتية.

شهادة التعليم العالي وبكالوريا التعليم الثانوي وشهادة (البروفي) العليا و(البروفي) الثانوية وشهادة الدروس الثانوية وشهادة المدارس وشهادة الخروج من مدرسة وطنية للتعليم الصناعي أو الفلاحي أو التجاري وكذلك الموظفون الذين وقع انتخابهم في وظائفهم بمناظرة.

خامسا _ الأهالي الجزائريون الفرنسيون المنتخبون بالحجرات التجارية والفلاحية أو المعينون من طرف مجلس إدارة جهة اقتصادية ومن طرف الحجرات الفلاحية بالقطر الجزائري على الشروط المبينة في الفصل الثاني.

سادسا _ الأهالي الجزائريون الفرنسيون الأعضاء بالمجلس المالي وبالمجالس العامة والمستشارون البلديون المباشرون لمهمتهم ورؤساء الجماعات الذين باشرُوا وظيفتهم خلال مدة المهمة.

سابعا _ الأهالي الجزائريون الفرنسيون الباشاآغاوات والآغاوات والقياد الذين باشرُوا وظيفتهم مدة لا تقل عن الأربعة أعوام.

ثامنا _ الأهالي الجزائريون الفرنسيون المحرزون على الصنف الثاني من وسام اللجيون دونور Légion d'honneur الذين أحرزوا على أصناف ذلك الوسام بالطريقة العسكرية.

تاسعا _ العملة الذين أحرزوا على وسام الشغل وكتبه نقابات العملة المعينون بصورة نظامية بعد مباشرة وظائفهم مدة عشرة أعوام.

الفصل الثاني _ إن مجلس إدارة الجهة الاقتصادية بالقطر الجزائري سيعين بأحدي دوراته التي ستعقب تطبيق هذا القانون 200 تاجر أو صانع أو عامل من كل عمالة جزائرية وعندما تعطي لهم الحقوق السياسية الممنوحة بالفصل الأول من هذا القانون بقرار من الوالي العام¹ وستعين الحجرات الفلاحية بالقطر الجزائري كل واحد علي نفس الشروط لنفس، الغاية 200 فلاح بالدورة الأولى من كل سنة من السنوات التي ستعقب هذا القانون

وإن مجلس إدارة الجبهة الاقتصادية بالقطر الجزائري سيعيش على نفس الشروط أنفا 50 تاجرا أو عاملا من كل عماله وأن الحجرات الفلاحية الثلاث ستعين كل واحدة على نفس الشروط ولنفس الغاية خمسين فلاحا.

الفصل الثالث - أن الأحكام المنصوص عنها بقانون 2 فيفري 1852 الفصلية 15 و 16 وكذلك كل عزل وقع إزاء أصحاب الوظائف المنصوص عنها بالفصل الأول بالعدد 6 و 7 وكذلك تشطيب الاسم من جرائد اللجيون دونور Légion d'honneur والوسام العسكري تقضي بكامل الحق تشطب من الجرائد الانتخابية.

^{1. 1.} مؤلف مجهول: آثار الإمام عبد الحميد بن باديس رئيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين (متفرقات)، ج6، سحب للطباعة الشعبية للجيش، الجزائر، 2007م، ص 177

الفصل الرابع - يمكن لكل أهلي جزائري فرنسي متمتع بنصوص هذا القانون أن يسحب منه التمتع بنصوص هذا القانون أن يسحب منه التمتع بالنصوص المذكورة آنفا بتطبيق ما تضمنه الفصل والفقرة من قانون 10 أوت 1927.

الفصل الخامس - ليس لما تضمنه هذا القانون أي مفعول فيما مضى ولا ينطبق إلا على الأهالي الجزائريين الفرنسيين الذين تتوفر فيهم الآن أو ستتوفر فيهم في المستقبل الشروط المبينة.

الفصل السادس - ستحقق نيابة الجزائر بمجلس الأمة على حساب نائب بالنسبة لـ 70000 ناخب مرسومة أسمائهم أو قسم لـ 20000. وكلف وزير الداخلية بتنفيذ هذا القانون¹.

ما هي وجهة نظر كل من النخبة وقادة المسلمين وفرنسي الجزائر وفرنسي فرنسا من الاندماج. كيف يرون الوضع في البلاد ومستقبلها؟

2. المواقف المختلفة من المشروع:

موقف الحركة الوطنية: تعددت الآراء والمواقف بين مؤيد ومعارض ومحافظ.

- **موقف النخبة:** لقد مثل الطرف المؤيد لجماعة النخبة، حيث وجد المشروع قبولاً ودعماً في ارتباط الطبقة المثقفة، إذ رحبت بالمشروع واعتبرته خلاصها وخلاص الجزائريين من حالة الاهلية.

- **موقف الحزب الشيوعي الجزائري:** هو الآخر ايد هذا المشروع باعتباره يدخل اصلاحات على الشعب الجزائري ويعتبره أول خطوة لتحرير الجزائر وكذا أول خطوة للتقارب والتأخي بين المسلمين والأوروبيين.

¹. مؤلف مجهول، المصدر نفسه، ص 178..

- موقف جمعية العلماء المسلمين

. تمثلت في إصلاحات سياسية واقتصادية واجتماعية حيث تضمنت النقاط الأولى منه منح فئات من الأهالي حق المواطنة الفرنسية، وخص منهم بالذات الفئات التالية •: التي اشتغلت بالفرنسي ويتعلق الأمر-1 : الأهالي الذين أنهوا الخدمة العسكرية برتبة ضابط- 2 .الأهالي الذين غادروا الجيش، برتبة رقيب أول أو رتبة أعلى منها بشرط ان يكونوا خدموا في الجيش مدة 15 سنة ونالوا شهادة حسن السلوك-3 .الأهالي الحائزون على ميدالية عسكرية أو صليب الحرب - 4 (de Croix(Guerre) أصحاب رتبة جوقة الشرف أو الذين عملوا على لنيل مرتبة من رتبها بشرط أن يكون نيلها أثناء اداء العسكرية • .بينما خص بهذا المشروع فئة ثانية من الأهالي، وهي الفئة الحائزة على إحدى الشهادات الآتية: 1) بمنح الحقوق السياسية لفئة من الجزائريين". مشروع بلوم فيوليت، يهدف إلى منح الجنسية الفرنسية لفئة محددة من المسلمين الجزائريين وهي النخبة أي من له مستوى تعليمي إلا أن المشروع لم يعرض للتصويت عليه أمام البرلمان ولكن عرف مناقشات ساخنة.

المحاضرة السادسة عشرة: المؤتمر الإسلامي.

انتصر اليسار في فرنسا، وتشكلت حكومة الجبهة الشعبية برئاسة "ليون بلوم"¹، وعليه، تطلع الكثير من الجزائريين وعلقت آمالا على إصلاح أوضاعهم الاجتماعية والثقافية والاقتصادية، خاصة بعد ان طرحت حكومة اليسار الفرنسي مشروع "بلوم فيوليت"، ولذا فالمؤتمر الإسلامي جاء من أجل مناقشة هذه الاقتراحات التي طرحها المشروع السابق، والخروج بمطالب موحدة للشعب الجزائري، خاصة قضية التعليم والشغل والتمثيل النيابي وحرية الصحافة وممارسة الشعائر الدينية وإلغاء القوانين الاستثنائية وغيرها من الحقوق التي كان يصبوا إليها الشعب الجزائري، الذي عانى أكثر من قرن من السياسة الفرنسية التي سلّطت عليه في جميع الميادين والمجالات، من تقتيل وتجهيل وتهجير وتغريب وفرنسة وتجويع، وطمس لهويته و معالم شخصيته.

وتتلخّص مطالب "المؤتمر الإسلامي" في المساواة بين الفرنسيين والجزائريين في الحقوق والواجبات، وفي جميع الميادين والمجالات، ومن أهم القرارات التي خرج بها المؤتمر ما يلي:

- المطالبة بأن يكون الانتخاب في صندوق مشترك واحد بين الجزائريين والفرنسيين.
- إلغاء قوانين "الأنديجينا" (الأهالي) بصفة نهائية.
- الاعتراف باللغة العربية لغة رسمية للقطر الجزائري.
- محافظة الجزائريين من الفئة الأولى الذين يدخلون الانتخابات على حالتهم الشخصية الإسلامية، وأن لا يعتبروا مجنسين.

¹ Abderrahmane Kiouane, moments du mouvement national, édition Dahlab, Alger, p43.

- Bennoune, Op.cit, p 79.

- تمثيل الجزائريين في البرلمان الفرنسي.

- إصدار عفو عن المعتقلين السياسيين.

انطلقت الاجتماعات التمهيدية للمؤتمر «بنادي الترقى» في 17 ماي 1936م، وترأس الاجتماع «الأمين العمودي»، وبحضور «ابن جلول» والشيخ «ابن باديس»¹، ثم جاء اجتماع 06 جوان 1936م بنفس النادي، جمع أنصار المؤتمر من شبان العمال الثلاث²، وغزت الجزائر العاصمة في 07 جوان 1936م وفود من مختلف جهات الوطن والتقت بقاعة «الماجستيك» (الأطلس حاليا)، قدر عددها من ستة إلى سبعة آلاف شخص، وامتألت القاعة عن آخرها والباقي في الطرقات ولأنهج³، وقد انعقد المؤتمر برئاسة الدكتور «ابن جلول» بالتوافق الجماعي، وتألف مكتب المؤتمر من:

- مثل العاصمة الدكتور «عبد الوهاب» و«تامزالي»، وهما نائبان ماليان، بالإضافة إلى «محمد الطاهر الطيار» و«العبدى عبد الرحمان بوكردان»، وهما نائبان بلديان.

- أما قسنطينة فقد مثلها «عبد الرحمان بن خلاف» والدكتور «سعدان» و«فرحات عباس».

- وهران مثلها «محمد بن سلمان» (النائب البلدي بتلمسان، ونائب رئيس جمعية النواب بوهران)، بالإضافة إلى «د. الجيلالي بن التوهامي» و«محمد لولات» وهما النائبان البلديان.

أما جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، فمثلها الشيخ «عبد الحميد ابن باديس» والشيخ «البشير الابراهيمي» و«الطيب العقبي»، وتم الاتفاق على تمثيل كل عمالة

¹قداش، تاريخ الحركة الوطنية، ج1، ص 601.

²محمد الميلي، المؤتمر الإسلامي الجزائري، دار هومه، الجزائر، 2007م، ص 441.

³فرحات عباس، ليل الاستعمار، ص 153.

بعضو) "ابن التوهامي" عن وهران، "عبد الوهاب" عن الجزائر، "فرحات عباس" عن قسنطينة¹، وخطب هؤلاء الثلاثة في الجماهير، بالإضافة إلى "سعدان" و"ابن باديس"، الذي ذكر بأهمية المؤتمر، وركّز على الدين الإسلامي واللغة العربية.

أما النواب والشبان فتطرقوا إلى الارتباط بفرنسا، وقد ختم المؤتمر جلساته بالموافقة الجماعية على قراراته، وتم تأسيس لجنة تنفيذية للقيام بهذه الأعمال، وفي المساء اجتمع النواب ورؤساء اللجان "بناي الترقّي"، وأسسوا لجنة مؤقتة تتكون من تسعة أعضاء (ثلاثة من النواب، وأمثالهم من جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، ومن الشبان²)، وضمت "ابن جلّول" و"المحامي طالب"، "بن عبد السلام"، "محمد خير الدين" و"ابن الحاج بوشامة" و"عبد الله"، كما تقرّر تشكيل لجان المؤتمر في المدن الكبرى بالعمالات الثلاث، وهذه اللجان من أجل دعم المؤتمر.

ثم جاء اجتماع 05 جويلية 1936م "بناي الترقّي" وحضره النواب المندوبون من أجل تشكيل لجنة تنفيذية، وسلّمت الملفات إلى "ابن الحاج"، "الأمين العمودي" و"أوزقان"، لأنهم يقيمون بالعاصمة، على أن يسلموا هذه الملفات إلى اللجنة التنفيذية³.

وبعد الانتهاء من أشغال المؤتمر تم تعيين وفد المؤتمر للسفر إلى فرنسا عن طريق البحر، وضم الشخصيات التالية:

أ- عن الجزائر العاصمة: "الشيخ العقبي"، "حمزة فرشوخ"، "البشير بن الحاج".

ب- عن وهران: "الشيخ الإبراهيمي"، "باشطارزي"، "بوشامة"، "قاضي طالب".

¹ قداش، جزائر الجزائريين، ص 315.

² عبد النور خيثر، الدور السياسي لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين، مجلة الحوليات، مخبر التاريخ والجغرافيا، المدرسة العليا للأساتذة، بوزريعة، الجزائر، ص 72.

³ الميلي، المؤتمر الإسلامي، ص 447.

ج- عن قسنطينة: "الشيخ ابن باديس"، "ابن جلول"، "فرحات عباس".

د- عن الجنوب: "الدكتور سعدان"، "الأمين العمودي".

حضرت جموع كثيرة لتوديع الوفد، وألقى خلالها "الشيخ محمد العيد آل خليفة" قصيدة، وسافر الوفد في 18 جويلية 1936م، وهو يتكون من 18 عضوا، وبعد وصوله إلى فرنسا، انطلق في مشاورات مع المسؤولين الفرنسيين، فقابل "موريس فيوليت" و"ريجيس" (نائبا عنه)، ثم كاتب وزير الداخلية "أوبو".

وتوالت الزيارات إلى الوزير "فيوليت" ورئيس الوزراء "بلوم"، كما تمت مقابلة "مصالي الحاج" (رئيس نجم شمال إفريقيا¹)، و"الشيخ عبد الحميد ابن باديس" ورفاقه، وخرج الاجتماع بدون اتفاق، وحاولوا إقناعه بأن المؤتمر لا يعني الإدماج، فهو تجمع لقوى الشعب الجزائري من أجل خوض المعركة، ولم يستقبل الوفد من قبل وزير الداخلية الفرنسي، بسبب غيابه و ناب عنه مدير مكتبه، الذي صرّح بأنه لا يعارض مطالب الوفد، لكنه سوف يعارضهم إن عرضت على البرلمان، وتمسك الوفد بالحفاظ على مبدأ الشريعة الإسلامية، كما وقف النواب الاشتراكيون مع المطالب وعارضها الجناح "الرايكالي"، وفي الأخير عاد الوفد بخفي حنين، فارغ إلى دين من فرنسا.

استقبله الجزائريون استقبال الأبطال في المرسى بالجزائر العاصمة، وتوجه إلى "نادي الترقى" وسط الحشود وال جماهير، وبشرفه النادي ألقى كل من "ابن جلول" و"العقبي" كلمتيهما، فالأول تكلم بالفرنسية، أما الثاني فبالعربية، وهما شخصيتان من

¹ محمد قنانش، المسيرة الوطنية أحداث 08 ماي 1945م، منشورات دحلب، ص25.

- شارك في المؤتمر الإسلامي فروع عن النجم، مثل "قرع تلمسان" و"قرع مستغانم"، كما أرسلت برقية من فرنسا عن الشمال الإفريقي، تضمنت تحية أخوية للمؤتمر الإسلامي، تأييد أو مصادقة على المطالب المفيدة لتحسين حالة الشعب، للمزيد انظر مرزوق، قنانش، ص 100.

تيارين مختلفين، استطاع المؤتمر ان يجمعهما، وتلخصت كلمة "العقبي" في الشرح للجماهير عن تحركات ونشاطات الوفد بفرنسا، بعدها عقد اجتماع عام بالملعب البلدي ببلكور(ملعب 20 أوت حاليا ببلوزداد الجزائر العاصمة) في 02 أوت 1936م، بحضور الجماهير التي جندتها الصحف والجرائد في دعوتها، واكتظّ الملعب البلدي عن آخره، وحضر الوفد من العلماء والشيوعيين والنواب، كما حضر "النجم" ممثلا بـ "مصالي الحاج" الذي خصص له مكان بين الوفد، وخطب في الجماهير "عمر أوزقان"، "بوكردانة"، "ابن باديس «»الإبراهيمي"، وتكلم هذان الأخيران بالعربية والباقي بالفرنسية، وكانت التظاهرة قد انطلقت على الساعة السابعة والنصف صباحا وانتهت على الساعة الحادية عشر والرّبع صباحا.

واستغل "مصالي الحاج" الفرصة وخطب في الجماهير، حيث أيد بعض مطالب المؤتمر خاصة المساواة¹ بين الفرنسيين والجزائريين، إلا أنه رفض ضمّ وإلحاق الجزائر بفرنسا، ودامت خطبته أكثر من 20 دقيقة، تكلم بالعربية في البداية ثم بالفرنسية.

رغم أن المؤتمر لم يحقق مطالبه إلا أنّه استطاع أن يجمع مختلف تيارات الحركة الوطنية الجزائرية، وهو أكثر ما تخافه فرنسا "وحدة الجزائريين"، ورغم أن دعاة الاستقلال الممثلين بالنجم ورئيسه "مصالي الحاج" لم يكن طرفا في هذا التجمع، إلا أنه أشرك فيه، من خلال محاورته ومناقشته وحضوره في الاجتماع بالملعب البلدي، فهذا الحوار والمناقشة هي أشياء إيجابية من أجل تبادل الآراء والأفكار وتقريب وجهات النظر، للخروج بأرضية مشتركة، لأنه من الصعب أن تجمع كل تيارات

¹ مريوش، العقبي، ص 142.

الحركة الوطنية الجزائرية سنة 1936م، وهم من إيديولوجيات متناقضة تماما، ول
ولم يحسب أي حسنة لهذا المؤتمر لكان ما أشرنا إلى ه سابقا من الحسنات.

وبعده انهار الحلف المؤقت بين الإدماجين والشيوعيين ودعاة الإصلاح، وظهرت
فرنسا على حقيقتها سواء حكمها اليمين أو اليسار، وما طرحته من مشاريع إصلاحية
هي مبادرات فارغة لكسب الوقت وتفتيت لحمة الجزائريين، وقد انتقد الأستاذ "مالك
ابن نبي"¹ مشاركة الجمعية في هذا المؤتمر، لكن الأستاذ "احمد توفيق المدني"² برر
المشاركة من أجل المحافظة على الشخصية الإسلامية للشعب الجزائري، ولتضييف
مطالبها لبرنامج المؤتمر. ومنه، فهذا الأخير هو حلقة من حلقات الكفاح والنضال،
التي خاضها الشعب الجزائري ضد الاستعمار الفرنسي، ولبنة من لبنات الوحدة، التي
جمعت مختلف أقطاب الحركة الوطنية الجزائرية، وهو الذي حرك الساحة السياسية
سنة 1936م.

¹ ابن نبي، المذكرات، ص 280.

² المدني، هذه الجزائر، ص 170.

خاتمة:

من خلال برنامج محاضرات تاريخ الجزائر المعاصر يتمكن الطلب من الالمام بالإطار العام لتاريخ الجزائر من بداية الاحتلال الفرنسي إلى غاية 1954. جملة من المواضيع التي تسلط الضوء على مختلف المراحل بداية من الوضع العام للجزائر قبيل الاحتلال الذي يبين لنا الأسباب الحقيقية للضعف السياسي والعسكري والاقتصادي الذي مهد الطريق امام فرنسا لاحتلال الجزائر. كما يبين للطالب حب الجزائريين لا رضهم بالوقوف امام الجيوش الفرنسية والدفاع عنها وتحدي الاستعمار بإمكانيات بسيطة ودون خبرة عسكرية تذكر فصنع الشعب الجزائري بزعاماته بطولات خالدة خلال فترة المقاومة العسكرية المسلحة في شتى مناطق الجزائر. ثورات شعبية أخرجت إلى نور زعماء على غرار الأمير عبد القادر الذي أسس جيش عصري في إطار الدولة الجزائرية الحديثة.

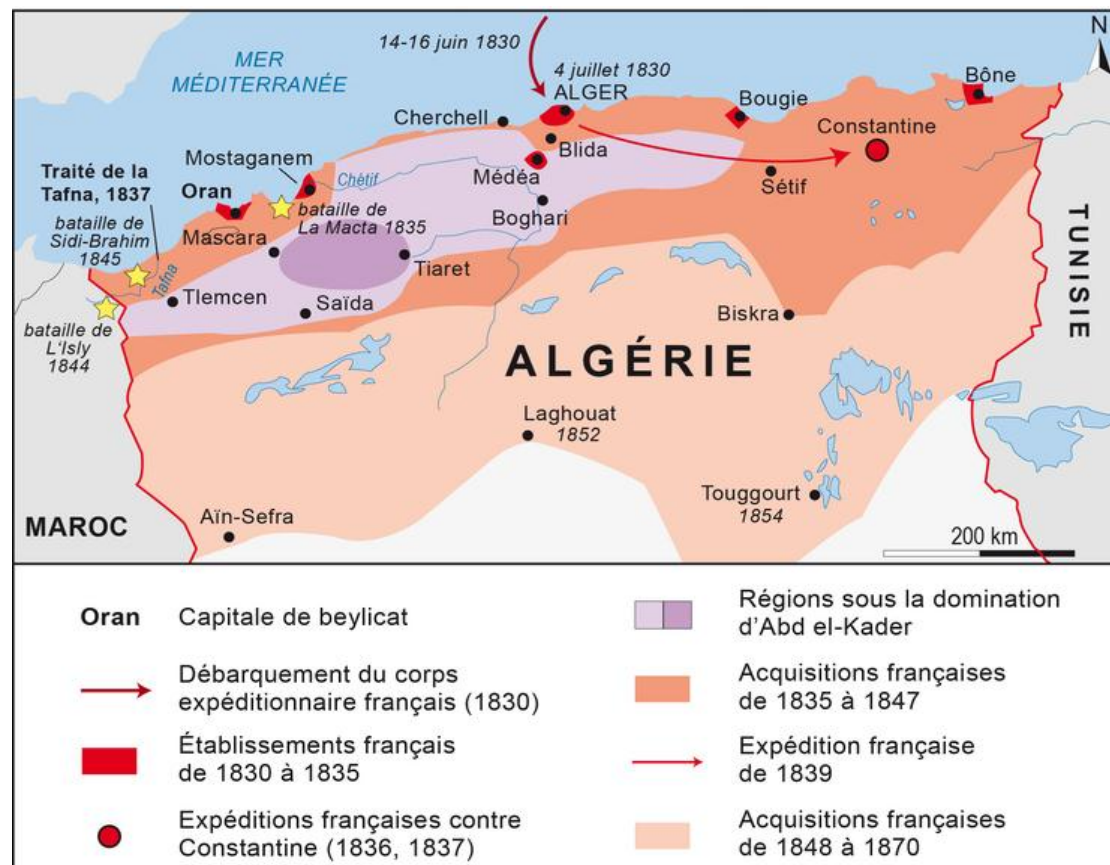
كما يطلع الطالب على السياسة الاستعمارية الفرنسية في مطلع القرن العشرين وما واكبها من نشاطات سياسية أدخلت في إطار المقاومة السياسية بمختلف التيارات التي تجسدت في أحزاب وجمعيات مما استوجب دراسة مطالبها بين 1926 و 1939 وأهدافها على غرار نجم شمال إفريقيا ثم حزب الشعب الجزائري وجمعية العلماء المسلمين الجزائريين التي كان لها دور إصلاحي بأبعاد سياسية وطنية التي تجسدت عن طريق اصلاح الدين والاهتمام بالتعليم وتكوين إطارات وطنية كان لها شان عظيم في التحضير للثورة التحريرية والمشاركة في الكفاح المسلح مع مطلع سنة 1954.

سنة عشرة محاضرة استعرضت اهم الاحداث التي عرفت الجزائر منذ بداية الاحتلال إلى غاية عشية اندلاع الحرب العالمية الثانية سنة 1939 التي عرفت قمع للحريات وتجميد النشاط السياسي ومن الجزائريين من الاستفادة من الحدث العالمي، إلا ان

حاجة الحلفاء إلى الدعم البشري جعل فرنسا تلجأ إلى تجنيد الجزائريين وفق قانون التجنيد الإجباري لعام 1912 وإغرائهم بوعود الحرية والاستقلال لتجنيد أكبر عدد منهم وهذا ما اغتتمته الحركة الوطنية لطرح مطالبها من خلال بيان الشعب الجزائري لعام 1943.

الملاحق

أصبحت دولة الأمير سنة 1839 إلى 1841م ذات امتداد كبير (إيالة الجزائر بالتقريب) والخريطة التالية تعكس ذلك:



قائمة المصادر والمراجع

أولاً: باللغة العربية

1- المصادر:

- أفندي الجزائري أحمد، كيف دخل الفرنسيون الجزائر، دار الكتاب الجديد، 1962م.

- الإبراهيمي محمد البشير، في قلب المعركة، ط01، دار الأمة، الجزائر، 1997م.

- آل خليفة محمد العيد، ديوان محمد العيد، مطبعة البعث، قسنطينة، الجزائر، 1967م.

- بن العقون عبد الرحمان إبراهيم، الكفاح القومي والسياسي من خلال مذكرات معاصر 1920م - 1936م، ج01، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984م.

- بن العقون عبد الرحمان إبراهيم، الكفاح القومي والسياسي من خلال مذكرات معاصر 1920م - 1936م، ج02، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984م.

- تشرشل شارل هنري، حياة الأمير عبد القادر، ترجمة أب والقاسم سعد الله، ط01، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2015م.

- سجل صالح باي للأوقاف 1771م - 1792م تقديم وتحقيق فاطمة الزهراء قشي، دار بهاء الدين للنشر والتوزيع، الجزائر، 2009م.

- شلوصر فندلين، قسنطينة أيام أحمد باي، ترجمة أب والعيد دودو، الجزائر عاصمة الثقافة، 2007م.

- عباس فرحات، الفكر السياسي الجزائري 1830م - 1962م ليل الاستعمار، ترجمة أب وبكر رحال، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الرغبة، الجزائر، 2006م.

- قنانش محمد وقداش محفوظ، نجم الشمال الافريقي 1926م - 1937م، ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون، الجزائر.

- قنانش محمد، أحداث الثامن ماي 1945م، منشورات دحلب، حسين داي، الجزائر، 1991م.

- المدني أحمد توفيق، كتاب الجزائر، دار البصائر للنشر والتوزيع، حسين داي، الجزائر، 2009م.

- المدني أحمد توفيق، هذه الجزائر، دار البصائر للنشر والتوزيع، حسين داي، الجزائر، 2009م.

- المدني أحمد توفيق، حياة كفاح، ج01، دار البصائر للنشر والتوزيع، حسين داي، الجزائر، 2009م.

2- المراجع:

- أجرون شارل روبير، تاريخ الجزائر المعاصر من انتفاضة 1871م إلى اندلاع حرب التحرير، ط01، دار الأمة، برج الكيفان، الجزائر، 2008م.

- بو صفصاف عبد الكريم، جمعية العلماء المسلمين وعلاقتها بالحركات الجزائرية الأخرى 1931م - 1945م، ط01، دار البعث، قسنطينة، الجزائر، 1982م.

- بوحوش عمار، التاريخ السياسي للجزائر من البداية ولغاية 1962م، ط02، دار الغرب الإسلامي، لبنان، 2005م.
- بوعزيز يحيى، السياسة الاستعمارية من خلال مطبوعات حزب الشعب الجزائري 1930م - 1954م، ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون، الجزائر.
- بوعزيز يحيى، ثورات الجزائر في القرن 19 والقرن 20، ج02، منشورات المتحف الوطني للمجاهد، المؤسسة الوطنية للاتصال والنشر، الرويبة، الجزائر، 1996م.
- بوشامة كمال، الجزائر أرض عقيدة وثقافة، ترجمة محمد المعراجي، دار هومه، الجزائر، 2007م.
- بوضرساية بوعزة، سياسة فرنسا البربرية في الجزائر 1830م - 1954م وانعكاساتها على المغرب العربي، دار الحكمة، الجزائر، 2010م.
- برفيلي غي، النخبة الجزائرية الفرانكفونية 1880م - 1962م، دار القصبة، الجزائر، 2007م.
- بن خليف عبد الوهاب، تاريخ الحركة الوطنية في الجزائر من الاحتلال إلى الاستقلال، ط02، دزاير أنف وللنشر والتوزيع، باب الزوار، الجزائر، 2017م.
- بوشخي الشيخ، الحركة الوطنية والثورة الجزائرية 1954م - 1962م، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2018م.
- بوزياني الدراجي، العصبية القبلية، دار الكتاب العربي، ط01، الجزائر، 2003م.
- بركات أنيسة، محاضرات ودراسات تاريخية وأدبية حول الجزائر، المتحف الوطني للمجاهد.

- بلحاج صالح، الحركة الوطنية الجزائرية بين الحربين 1910م - 1939م، دار قرطبة، المحمدية، الجزائر، 2018م.
- حنفي هلايلي، أوراق في تاريخ الجزائر في العهد العثماني ط01، دار الهدى، 2008م.
- دويذة نفيسة، النخبة الجزائرية مسار وأفكار، منشورات تالة، الجزائر، 2014م.
- زوز وعبد الحميد، نصوص ووثائق في تاريخ الجزائر المعاصر 1830م - 1900م، موفم للنشر، الجزائر، 2009م.
- زوز وعبد الحميد، الدور السياسي للهجرة إلى فرنسا بين الحربين 1919م - 1939م، ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون، الجزائر، 2007م.
- الزبيري محمد العربي، الكفاح المسلح في عهد الأمير عبد القادر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1982م.
- سحلي محمد الشريف، الأمير عبد القادر، ترجمة محمد يحاتين، المؤسسة الوطنية للاتصال والنشر والإشهار، الرويبة، الجزائر، 2012م.
- سعد الله أبو القاسم، أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، ج01، ط03، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1990م.
- سعد الله أبو القاسم، أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، ج02، ط03، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1990م.
- سعد الله أبو القاسم، تاريخ الجزائر الثقافي 1830م - 1954م، ج05، دار البصائر للنشر والتوزيع، حسين داي، الجزائر، 2007م.

- سعد الله أب والقاسم، تاريخ الجزائر الثقافي 1830م - 1954م، ج08، دار البصائر للنشر والتوزيع، حسين داي، الجزائر، 2007م.
- سعد الله أب والقاسم، الحركة الوطنية الجزائرية، ج02، منشورات دار الآداب، بيروت، لبنان، 1969م.
- سعد الله أب والقاسم، خلاصة تاريخ الجزائر المقاومة والتحرر 1830م - 1962م، ط01، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 2007م.
- سعيدي مزيان، النشاط التبشيري للكاردينال لا فيجري 1867م - 1892م، ط01، دار الشروق، الجزائر، 2009م.
- شويتام أرزقي، نهاية الحكم العثماني في الجزائر وعوامل انهياره 1800م - 1830م، ط01، دار الكتاب العربي، القبة، الجزائر، 2011م.
- شريط عبد الله الميلي محمد، الجزائر في مرآة التاريخ، ط01، مكتبة البعث، قسنطينة، الجزائر، 1965م.
- الصديق محمد الصالح، قاهرة الاستعمار، دار هومه للطباعة والنشر، الجزائر، 2011م.
- العسلي بسام والزييري محمد العربي، الحزب الشيوعي الجزائري تاريخ وخيانات، منشورات الطليعة العربية، تونس.
- العسلي بسام، الأمير خالد الهاشمي الجزائري، ط02، دار النفائس، 1984م.
- العربي إسماعيل، الأمير عبد القادر الجزائري، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الرغاية، الجزائر، 1984م.
- العلوي محمد الطيب، مظاهر المقاومة الجزائرية، قسنطينة، الجزائر، 1985م.

- عمورة عمار، الجزائر بوابة التاريخ عامة ما قبل التاريخ إلى 1962م، ج01، دار المعرفة، باب الواد، الجزائر، 2008م.
- عمورة عمار، موجز في تاريخ الجزائر، دار ربحانة، القبة، الجزائر، 2002م.
- عمراوي أحميدة وآخرون، السياسة الفرنسية في الصحراء الجزائرية 1844م - 1918م، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، 2009م.
- فركوس صالح، تاريخ جهاد الأمة الجزائرية للاحتلال الفرنسي المقاومة المسلحة 1830م - 1962م، دار العلوم، عنابة، الجزائر، 2012م.
- قداش محفوظ، جزائر الجزائريين 1830م - 1954م، ترجمة محمد المعراجي، المؤسسة الوطنية للاتصال والنشر والإشهار، الرويبة، الجزائر، 2008م.
- قداش محفوظ، تاريخ الحركة الوطنية الجزائرية 1919م - 1939م، ج01، ط01، ترجمة أمحمد بن البار، دار الأمة للطباعة والنشر والتوزيع، برج الكيفان، 2008م.
- قنان جمال، مظاهر ودراسات في تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر، منشورات المتحف الوطني للمجاهد، الجزائر، 1994م.
- الميللي محمد، المؤتمر الإسلامي، دار هومه للطباعة والنشر، الجزائر، 2007م.
- مرقص إلياس، تاريخ الأحزاب الشيوعية في الوطن العربي، ط01، منشورات دار طليطلة، بيروت، لبنان، 1964م.
- منير شفيق، الدولة والثورة، ط01، الدار البيضاء، المغرب، 2001م.
- مقلاتي عبد الله، المشروع الفرنسي الصليبي الاحتلالي للجزائر وردود الفعل الوطنية 1830م - 1962م، منشورات سيدي نايل، 2013م.

- مقالاتي عبد الله، المرجع في تاريخ الجزائر المعاصر 1830م - 1954م، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2014م.

- منور العربي، تاريخ المقاومة الجزائرية في القرن 19، دار المعرفة، باب الواد، الجزائر، 2006م.

- مرزوق خالد، مذكرات قنانش، الدار العثمانية، الجزائر، 2016م.

- مراح محمد، باعيز بن عمر حياته وفكره الإصلاحي، ط01، منشورات الحبر، الجزائر، 2010م.

- مريوش أحمد، محاضرات في تاريخ الجزائر وردود أفعال المقاومة الوطنية

1818م - 1914م، ج01، دار كنوز الحكمة، بن عكنون، الجزائر، 2018م.

- هلال عمار، أبحاث ودراسات في تاريخ الجزائر المعاصرة 1830م - 1962م، ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون، الجزائر، 1995م.

- الوزير محمد السيد، الأمير عبد القادر الجزائري ثقافته وأثرها في أدبه، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1988م.

ثانيا: قائمة المصادر والمراجع باللغة الفرنسية

- Bennoune Mahfoud, **Eakbia un siècle d'histoire algérienne**_(1857-1975), Edition n° 2229, O.P.U, Ben Aknoun, ALGER.

- Benjamine Stora, **Algérie histoire coutumes pourné (1830-1988)**,

C.E.A.

- Benallage Chouia Nora, **Algérie du mouvement ouvrier et question national (1919- 1954)**, O.P.U, Ben Aknoun, ALGER, 2010.

- Kaddache Mahfoud, **L'EMIR KHLED, Documents et Témoignages pour servir à l'étude du : NATIONALISME ALGERIEN**, O.P.U, Ben Aknoun, ALGER, 2009.

- Jean-Pierre Vernant, **le PCF et la question Algérienne (1959)**, voies nouvelles, n°9, 1959
- Kiouane, Abderrahmane, **Moment du mouvement national**, édition Dahlab, Alger.
- Mohamed Lebджаoui, **Vérités sur la révolution Algérienne**, Gallimard, paris ; 1970
- Theis Laurent et Philippe Ratte, **la guerre d'Algérie ou le temps des méprises**, maison Mame, Tours, premier trimestre 1974.
- Vernant Jean-Pierre, **le PCF et la question Algérienne (1959)**, voies nouvelles, n°9, 1959

3- الرسائل الجامعية:

- بن جبور محمد، **الاحتلال الفرنسي للجزائر ومقاومة الأمير عبد القادر 1830م-1847م من خلال وثائق الأرشيف المغربي**، رسالة دكتوراه، جامعة وهران، 2012م-2013م.
- بن الشيخ حكيم، **دور الأمير خالد في الحركة الوطنية الجزائرية ما بين 1912م-1936م**، رسالة ماجستير، جامعة الجزائر، 2001م - 2002م.
- بوضرساية بوعزة، **الحاج أحمد باي رجل دولة ومقاوم 1826م - 1848م**، رسالة ماجستير، معهد التاريخ، جامعة الجزائر، 1990م - 1991م.
- سعيدي خير الدين، **المجاعات والأوبئة في الجزائر خلال العهد العثماني 1700م-1830م**، رسالة دكتوراه، جامعة قلمة، 2018م - 2019م.
- الزاهي محمد، **الأوقاف في الجزائر خلال الفترة الاستعمارية 1830م - 1870م**، رسالة دكتوراه، جامعة سيدي بلعباس، 2014م - 2015م.
- العبيدي صباح، **الجزائر بين سنوات الحرب العالمية الثانية 1939م-1945م**، رسالة دكتوراه، جامعة بغداد، العراق، 2013م.

- الغول الطاهر، مفهوم الدولة الجزائرية في فكر الحركة الوطنية 1919م - 1954م، رسالة ماجستير، جامعة الوادي، 2013م - 2014م.
- مسعودي أحمد، الحملة الفرنسية على الجزائر والمواقف الدولية منها 1792م - 1830م رسالة ماجستير، جامعة الجزائر 02، 2009م - 2010م.

Fromage Julien : L'Algérie vivra-t-elle ? Ou projet Blum Violette au temps du front populaire, mémoire de fin d'étude, université Lyon 3, juin 2003